الترجمة من حيث هي عامل هام من عوامل العدوى اللغوية *

بقلم : صالح القرمادي

ان العدوى اللغوية المقصودة في هذه البسطة انما هي تأثير اللغة الفرنسية في اللغة العربية وذلك بالبلاد التونسية أساسا وأولا وبالذات . هذا مع العلم أن الظاهرة المعاكسة أي تاثير العربية في الفرنسية أمر موجود كذلك والحق يقال وهو يساهم شيئا فشيئا في تكوين نوع جديد من الفرنسية يمكن نعته بالفرنسية التونسية أو الجزائرية ... (1) الخ . بيد أنه يبدو أن هذا الضرب الثاني من عدوى اللغات وتلاقحها لم يبلغ بعد من الأهمية والعمق ما بلغه الضرب الاول وذلك لصمود « القاعدة » أو « السنة » الفرنسية في وجه سريان مفعول التأثيرات العربية فيها لأسباب اجتماعية وحضارية معروفة .

ومفهوم « الترجمة » في هذا الحديث لن يشمل النقل الفعلي من لغة إلى أخرى فحسب بل يتعدى ذلك إلى مظاهر « الترجمة الذهنية » أو الترجمة « بالقوة » ان صح هذا التعبير أي عملية الترجمة غير المحسوسة التي يقوم

---

* نص البسطة التي ألقيت بالندوة الخاصة بعلاقات اللغة العربية واللغة الفرنسية ، المنعقدة بمدينة قرونوبل (Grenoble) بفرنسا يومي 29 و30 أفريل 1974 .

(1) انظر مقال الآنسة زهرة الرياحي الصادر بالفرنسية بعنوان « اللغة الفرنسية كما تتكلمها الإطارات التونسية (المجلة التونسية) للعلوم الإجتماعية عدد 13 مارس 1968 ص 1—24) .
وانظر كذلك أطروحة السيدة جوليات القرمادي الخاصة « بفرنسية التونسيين » . (مرقونة بجامعة السربون) : باريس 5).

بها في الواقع كل متكلم مزدوج اللغة في أحاديثه أو كتاباته بدون أن يشعر بذلك أحيانا .

ومثل هذه الحالة أمر شائع في البلاد التونسية وبالخصوص عند عدد عديد من المتكلمين أو المحررين المزدوجي اللغة والذين تتبادر إلى أذهانهم اللغة الفرنسية أولا وبالذات وذلك عندما يضطرون لأسباب مختلفة (مثل الاعتبارات القومية أو كون المخاطب أو المخاطبين من ذوي اللغة العربية فقط) إلى الاقتصار على استعمال اللغة العربية فحسب فتراهم عند ذلك يترجمون ذهنيا بدون انقطاع .

ولقد استقينا الأمثلة التي أوردناها في كلمتنا هذه من لغة الصحافة والتلفزة التونسيتين أساسا مع الركون أحيانا إلى استقراء لغة عناوين المحلات والاعلانات العمومية .

هذا ولقد استعملنا في استشهاداتنا اللغة العربية الفصحى الحديثة بالخصوص ولكن مع ايرادنا كذلك لبعض الأمثلة اما باللغة الدارجة التونسية أو باللغة العربية الوسطى أي تلك اللغة التي يخلط فيها المتكلم بين عناصر الفصحى وعناصر الدارجة .

ان معنى التحريف الذي يدخله المترجم على اللغة قديم في التراث العربي فها هو الجاحظ يلفت النظر إليه منذ القرن الثاني للهجرة قائلا « ومتى وجدنا الترجمان قد تكلم بلسانين علمنا أنه قد أدخل الضيم عليهما لأن كل واحدة من اللغتين تجذب الاخرى وتأخذ منها وتعترض عليها ... » وها هو العلامة ابن خلدون يشير إلى نفس ذلك المعنى ستة قرون بعد الجاحظ مدققا اياه على النحو التالي : « لأن البعد عن اللسان الأصلي انما هو مخالطة العجمة فمن خالط العجم أكثر كانت لغته عن ذلك اللسان الاصلي ابعد » واذن فقد صرح الفكر العربي منذ القدم بما أصبح مثلا شائعا في الإيطالية وذلك قولهم

(Traduttore traditore) أي « ان المترجم لخائـن » وكذلك بمـا بـات المنطلق الأسـاسي في عصرنا هذا في كل بحث يتعلق بما يسمى « بالتداخلات اللغويـة » (Interférences Linguistiques) عند متعددي اللغـات .

وفعلا فقد صدر في بحر سنة 1953 كتاب هام جـدا بعنوان « اتـصـال اللغـات » (Languages in contact) (2) لصاحبـه « يورييل فاينرايش » (Uriel Weinreich) وقد نـادى المـؤلف فيـه في نطاق حديثه عن برنامج البحوث المتعلقـة « بتداخل اللغـات » بوجوب النظر في سلوك مزدوجي اللغـة اللغوي واكتشاف ما قد يكـون ناتجا في تحريفهم لقواعد احدى لغتيهم عن تأثرهم بقواعد لغتهم الأخـرى .

وعملا بهذه التعليمات فقد تصدى مؤلفون كثيرون إلى النظر في التحريفات وفي عمليات الخروج عن السنة اللغوية التـي تحدث بالخصوص أثناء الترجمة والتـي يكـون المسؤول عنهـا المتـرجم ذلك الرجل المـزدوج اللغـة بـالمنـزلـة الأولى .

من ذلك أن السيد جـان ـ بـول فينـاي (Jean-Paul Vinay) قـد وصف في مقـال جد مفيد (3) وبالاعتماد على أمثلة عديدة مسيرة المترجـم الكـأداء وهو يطوي طريق « الخيانة » اللغوية تدريجيا مخترقا سبع مراحل (4) رتبها المؤلف بحسب درجة ابتعـاد المترجم في « لغة الوصول » أي اللغة المنقول إليها عن « لغة الإنطـلاق » أي اللغـة المنقـول منها .

---

(2) نشـر هذا الكتاب في زمـرة منشـورات « الحلقـة اللغويـة لمدينـة نيويـورك » (Linguistic Circle of New-York) وطبع طبعة ثانية روجع فيها نصه وزيد عليه وذلك بمدينة « لاهـاي » (La Haye) سنـة 1962 .

(3) انظر كتـاب « الكـلام » (Le langage) في سلسلـة « دائرة معـارف الكوكبة » (Encyclopédie de la Pléiade) الصادر بمدينة بروج (Bruges) سنة 1968 ص 729—755.

(4) وهـي : الدخيل — النسخ — الترجمة الحرفية — التحوير — التكييف — المقابل والتعديل .

ولنضرب لك على ذلك مثلا العبارة الفرنسية البسيطة « Je n'ai plus faim » ومختلف ترجماتها العربية الممكنة :

أ) **لم يعد عندي جوع** : وهو ترجمة حرفية غير مقبولـة

ب) **شبعت** : وهو تحوير مقبول على بساطتـه .

ج) **الحمـد لله** : وهو تعديـل فيه تصرف ملحوظ ومشكـور .

وواضح ما بين مختلف هذه الدرجات في الترجمة من فرق واختـلاف نابعين من الفرق الموجود بين لغتين وثقافتين جد متباينتين يصنف أصحابهمـا الواقع الحياتـي تصنيفا مختلفا سواء على الصعيد الشكـلي (وهو كيفية ترتيب الدالات (Signifiants) وصورة إقـامة العلاقـات المتبـادلة بينهـا فـي صلب الملفـوظ) أو على الصعيد المعنوي (وهو ملاحظة الفرنسـي لجوعه ملاحظة ماديـة فقط بينما نرى العربـي يوجه الحمد لله بمناسبة سده لرمقـه) .

ومثل ذلك يقـال في المثاليـن التاليـين وقـد اخترناهمـا مـن نصوص قمنـا بترجمتها شخصيـا :

أ) النص الفرنسـي : (5) « *Je préfère la montagne à la mer* »
الترجمـات العربيـة :

« **أفضل الجبـل على البحر** » : وهـي ترجمة حرفية

« **الجبـل عنـدي أفضل من البحر** » : وهو تحوير أوتكييف

و « **للجبل خير لي من البحر (وأبقى)** » : وهو تعديل منسوج على منوال الاسلـوب القرآنـي .

ب) النص الفرنسـي : (6) « *Le gros rouge qui détache* »

---

(5) من نص ترجمناه مع الطلبة في قسـم العربيـة من كلية الآداب بتونس .

(6) انظر رواية « سأهبك غزالة » الدار التونسية للنشر . تونس 1968 ص 111 . وهو ترجمة قمنا بها لكتاب « Je t'offrirai une gazelle » للكاتب الجزائري « مالك حداد » .

الترجمـات العربيـة :

« **الاحمر الغليظ الذي يفصل** » : وهو ترجمة حرفية سمجـة

« **الخمر الحمراء المبتذلة التـي لا تبقع الثياب بل يبقـع رأس صاحبها إلى حيث لا يــدري** » .

وهـي ترجمة فيها شـيء من التكلف والافراط في التحليل لا محالة إلا أنها تدل على توفق المترجم مبدئيا إلى العثور على مرادف عربـي للتورية الفرنسية الموحـى بها في عبـارة « détache » المقلوبة عن « tache » وهذا المرادف هـو بقّـع وابقـع .

ولئن كانت هذه الإمكانيات المتعاددة في نوع درجات الترجمة مـن لغـة إلى أخـرى ناتجة عن اختلاف الثقافات في العالم فـإن مردها الأساسـي مـن حيث علم الألسنية إلى أن كل لغـة يصنف أصحابها التجربة البشرية تصنيفـا خاصا (7) كما ذهب إلى ذلك العالم الألسنـي الفرنسـي « أندري مارتينـي » (André Martinet).

من ذلك مثـلا ما يقـرأه التونسيـون على الاعـلان العمومـي القائم طـوال السكك الحديــدية بتونس والذي نصه بالفرنسيـــة « *danger de mort* » وبالعربية : « **خطر موت** » وكذلك أخـوه المنتصب بمقاطع الطرق للسكك والقائل بالفرنسية : « *Attention un train peut en cacher un autre* » وبالعربية : « **قطار يمر أمامك ومن خلفه قطار لا تراه فانتبه إليه** » .

ذلك أن ترجمة العبارتين الفرنسيتين تدل دلالة واضحة هنا على تردد المترجم وقد تذبذب بين الترجمة الحرفية (كما في الاعـلان الأول) وبين التصرف

(7) قارن بين مختلف كيفيات أداء نفس المعنـــى وهو الصداع في اللغـــات الآتية مثلا : عربية فصحـــى : برأسي ألم – عربية تونسيـــة : راســي يوجع في – فرنسية : J'ai mal à la tête – انقليزيـة : I have a headache – اسبـانيـة me duele la cabeza – روسيـة : Golova mnie bolit

والتعديل (كما في الاعلان الثانـي) فقد اكتفـى في الأول بالترجمة الحرفيـة (خطر موت) بينما نراه يطلق العنان لقلمـه في الثانـي فيعوض الجملة الفرنسية التأليفية الموجزة بعبارات عربية مسهبة مفرطة في التحليل تمثلت في سلسلـة من الجمل المعطوفة أو المتتابعة بدون ربط كأنه سار على منوال من رأى (8) أن في تحليل الكلام وعطف الجمل القصيرة المستقلة أو اتباعها اتباعا بدون ربط خاصية بارزة من خصائص « عبقرية » اللغـة العربية بل واللغات السامية جميعا وعنوانا من عناوين جمال هذه الفصيلة اللغوية و « قوتها » والحال أن اللغة العربية منذ عهودها القديمة الكلاسيكية وحتـى بعدها (انظر لغة المتكلمين والمعتزلة وكذلك لغة ابن رشد الفيلسوف مثلا) قد زخرت بالجمل المركبة والمتشعبة إلى أصلية وفرعية وذلك إلى جانب وسائل التعبير الشعبـي التحليلية والتـي تزدهـر فيها كما في سائر اللغـات في هذا المستوى من الكلام الجمل القصيرة المستقلة المعطوفة أو المتتابعة رأسا . وبنـاء على ذلك فإننا لا نرى ما قد يمنع المترجـم لعبـارة مثل « *un train peut en cacher un autre* » من أن ينقلها إلى العربية بقوله : « قد يخفـى القطار القطار » وهو تعبير فيه ما فيه مـن شـدة التأليف وقوة الايجـاز المضاهيين لما في الاصل الفرنسـي من اكتناز واختصار مع وجود روعة زائدة متولدة عن الجناس والتوقيع المنبثقين عن تكرار لفظـة « القطار » في العربية وجوبـا .

ومن الامثلة التي استشهدنا بها فإن « **خطر موت** » « *danger de mort* » من أشدها اثـارة للاهتمـام . ذلك أن التعبيـر عـن هذا المعنـى قـد يختلف حتـى في صلب اللغـات الهندية الأوروبيـة ذاتهـا . فلئـن عبّـر عنه في اللغة الأنقليزية بطريقة مماثلـة وذلك قولهم « danger of death » فإن اللغـــة

(8) انظر كتاب « نحو العربيـة الفصحـــى » لدومبيين وبلاشير (Demombynes et Blachère) بـاريس 1952 ص 417 و473 و كذلك كتـاب « اللغـة العبريـة » في سلسلـة «تعلم بنفسك» (Teach Yourself) لهـارسـون (R. K. Harrison) 1965 ص 71 .

الألمانية مثلا تـؤدي نفس ذلك المعنـى بصورة مختلفة اذ يقـول الألمـان « *Lebens Gefahr* » أي « خطر على الحياة » فيعكسون الاية ويقلبون.

هذا وان الترجمة العربية الموجودة في تونس أي « **خطر موت** » طـول السكك الحديدية ليست الوحيدة ببلادنا بل ثمـة ترجمة أخرى مزاحمـة لهـا تبرز عادة على أبواب بيوت التجهيزات الكهربائية وهـي « الخوف من الموت » وواضح ما في هذا التعبير الأخير من سعـى المترجم إلى الابتعـاد نوعا ما عـن الترجمة الحرفية المستثقلة وتعويضها بترجمة تحويرية على ما فيها من عدم الدقة ورائحـة الدعاء أو النهـي (يجب الخوف من الموت) .

كل ذلك والحال أن ترجمة من نوع « **حياتك في خطر** » كانت تكون أقرب إلى روح العربية على الاقل الدارجة في تونس مع ملاحظة انها توافـق كذلك وصدفة طريقة التعبير الألمانـي في روحه .

بيد أن المترجمين المتسرعين أو غير المتقنين لعدد كبير من لغات الأرض لا يراعون مع الأسف «أرواح» اللغات «وعبقرياتها» مراعاة تامة فينتج عن ذلك أن وابلا من « الكوارث » اللغوية يتدفق يوميا على اللغة العربية مثلا اذ ينقـل إليها المترجمون من لغات إلى أخرى . وعلى أن بعض هذه «الكوارث» لا يخلو من شـيء من الغرابـة المضحكـة .

من ذلك مثلا ما نسمعه كل يوم عن طريق الاذاعة والتلفـزة أو نقرأه في الصحف أو على عناوين الدكاكين العموميـة من ترجمـات سريعة حرفية مـن نـوع :

— « **منطقـة زرقاء** » « *zone bleue* » (التلفزة التونسية أخيـرا)

— آخر صيحة في عـالم الساعات « dernier cri dans le monde des montres » (اذاعة القاهـرة يوم 1974/1/26) الساعة 21 ليلا) .

– « لتغطية حاجياتنا » « *pour la couverture de nos besoins* » (التلفزة التونسية 1974/2/4) .

– « اقتصاد السوق » « *économie de marché* » (نفس المرجع مع العلم ان المتكلم قد ساق العبارة مشفوعة بالعبارة الفرنسية مما يقيم الدليل على حدوث عملية « ترجمة ذهنية »)

– « تبييض » « *blanchisserie* » (عنوان على بعض واجهات دكاكين تنظيف الثياب بعاصمة الجزائر) .

ومن ذلك أيضا هذا المثال الذي لا يخلو من طرافة والذي عثرنا عليه أيضا بالعاصمة الجزائرية الا وهو عبارة « مقهى النهاية » ترجمة لعنوان مقهى اسمه بالفرنسية (« Café Terminus ») . ان في هذه « النهاية » والحق يقال ما من شأنه ان تقشعر له جلود الداخلين لهذا المقهى وقد شعروا بدنو ساعتهم مثلهم في ذلك كمثل المطالعين ببلاد الكندا (Canada) لنص اشهار يحث الزبائن على التوفير والادخار بقوله : « *passeport pour une meilleure vie* » وذلك ترجمة للنص الأنقليزي : « Passport to better living » (9) .

وهكذا نرى ان الترجمة تمثل اذن عاملا من أهم عوامل العدوى اللغوية وتأثير أنظمة بعض اللغات في أنظمة البعض الآخر إذ كثيرا ما تجري عمليات الترجمة والنقل في ظروف غير مواتية لبذل الجهد والاتقان .

وفي هذا السياق فإن ترجمة وسائل الاعلام العمومية (من صحافة وتلفزة واذاعة) لاخبار وكالات الانباء العالمية أو لمقالات من الصحافة الاجنبية وكذلك الأحاديث التي ما هيتها « الترجمة الذهنية » ان كل ذلك ليمثل ينابيع

(9) انظر مقال « جان بول فيناي » (J. P. Vinay) بنفس المرجع المذكور آنفا .

فياضة زاخرة بالتداخلات اللغوية . وها هي ذي بعض الشواهد على ذلك نماذج استقيناها من مصادر معاصرة حديثة العهد :

1 — التداخلات الصوتية :

إلى جانب لغة عناوين واجهات المحلات وكذلك عناوين بعض الجرائد المخططة باليد والمستعملة لبعض الحروف العربية المحورة تحويرا لجعلها مطابقة لبعض الاصوات الاجنبية مثل (ب = p) — (ڤ = v) — (ڨ = g) الخ) فإن المذيعين بالتلفزة وهم من مزدوجي اللغة كثيرا ما ينطقون بهذه الاصوات على النمط الفرنسي بل ويضيفون إلى ذلك نطقهم ببعض الاجراس الحركية الفرنسية مثل O ouvert أي الضمة نصف المنفتحة .

من ذلك ما سمعه النظارة التونسيون إذا شاهدوا المذيع يتفوه أثناء نشرة أخبار يوم 1974/2/6 مساء بالعبارات التالية :

— **للبترول** « *lilpetrōl* » أي بالنطق بـ p و e و o منفتحة فرنسية .

— **السياسة البترولية :** « *pitrûliyyā* » أي بالنطق بـ p فرنسية ولكن مع الاحتفاظ بالضمة والكسرة العربيتين .

وكذلك فإنهم كثيرا ما ينتحلون في تلفظهم باسماء الاعلام الأجنبية الحركات الخيشومية الفرنسية رغم انعدام هذا النوع من الحركات من اللغة العربية كما يظهر ذلك في قولهم :

— « **كنقو — برازافيل** » « Congo Brazaville » (أي بالنطق بضمة خيشومية « on » وبالـ « v » (10) الفرنسيتين . ومثل ذلك أيضا

(10) أي الصوت الشفوي الإسناني الرخو المجهور (وهو كالفاء العربية إلا أنه مجهور بينما الفاء مهموسة) .

قولهم في النطق باسم الجنرال ديغول/(De Gaulle) /أي بالتفوه بـ (e) وهي حركة وسطيّة نصف منفتحة فرنسية وبـ (g) وهو صوت أقصى حنكي شايد مجهور فرنسي غير موجود في النطق العربي الفصيح ولكنه مالوف في اللهجات العربية التونسية وغيرها .

ومن البديهي ان القيام ببحث أكثر إلماما بالموضوع وأشد تعمقا فيه من شأنه أن يؤدي إلى نتائج واحصاءات أهم من التي سقناها في هذا الباب

الا أن هذا النوع من التداخل بين الفرنسية والعربية بقي سطحيا حتى الان فيما يظهر وذلك لأن الأمر لم يتعد مستوى النطق المجرد ولم ينشأ عنه « صواتم » (Phonèmes) جديدة في لغتنا .

2 ــ التداخلات الصرفية :

لقد نتج عن ترجمة اخبار الوكالات الواردة بالفرنسية عن طريق « التيلكس » (Télex) ان ظهرت في العربية طرق في تركيب الألفاظ أجنبية عن هذه اللغة اذ هي خاصة بالالسن الهندية الاوروبية ومن ذلك قولهم :

- « **انقلو ــ ساكسوني** » في « *Anglo-saxon* »
- « **أفرو ــ اسيوي** » في « *Afro-asiatique* »
- « **هندو ــ أوروبي** » في « *Indo-européen* »

هذا وان التلفزة والاذاعة تساهمان الآن في غرس هذه الطريقة الصرفية الجديدة في صوغ الكلمات في صلب التربة اللغوية العربية ان صح هذا التعبير كما يدل على ذلك المثال التالي وقد سمعناه وقرأناه كثيرا في هذه الأيام الأخيرة :

- « **الصناعات البترو ــ كمياوية** »

« *Les Industries pétro-chimiques* »

بيد أن هذه الطريقة هي عرضة الان لطريقتين أخريين تعترضان عليها وتقاومانها احداهما تقريبية تتمثل في استعمال نعتين عربيين متتاليين لأداء النعت المركب الفرنسي (كأن يقال « **افريقي آسيوي** » لأداء « *Afro-asiatique* » وثانيتهما أدق وأضبط تتمثل في الركون إلى أسلوب « النحت » القايم في العربية (كأن **يقال** « **كهر - مائي** » في « *Hydro-électrique* » أو « **كهرطيسي** » في « *électro-magnétique* » الخ).

3 - التداخلات في تركيب الجمل وفي المعجم :

ان الأمثلة في هذا الباب لعايدة تكاد لا تحصى بحيث انه يتعذر علينا في نطاق مثل هذه البسطة الضيقة حصرها وترتيبها . ولهذا فسنقتصر على ذكر أربعة أنواع من الأمثلة وعلى التعليق عليها فقط .

أ) المقالات الصحافية :

لقد صدر في جريدة « الصباح » التونسية (عدد يوم 10 مارس 1974) ترجمة لافتتاحية صحيفة « لوموند » (Le Monde) الفرنسية الصادرة يوم 8 مارس 1974 واستطعنا أن نعثر في هذه الترجمة على خمسة شواهد على تلك العدوى التركيبية والمعجمية وإليك تفصيل ذلك :

- « **المحامي الشخصي للرئيس نكسون** » « *Avocat personnel du président Nixon* » وذلك عوضا عن : « **محامي الرئيس نكسون الشخصي** » وهو اقرب إلى القياس الفصيح القديم . ان استعمال حرف «لـ» لاداء حرف « de » الفرنسي قد أصبح اليوم أمرا عاديا استقرّ في نظام اللغة العربية التركيبي وذلك لأنه يسمح برفع اللبس في كثير من الأحيان كما يدل عليه المثال الاتي :
- « **ديوان الصيد البحري القومي** » : وهو موافق للقياس ولكن لا يخلو من لبس

— **والديوان القومـي للصيد البحـري** : وفيـه استعمال حرف « لـ » على النحـو الـذي بيّنـا لرفـع اللبـس .

ب) « لم يعد ممكنا معالجة قضية واترغـات كتطوّر منعـزل
« *Il n'est plus possible de traiter l'affaire du Watergate comme une péripétie isolée* »

العـدوى هنا واضحة في انتحـال كاف التشبيه العربية لأداء معنى لفظـه « comme » الفرنسيـة وذلك لا التعبيـر عن التشبيـه بـل للتعبير عن مفهوم « **من حيث انه** » أو « **باعتبار أن** » وهو مفهـوم اعتادت العربيـة ان تدل عليه باستعمال التمييز عند الاقتضاء والامكـان . حتـى ان قولهم الدارج اليـوم في العربية الفصحـى « **يعمـل كأستـاذ** » لو نقـل إلى الفرنسية نقـلا دقيقـا أي حسب معنـى العبارة في العربيـة الفصحـى الكلاسيكية لأدى إلى :
« *Il travaille à la manière d'un professeur* (c-à-d un peu comme un professeur).
أي أنـه يعمل عملا يشبه عمل الاستـاذ بعض الشبـه وان كان دونه على ما في ذلك من امكـان تأويـل الـذم والهجاء .

ج) « لقـد عرف السيـد نكسـون كل مراحل هذا الانحطـاط .
« *M. Nixon a connu toutes les étapes de cette dégradation* »

العـدوى هنا متمثلة في استعمـال فعـل «عرف» في معنى « جرّب—عاش » وهذا المعنـى الموجود في connaître الفرنسيـة لا وجود له في « عرف » العربية . ومثل هذه النقلة المعنوية أصبح أمرا دارجا جدا حتى ان فعل « عرف » في معنـى « جرب » استقـر في عربية اليـوم .

من ذلك ما سمعناه على لسان أحد كبراء الاختصاصيين في العربية اذ قال على شاشة التلفـزة يوم 1973/1/3 على الساعة 15 ، 20 ما يـلي بالعربية الوسطى :

— **تونس عرفت ازمات اقتصاديـة كثيرة في القرن التاسع عشر**
« *La Tunisie a connu de nombreuses crises économiques au 19e siècle* »

د) وبعـد أن صمد تجاه الاستدعـاءات التـي توجهها إليه لجنـة التحقيق التابعـة لمجلـس الشيـوخ والمدعـي الخاص والتـي تـزيـد في شـدة الحيـرة والارتباك حوله أعلـن يـوم الاربعـاء ...

« *Après avoir resisté pied à pied aux réquisitions qui lui parvenaient de la commission d'enquête du sénat et du procureur spécial, épaissisant le trouble autour de lui, il s'est déclaré mercredi...* »

هنا ينبغـي الأدلاء بعـدة ملاحظات فمـن الجدير بنا أولا — وبالضد مما ذكرنـاه من تداخل إلى حـد الان — أن نلاحـظ الجهـود الـذي قام به المترجم قصد اجتناب العـدوى والتـأثر بالفرنسية . من ذلك أنـه قال — « لجنة التحقيق **التابعة** لمجلس الشيوخ ...» ولم يقـل «لجنة التحقيق لمجلس الشيوخ» (باستعمال حـرف « لـ » مـرادفـا لحـرف « de » الفـرنسـي كما تقـدم) كما أنـه قـال كذلك .

— « تزيد في شـدة » لترجمة : épaissir بطريقة غير مباشرة .

— « الحيرة والارتبـاك » لترجمة trouble اذ إستعمـال لفظتين مترادفتين موزونتين من خصائص العربية الفصحـى القديمة المرموقـة .

كما يجدر بنا ثانيا أن نلاحظ ما جاء في هـذه الفقرة من تأثر تركيب الجملة العربية بتركيب الجملة الفرنسية . من ذلك استعمال جملة فرعية زمانية تبتديء «بعد أن» قبل الجملة الأصلية التـي تبتديء باستعمال فعل « أعلـن » وذلك رغم طول تلك الجملة الزمانية وتشعبها لاحتوائها على جملتين فرعيتين ثانويتين موصولتين (التـي ... التـي ...) وهذا الترتيب إنما هو من خصائص الجملة الفرنسية في الأسلـوب الأدبـي وأما العربية الفصحـى القديمة فقد كان الترتيب العـادي فيها باستثنـاء الجمـل الزمانيـة المبدوءة « **بلمـا** » أن يعكـس الإنسان فيـأتـي بالجملة الأصلية ثم بالجمـل الفرعيـة .

هـ) « وحقيبة صغيرة تبدو أنهـا مملوءة »

« et une petite valise, bourrée semble-t-il »

لقد ترجم المترجم هذه الجملة كما لو كان الاصل الفرنسي :

« une petite valise qui semble bourrée » فعل « بدا » في صيغـة المؤنث على أن فاعله هو حقيبة» بينما العادة ان يستعمل فعل «بدا» هنا في صيغة المذكر : « **يبـدو أن** » . ومن جهة أخرى فقد جاء في ترجمة جريدة الصباح الصادرة في 1974/3/1 لافتتاحية صحيفة «لوموند» الصادرة في 1974/2/26 مثالان يظهر فيهما مظهـران غريبان من مظاهر العدوى اللغوية . من ذلك قولها :

– **«وهو جمع في بُوتـقةٍ واحدة ممثـلي شعـوب من أجنـاس مختلفـة»**

« rassembler dans une même enceinte les représentants de peuples d'origines ethniques différentes ».

محـل الشاهد هنا في فصل لفظة « جمـع » المضافة عن لفظـه « ممثـلي » المضافة إليها وذلك عـلى منوال التركيب الفرنسـي وخلافا لقيـاس العربيـة حيث لا يجـوز البتـة فصل المضاف عن المضاف إليـه .

– **فان ندوة القمة ... تشكل نجاحا للخمس وثلاثين دولة افريقيةواسياوية**

« La conférence au sommet constitue un succès pour les trente-cinq pays d'Afrique et d'Asie ».

إن التأثر بالتركيب الفرنسـي يتجـلى هنا في أهمال أداة التعريـف قبـل «**افريقية واسياويـة** » إذ الصواب في العربيـة ان يقـال :

« **الخمس والثلاثين دولة الافريقية والاسياويـة** » .

2 – الخطب المتلفـزة:

لقـد إلتقطنـا أثنـاء خطبة ألقاها متكلـم مزدوج اللغـة ومتأثـر كثيـرا بالفرنسية يوم 1974/2/2 بالتلفزة التونسية بعد نشرة أخبار المساء الامثلة التالية :

– **« سكر ... كاتب عام لجنـة التنسيـق »**

Sec... secrétaire général du Comité de coordination . فقد إبتدأ

المتكلم بزلّة لسان فنطق بأول الكلمة الفرنسية *Secrétaire* ثم تراجع فعاد إلى العربيـة فـأتى بعبارة فصـل فيها بين « **كاتب** » وهو مضاف و« **لجنة**» وهو مضاف إليه بنعـت منسوب إلى المضاف وهو « عـام » وهذا كما لا يخفى لا يجـوز حسب قواعد العربيـة وإنما مـرده إلى عـدوى الترتيب اللفظـي في الجملة الفرنسية على أن يكـون الصواب في العربيـة ان يقـال : **كاتـب لجنـة التنسيق العـام** » على مـا فيـه مـن لبـس أو « **الكاتب العام للجنة التنسيـق** » على ما فيه من عـدوى متمثلة في إستعمال حـرف « لـ » (= de) المشار إليه آنفـــا . أو وهو الاقرب إلى روح العربيـة على طولـه : « الكاتب العام المشرف على لجنـــة التنسيـق » . أو نحو ذلك .

— « **عـلى مختلف طبقاتهم العمرية** »
« *selon leurs différentes couches d'âge* » (litt. : *relatives à l'âge*)
العدوى تظهر هنا في نقل العبارة الفرنسية نقـلا مباشرا بينما العادة في العربية ان يقال « على اختلاف أعمـارهم « أو درجات أعمـــارهم » أو نحـوه .

— تجعلنـا أن نقـول : « *font que nous disions* » الشـاهد هنـا في استعمال «أن» مرادفا لـ « que » الفرنسية بينما الصواب في العربية ان يقـال : «**تجعـلنـا نقـول**» بـدون « أن » .

— « **عن شيء طرأ أو نبت كالفقـاع** »
« *de qu. ch. qui est advenue ou a poussé comme des champignons* »
الشاهد هنا في استعمـال عبارة « **نبت كالفقـاع** » (والفقاع في اللهجة التونسيـة هو الفطـر في العربيـة) منقولة حرفيـا عن العبـارة الفرنسيـة pousser comme des champignons »

— **«بقـدر ما تكون أفكارنا واضحة بقدر مـا نجتنب التشويش»**

« *autant nos idées seront claires, autant nous éviterons la perturbation* ».

الشاهد هنا في تكرار عبارة « بقـدر ... بقـدر » عـلى منوال تكرار autant ... autant... في الفـرنسيـة (وقـد كثر كذلك في كلامهم اليـوم تكرار كلما ... كلما (plus... plus...)

— **« الوحدة بمعناها القانونـي تمشـي من كذا إلى كـذا»**

« *l'unité, au sens légal, va de ça à ça* » تظهـر العدوى المعنوية هنا في تسـرب معنـى « aller » الثانـي في الفرنسيـة وهـو « امتداد — تراوح » إلى فعـل « مشى » في العربيـة) .

— **ان كـل من يحسّ تونسيـا ويفكر تونسيا** (نطق بها نفس المتكلم ولكن يوم 6 فيفـري 1974)

« *tous ceux qui sentent tunisien et pensent tunisien* ».

تبرز العدوى هنا في نقـل العبارة الفرنسية نقـلا حرفيا مع استعمـال « تونسيا » بالنصب على أنها مرادفـة لاستعمـال Tunisien في محل ما يسمـى بالفرنسيـة adverbe de manière أي ظرف حال والحـال أن المنتظر أن يقال في العربية : « ان كل من يفكر تفكيرا تـونسيـا (مفعـول مطلق) .

3 النقـل الريـاضـي :

لقد استقينا من حصة نقـل رياضـي بثت بالتلفزة التونسية يوم 1974/1/27 الامثلـة التالية الدالـة عـلى تأثـر التعبير العربـي بخصائـص التعبير والتركيب الفرنسييـن :

— **توش لفائـدة النـادي الافريقـي**

« *Touche en faveur du Club africain* »

الشاهد هنا هو استعـــارة لفظة « تـــوش » من الفرنسية « Touche »

ومـن الملاحظ ان بعض الناقليـن الرياضييـن في بلدان عربيـة أخرى يرفضون هـذه الكلمة الدخيلة ويعوضونهـا بمرادف عربـي مستلهـم من الفرنسية وهو « **تماس** » (مصدر تماس يتمـاس) .

— « **التعـادل صفـر لصفـر** » « *égalité zéro à zéro* »
الشاهد هنا في استعمال حرف « لـ » مرادفـا لحرف « â » الفرنسي بينما ينبغي أن تكون العبارة اما بدون حرف أي « صفر صفر » أو بحرف الباء كما في الاستعمال الدارج في اللهجة التونسية مثل قولهم : واحـد بواحـد ... » .

— « **تمريرة طويلـة ياسـر** » « *Passe trop longue* »
العدوى واضحة في كامل العبارة اذ ترجمت ترجمة حرفيـة عن الفرنسية مع تسرب معنـى جديد في لفظـه « طويلة » لا عهـد للعربية به .

— **إلى (فـلان) كجنـاح أيسـر** « *à (un tel) comme ailier droit* »
الشاهـد هنا في استعمـال كاف التشبيه مرادفـة لـ comme الدالة على الصفـة في الفرنسية وقد سبـق الحديث عنهـا .

— **ثلاثة الاف متفـرج اللّـي خـلاوا :**
« *trois mille spectateurs qui ont laissé* »
العدوى هنا تتجلى في استعمال اسم موصول وجملة موصولية على غـرار الفرنسية بينما الجاري في العربية في هـذا السياق ان يقـال « **ثـلاث آلاف متـفـرج خـلاوا** » بـدون أي ربط أو « **ثلاثة آلاف متفرج خلا وا** » بالعطف أو نحـوه .

— *une deux* : نطـق بهـا المذيـع هكذا بالفرنسيـة وذلك في أثنـاء حديثـه بالعربية . و اذن فهذه العبارة ومعناها « واحد اثنـان » الدالة على نـوع خاص من تنظيـم اللعب بين لاعبيـن ما زالت في مرحلة الاستعـارة المباشـرة .

– **لمسة يد** : « *Main* » وهي عبارة حاول بها المترجم اداء معنى المخالفة المتمثلة في لمس الكرة باليد فلم يقل « يد » فقط وهي المرادف التام لـ main وإنما أضاف « لمسة » للتدقيق والزيادة في التوضيح .

***

ان الأمثلة التي سقناها أعلاه لتدل رغم عدم شمولها وسرعة تحليلها اللغوي في نطاق هذه البسطة الضيق على ان اللغة العربية الحديثة آخذة الآن في تونس في التغير والتطور وذلك بالخصوص من جراء تأثير اللغة الفرنسية فيها بواسطة الترجمة الحقيقية والذهنية في جميع مستواياتها الصوتية والصرفية وبالخصوص التركيبية والمعجمية الا أنه تجدر الإشارة ان اسلوبا عربيا أفصح و« اسلم » وأقل تأثرا بعدوى الفرنسية ما زال قائم الذات يزاحم هذه العربية الحديثة وتذود عنه بالخصوص الطائفة المدافعة عن سلامة اللغة العربية الفصحى .

وفي هذا السياق فالملاحظ أن بعض الدخيل وبعض العبارات المترجمة ترجمة حرفية تختفي وتضمحل أحيانا اذ يعوضها عبارات عربية أقرب إلى «روح» العربية الفصحى . من ذلك العراك القائم بين لفظتي « هاتف » و« تلفون » مثلا ومنه كذلك تعويض عبارة « كريدي ليوني » بـ« القرض الليوني » وكذلك زوال العنوان« **اير فرانسا** » من واجهة مقر هذه الوكالة الجوية بتونس وتعويضه بعبارة « الخطوط الجوية الفرنسية » بعد ان مر بمرحلة مسخ فيها إلى « آير فرانسا » ... الخ .

ومهما يكن من أمر فإن من البديهي انّ أكثر لغات العالم يطرأ عليها اليوم تأثر عميق بأساليب بعض اللغات العالمية المحظوظة (مثل الانقليزية

والفرنسية والروسية) ولهذا فإنه يصح للمـرء أن يتساءل عما إذا لم نكـن الان بصدد مشاهـدة ظاهـرة تستحيـل بمقتضاها جميـع لغـات الكـون إلى لغـات ذات خصائـص هندية أوروبيـة وذلك في نفس الوقت الذي يشاهـد فيـه « تمغـرب » الثقافـة والاقتصاد والمجتمعـات في كـل مكـان وإذا كـان ذلك كذلك بـات من الجائـز بـل قـل من اللازم ان نتساءل عمـا إذا كان ذلك أمـرا مستحبـا مرغوبـا فيـه .

صـالح القرمـادي

التـداخل (*) الأسلوبي في الفرنسية والعربية

بقلم : محمد رشاد الحمزاوي

ترمـي هذه المحاولة إلى إلقاء نظرة وصفية على المعربات الأسلوبية التـي استعارتها العربية الحديثة من اللغة الفرنسية . وذلك يعنـي أننا نهتم بالظهـر المعاكس من هذه القضية ، وان كان بعضهم قد سبق إلى وضع دراسة في شأنها تجاوزتها الأحداث (1) وخصص لها البعض الاخر دراسة حديثة (2) يستحسن أن يستدرك أمرهما على ضوء النظريات اللغوية الحديثة .

ان التداخل الأسلوبـي يشمل في مفهومه الواسع جميع المظاهر الصوتيـة والصرفية والنحوية والبلاغية والسيمية ممـا تعتبر لحنا (واللحن يعنـي لغويا الميل والخروج عن الطريق قبل أن يعنـي الخروج عن قواعد الاعراب) بالنسبـة للمعيار القياسـي العربـي ، فان كان يصعب على اللغوي المعاصر أن يحدد بدقة معنيـي المعيار القياسـي والأسلوب فاننا نعتبر أن الظاهرة الأسلوبية تتمثل في كل مادة لغوية تتميز « بكثافة اخبارية » (3) أي أنها تتمثل في كل لحن يحوي أقصى عدد ممكن من الاخبار الجديدة (4) .

(*) استعمل ابن جنـي هذا المصطلح في الخصائص للتعبير عن التداخل بين اللهجـات .

(1) H. Lammens, *Remarques sur les mots dérivés de l'Arabe* - Beyrouth 1890

(2) فتحي نصر *Emprunts lexicologiques du Français à l'Arabe,* des origines jusqu'à la fin du XIXe siècle, Imprimerie Hayet et Kamal, Beyrouth 1966

(3) A. Martinet, Eléments de linguistique générale - Paris 1960 p.200

(4) E. Genouvrier et J. Peytard, Linguistique et enseignement du français - Paris 1970 p. 262

وتنقسم هذه المواد الاسلوبية إلى نوعين منها ما ينشأ عن تطور داخلي في النظام اللغوي الواحد ومنها ما ينشأ عن تلاقح بين لغتين كما هو الشأن بين العربية والفرنسية . ولقد سمحت عوامل سياسيةو اقتصادية واجتماعية وثقافية للغة الفرنسية أن تتبوأ منزلة اللغة المعطية وأن تتبوأ العربية منزلة اللغة الآخذة التي دخلتها بطبيعة حالها كثير من أساليب الفرنسية .

لقد كان إبراهيم اليازجي – وهو أديب لبناني ثنائي اللغة ومن نزلاء مصر – أول من نبهنا في العصر الحديث إلى قضية التداخل الأسلوبي بين العربية والانكليزية والفرنسية . فلقد أثار في مقالة مشهورة وهي لغة الجرائد(5) قضية المصطلحات والاستعمالات اللغوية الحديثة المختلفة التي كانت تنشرها الصحافة وتروجها ، فلقد لاحظ حينذاك «بيد أننا مع ذلك كله لا نزال نرى في بعض جرائدنا ألفاظا قد شذت عن منقول اللغة فانزلت في غير منزلها واستعملت في غير معناها فجاءت بها العبارة مشوهة ... وأصبح كثير من ألفاظ الجرائد لغة خاصة بها تقتضي معجما بحاله » (6) .

ان هذه الملاحظات على غاية من الأهمية بقدر ما تعبّر عن معارضة الصفويين اللغويين هذه الظواهر الاسلوبية وبقدر ما تبرز أهمية دور الصحافة في تطوير اللغة العربية ، ذلك أننا نعتبر من دون مجازفة أن الصحافة تكون أكبر حدث قد ساهم ، بعد الحدث القرآني ، في تطوير اللغة العربية . فهي تمثل انقلابا عميقا لن نفتأ من التاكيد عليه (7) ، لأن الصحافة أصبحت «تتحمل مسؤولية

(5) إبراهيم اليازجي : لغة الجرائد ، الضياء 1 (1898–1899) بالقاهرة .
(6) نفس المرجع ص 3 .
(7) رشاد الحمزاوي (أ) مجمع اللغة بالقاهرة : تاريخه وأعماله – تونس 1972 ص 19 وما بعدها حيث يطرق موضوع دور الصحافة وأهميته في تطوير العربية (توجه نسختان مرقونتان من هذا العمل واحدة بكلية الأداب بتونس والأخرى بمدرسة اللغات الشرقية بباريس .)
(ب) الشعب (جريدة جزائرية) عدد 3132 بتاريخ 19 سبتمبر 1973 ص 8 في نفس الموضوع .

نقل الأخبار وتبادلها العملي . فهي ترمي إلى أن تحصر مهمتها في توفير المفاهيم التـي تضمن بحيادها التطابق مع الواقع تطابقا كليا » (8) .

ولقد شن أهل الصفاء اللغوي – وكانوا ملة كثيرة – حربا شعواء عـلى جميع أنواع المعربات . وكانت هذه الحرب اللغوية تستمد قوتها من القومية العربية الوحدوية (9) ومن السلفية الداعية إلى الوحدة الاسلامية (10) . فتصدى المجمع العلمـي العربـي بدمشق المكون سنة 1919 (11) ومجمع اللغة العربيـة بالقاهرة المكون سنة 1932 (12) لتنقية اللغة وتصفيتها من الدخيل الاسلوبـي . فاخذا على عاتقيهما الدفاع عن عبقرية العربية والمحافظة على سلامتها (13) وذلك ما جعل مجمع القاهرة يرفض مبدئيا تلك الأساليب المعربة ، ويستعيض عنها بالاساليب الفارسية واليونانية القديمة ولا يقبل الجديد منها الا ما تفرضه الضرورة القاهـرة (14) .

ان هذا الرفض المطلق يعتبر أحسن دليل على خطر القضية . ولقد تطور شيئا فشيئا حتى نشأت منه محاولات تتحلى بالمرونة ويتغلب فيها الطابع الوصفي على الطابع التحليلي اللغوي (15) ويجدر بنا أن نلاحظ في هذا الصدد أننا سعينا إلى تقديم نظرة تأليفية عن مختلف النزعات المتقابلة في هذه القضية (16) . ولقد

---

(8) J. Berque, les Arabes d'hier à demain, Paris 1960 p. 191

(9) محمد رشاد الحمزاوي : مجمع اللغة العربية بالقاهرة ص 24 وما بعدهـا .

(10) نفس المرجـع .

(11) رشـاد الحمزاوي : المجمع العلمـي العربـي بدمشق وترقية اللغة العربية – بريل هولندا 1965 .

(12) رشاد الحمزاوي : مجمع اللغة العربية بالقاهرة السابـق الذكـر .

(13) مجلة مجمع اللغة العربيـة ج 1 (1934) ص 22 .

(14) نفس المرجـع ص 14 وما بعدهـا .

(15) رشاد الحمزاوي : مجمع اللغة العربية بالقاهرة ص 383 . ونذكر من تلك المحاولات محاولة الشيخ عبد القادر المغربـي ، وهـي تعريب الأساليب بمجلـة مجمـع القاهـرة 332/1 – 349 ، ومحاولة إبراهيم السامرائي في دراسات في اللغة ، بغداد 1961 ص 239–256 . ولقد قدم الكاتب الأول بعض التحليلات اللغوية للموضوع واكتفـى الثانـي بعرضها فحسب .

(16) رشاد الحمزاوي : مجمع اللغة العربية بالقاهرة ص 369–387 ؛ 487–523 .

ساهم علماء من ثنائي اللغة ، مثل المجمعي السورى ، المرحوم مصطفى الشهابـي ، المتعلم في فرنسا ، مساهمة فعالة لحل هذه القضية حلا علميا باعتبار أنها كثيرا ما أدمجت في قضايا لها صلة وثيقة بالاعتبارات السياسية .

لقد أصبح اليوم من المتعارف أن اللغة الفرنسية قد أثرت في أغلب الميادين اللغوية العربية ، اذ أننا نلاحظ في علم الاصوات مثلا أن ثنائـي اللغة من العرب لا سيما في شمال افريقيا قد حافظوا على أصوات ومقاطع المصطلحات الفرنسية المعربة مثل dynamo, cinéma, téléphone, neutron, microphone, gramme (17). كذا الشأن في أسماء الاعلام مثل Jean و Paul وأحيانا باريس التي لا تلفظ بالراء المكررة بل بالغين التـي تعتبر علامـة على انتماء المتلفظين بها إلى الطبقة البرجوازيـة أو إلى زمـرة المتشدقين . وكان الكاتب المصري محمود تيمـور قد تهكم على هذا التشدق النابع عن موذة العصر .

ومما تجدر ملاحظته في موضوعنا أن مجمع اللغة كان قد قرر باقتراح من مصطفى الشهابـي أن يفضل، عند نقل المعربات ، النطق الفرنسي على النطق الانكليزي (18) ولكننا نعلم أن هذا القرار لم يطبق دائما باعتبار تغلب عـدد المتعلمين بالانكليزية من المجمعيين وأهل الأدب . اما نظام علامات الترقيم الفرنسـي ، فانه أثر تأثيرا واضحا في مجموعة قواعد حروف التاج والترقيم التـي وضعتها وزارة التربية في مصر سنة 1931 (19) . ولقد أثر استعمال الفرنسية في الجزائر على طرق التلفظ والترقيم في الكلام الجزائري بالعربية العامية (20) .

---

(17) Vincent Monteil, l'Arabe moderne, Paris 1960 p. 62

(18) رشاد الحمزاوي : مجمع اللغة العربية بالقاهـرة ص 521 .

(19) وزارة التعليم بمصر . حروف التاج والترقيم ، القاهـرة 1931 .

(20) Marcel Cohen, *Ponctuations du discours empruntées au Français par l'Arabe d'Algérie*. Extraits des mélanges géographiques et d'orientalisme, offert à E.F. Gautier - Tours 1937 pp. 152-156.
(ترقيمـات الكلام الفرنسية التـي استعارتها العربيـة الجزائريـة)

ويمكن لنا في هذا السياق أن نـدرج تـأثير للكلمات الفواتح (Sigles) في العربية التـي استعملتها لغتنا فيما مضى لاننا نجد لها أثرا في مؤلفات الادباء(21) والحسابيين (22) من علماء العالم الاسلامـي في القرون الوسطى . لكـن هذه السابقة لا تمنعنا من ملاحظة أثر الكلمـات الفواتح الفرنسية في العربية الحديثـة من ذلك ص. ب (صندوق البـريـد) المقـابلـة لـ B.P. (Boîte Postale) الفرنسيـة تلـ : (تليفـون) المقـابلـة Tél. (Téléphone) الفرنسيـة . ولقـد كثر استعمـال هذه الكلمـات الفواتح للتعبيـر عن اسمـاء الهيئـات القوميـة والعالمية والشركات التجارية والصناعية لا سيما في أقطار الشرق الاوسط العربـي الذي يعتبر أقل محافظة في هذا الموضوع من أقطار المغرب العربـي . ويكفـي في هذا الصدد أن تقارن الصحف التونسية بالصحف السعودية مثلا لنلاحظ الفرق بين موقفيهما من هذه القضيـة .

ويبدو أن مقاومة هذه الفواتح تكون رد فعل ضد ظاهرة تعتبر دخيلة على اللغـة العربيـة وان كانت تشهـد على استعمالهـا نصوص عربيـة قديمـة منهـا القرآن (23) . ولا شك ان استعمالها سيعمم في العربية الحديثـة لأنها ناتجـة عن مبدإ الاقتصاد الخطـي المربوط بمبدإ الاقتصاد اللغوي بصفة عامة أو بما يسميه بعضهم بمبدإ السهولة . لكن هذه المبادىء لا تمنـع بعضهم من أن يعتبر أن اقرار هذه الفواتح أمر صعب لانه يضاعف مشاكل الكتابة العربية التـي تكون في حد ذاتها نوعا من الفواتح غير المشكولة . والملاحظ أن هذه القضية لن تجد حلا مرضيا ما لم نجد حـلا عميقا لاصلاح الكتابة العربية اليدويـة أو المطبعيـة .

---

(21) محمـــد بن شنـب *Listes d'abréviations,* Revue africaine 61-62 (1920-1921) p. 134-138 (قائمـة الفواتـح)

(22) محمـد السـويسـي *La langue des mathématiques en Arabe,* Tunis 1968 pp. 394-396 (لغة الحسابيـات في العربيـة)

(23) Regis Blanchère, *Introduction au Coran,* Paris 1956 pp. 29; 46; 144-149 (مدخـل إلى القـرآن)

في الصرف أمثلة كثيرة (24) تدل على تأثر العربية :بالفرنسية وإن كان العرف اللغوي يقرأن التداخل الصرفي لا يطرد مثلما يطرد في مقولات اللغة الاخرى . ان هذا التداخل موجود في العربية منذ القدم فلقد نبهنا المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون (Louis Massignon) إلى تاثير المثال الصرفي اليوناني في المثال الصرفي العربي (25) .

ولقد كثرت مظاهره في عصرنا من ذلك التمييز بين المذكر والمؤنث في المفردات التي كانت تدل على الجنسين . ونلاحظ تاثير الفرنسية في مستوى المثنى وفي « اسم الجنس » * . ان هذه التمييزات ناتجة عن الترجمات السريعة التي كان يقوم بها الصحافيون من ثنائي اللغة اقتداء بالمثال الفرنسي . فلقد أصبحت كلمة « زوج » التي كانت تطلق على المذكر والمؤنث منقسمة إلى « زوج » للمذكر و« زوجة » للمؤنث كذلك الشأن بالنسبة « لعجوز » التي انقسمت إلى « عجوز » للمذكر و« عجوزة » للمؤنث . فاصبحت علامة التأنيث (ـة) تقابل انعدام وجودها في المذكر الذي تساوى علامته الصرفية الصفر .

أما المثنى فلقد اسقط تطبيقه بعض المشاهير من الكتاب (26) ومنهم يحيى حقي الذي يستعمل « فتاة مزججة الحواجب » ونجيب محفوظ الذي يستعمل « على أسماعي » . يضاف إلى ذلك مثال آخر يعتبر دليلا قاطعا على النقل المباشر عن الفرنسية وهو « الاذاعة والتلفزة التونسية » اقتداء بالمثال الفرنسي (Radio et Télévision Françaises) مع الفارق الذي يتمثل في أن الوصف

(24) (العربية الحديثة) Vincent Monteil, *l'Arabe moderne* pp. 105-158

(25) Louis Massignon, *Notes sommaires sur la formation des noms abstraits en Arabe sous l'influence des modèles grecs*, Revues des Etudes Islamiques (1934) pp. 507-512 (ملاحظات عامة في شأن وضع الأسماء المجردة العربية تأثرا بالنماذج اليونانية)

(*) استعملنا هذا المصطلح للدلالة على « Neutre » اقتداء باسم الجمع لـ « collectif »

(26) أخذنا المثالين الأولين من Vincent Monteil, *l'Arabe moderne* pp. 128-129

يطابق الجمع في الفرنسية ويطابق المفرد في العربية ؛ ويمكن أن نذكر في هذا السياق ترجمة الضمير الفرنسي الذي يدل على « اسم الجنس » والذي عبر عنه في الترجمة العربية بطرق مختلفة (27) منها ما ضمن صيغة المبني للمجهول العربية وظيفة التعبير عن « اسم الجنس » .

ان هذه « الألحان » أو « الملاحن » ليست ناتجة ضرورة عن تأثير المثال الصرفي الفرنسي على المثال الصرفي العربي اذ يوجد من النصوص الكلاسيكية ما يؤيدها ويشهد عليها . لكننا نعتقد أن تأثير المثال الصرفي الفرنسي على ترجمات المترجمين أمر واقع لان ذاكرة أولائك المترجمين التاريخية لم تكن قادرة على تذكر ما سبق من الأمثلة القديمة .

ان النقل المباشر الأسلوبي يظهر ظهورا بارزا خاصة في مستوى النحت والالفاظ والتراكيب الدخيلة وهي التي لا تخضع لاوزان العربية . لاشك أن العرب الاقدمين قد عرفوا النحت لكنهم لم يستعملوه استعمالا مطردا (28) مثلما هو الشأن بالنسبة للعرب المحدثين . فلقد كثرت الأساليب المنحوتة على غرار الفرنسية من ذلك .

قبتاريخي (قبل وتاريخ) ليقابل Préhistorique

قروسطي (قرن ووسط) ليقابل Moyenageux

ولقد اطرد هذا النوع خاصة في علمي الكيمياء والفيزياء (29) من ذلك :

كهرجابي (كهرباء وايجابي) Eléctro-positif

كهرسلبي (كهرباء وسلبي) Eléctro-négatif

---

(27) نفس المرجع ص 236 .

(28) رمسيس جرجس : النحت في العربية ، مجلة مجمع اللغة العربية 13/61–76 . وهي محاولة تاريخية تأليفية فيها هنات قليلة منها أن الكاتب قد اتبع رأي ابن فارس القائل بأن الافعال الرباعية منحوتة وهو رأى فيه نظر .

(29) Vincent Monteil, *l'Arabe moderne* p. 135

أما الدخيل من المصطلحات والالفاظ فانه زودنا بسوابق ولواحق أصبح البعض منها جزءا من العربية مثلما هو الشأن في « آن » في الرحمان و« آر » في موسيقار . فلقد فازت « بالجنسية اللغوية العربية » سوابق قارة مثل « هيدر » (hydr) في هيدروجين (Hydrogène) وهيدريد (Hydrides) و« كيلو » (Kilo) في كيلو سعر (Kilocalorie) و« بنتا » (Penta) في البنتاكروماتية (Pantachromatisme) . أما فيما يتعلق باللواحق فان فوزها بالجنسية اللغوية يعتبر أمرا يسيرا . ذلك ما تدل عليه الأمثلة التالية (30) .

آت	(ate)	كلور رصاصات	لتقابل	Chloroplombate
آز	(ase)	ملتاز	لتقابل	Maltase
ايد	(ide)	زرنخيد	لتقابل	Arsenide
ايك	(ique)	حديديك	لتقابل	Ferrique
جيا	(gie)	فكرولوجيا	لتقابل	idéologie
ون	(one)	خلون	لتقابل	Acétone
يل	(yle)	نمليل	لتقابل	Formyle
يوم	(ium)	كادميوم	لتقابل	Cadmium

ان الضرورة العلمية قد فرضت هذه اللواحق لانها تعبر عن وظيفة تمييزية للتفريق بين مختلف العناصر الكيمياوية . فلقد أصبح من المتحتم أن تؤخذ قرارات (31) لاستدراج هذه الانواع من الاساليب حتى لا نظل نعاني من أمثلة غريبة يتعايش فيها العربي والدخيل معايشة لا تكون بردا وسلاما على اللغتين المتداخلتين من ذلك .

(30) أخذنا الامثلة المذكورة هنا من معجمي الكيمياء والفيزياء اللذين وضعهما المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرباط سنة 1973 .

(31) لقد نشرنا بحوليات الجامعة التونسية محاولة ترمي إلى توضيح قضية السوابق واللواحق بالعربية وقدمنا اقتراحات لتنظيمها .

حمض الايدرو حديد وسيانيك ليقابل Acide hydroferricyanique
حمض الايدرو كسيلمين ثنائي السلفونيك ليقابل Acide hydroxylamine disulphonique

في النحو ضروب كثيرة من التداخل الأسلوبي عرفت عند اللغويين العرب المحدثين بتعريب الاساليب . فلقد عالجها بعد اليازجي كثير من اللغويين نخص بالذكر منهم أحمد العوامري (32) والشيخ عبد القادر المغربي (33) ولا يسعنا في هذا المجال الا أن نذكر منها بعض الأمثلة :

1 — استعمال صيغة الاستفهام غير المباشر مكان صيغة الاستفهام المباشر السائد في العربية الكلاسيكية . « إسأله إن كان كاتب أخاه » عوضا عن « اسأله : أ/هل/ كاتب أخاه » فيبدو أن إسقاط « أ » أو «هل» ناتج عن اقتصاد أو ايجاز في الترقيم الصوتي .

2 — استعمال « لو » في غير محلها من الجملة الشرطية وذلك للتعبير عن التلطف الموجود في العبارة الفرنسية voudriez-vous ? او الانكليزية would you ? فنجد في العربية الحديثة من مثال « لو تفضلت تجلس » وهي مقابل للعبارة الفرنسية voudriez-vous vous asseoir ? . وتعبر العربية الكلاسيكية عن هذه الطريقة بما يعرف بالعرض وهو الطلب بلين فتقول « لو تفضلت فجلست » وتستعمل « لو » دون جوابها في العربية الكلاسيكية اذا كانت تعبر عن اللوعة أو الحسرة مثال « لو زوجتهن ! »

3 — استعمال « و/ك » مكان الأداة الفرنسية «que» في المثالين التاليين « يبدو و/ك/أن » وهي ترجمة لـ «Il parait que» عوضا عن « يبدو أن »

(32) أحمد العوامري : بحوث وتحقيقات لغوية — مجلة مجمع اللغة العربية 138/1—169 256/2—292 ، 254/3—276 ، 211/4—224 . ان الامثلة النحوية المذكورة في هذه المحاولة هي من عندنا أما العوامري فقد نظر إلى القضية نظرة محافظة لكنه قدم لنا وثيقة مهمة فيها أمثلة متنوعة ومفيدة عن التداخل الأسلوبي .

(33) انظر الحاشية عدد 15 .

ونجد أيضا « يقول وأن/بأن/ ترجمة لـ « il dit que » عوضا عن « يقول إن » فيظهر من خلال المثال الاول أن المتكلم « يلحن » شعورا منه أن « أن » قد قصرت عن تأدية معنى que الفرنسيـة أما في المثال الثانـي فان الاستعمالين نـاتجان عن نزعـة إلى تعويض صعوبة إلتقاء الصوتين اللينين /u/ و /I/ لان الاول مستدير مغلق خلفي والثاني منفرج أمامي مفتوح . فيبدو أن المتكلم العربـي ينزع إلى تعويض /a/ بـ /i/ لانها أكثر منهـا انفتاحـا .

ويمكن أن ندرج في باب التداخل الاسلوبـي النحوي تراكيب وجملا تعتبر نقلا حرفيا لتراكيب وجمل فرنسية (34) . فلقد استرعى نظرنا منها ما يـلي :

1 — التراكيب الاوربية المنقولة التـي لها مقابل عربـي مهجور « طلب يـد فلانـة » «demander la main de telle» عوضا عن « خطب فـلانـة » « بـكـى بـدمـوع حـرى » «pleurer à chaudes larmes» عـوضـا عـن « بكـى بدمـوع مـرة » .

فالتعبير عن الالم بما يحس منه والتعبير عنه بما يستطعم منه تعبيران يدلان على أسلوبين مختلفين . ويبدو أن العربية الحديثة قد اختارت الأسلوب الفرنسـي في التعبير عـن الألـم .

2 — الامثال الاوربية التـي تعبر عن تصورات ذهنية من خصائص الحضارة العالمية التـي تستند إليها الحضارة واللغة الفرنسيتان . فلقد نقلت العربية منها أمثلة خلقتها أو روجتها الفرنسية من ذلك :

« ذر الرماد في العيـون » وهـي مقابل : «Jeter de la poudre aux yeux»

(34) a) Vincent Monteil, *l'Arabe moderne* pp. 291-303, 306-312

b) Jaroslav Stetkevych, *The Modern Arabic Literary Language; lexical and stylistic developments*. The University of Chicago Press 1970 pp. 95 sq . (العربيـة الفصحى الحديثـة : تطوراتهـا المعجميـة والاسلوبيـة)

« لا جديد تحت الشمس» وهي مقابل : «Il n'y a rien de nouveau sous le soleil»
« هو ملكي اكثر من الملك » وهي مقابل : «Il est plus royaliste que le roi»

ان هذه التراكيب التي لا تخرق القواعد النحوية العربية ، بل تخرق في الواقع الصور والأشكال البلاغية العربية الكلاسيكية التي تستحق دراسة جديدة لمراجعة معاييرها وتحديدتها . لقد هجر الشعراء تشبيه المرأة الجميلة « بالبدر » منذ أن داسته أقدام رواد الفضاء الامريكيين ومنذ ان كشف لنا عن مناخه البشع الذي لا يمت إلى جمال المرأة بشيء . وهجر اللغويون بعد الميداني الامثال العربية التي عوضتها الامثال العامية لما امتازت به صورها وأشكالها من جديد وجرىء وما اختصت به من حيوية .

فيبدو أن نقل الصور والاشكال البلاغية الفرنسية بحذافيرها ناتج عن عقم الصور والاشكال البلاغية العربية الكلاسيكية وعن تعنت الصفويين في رفض الصور والاشكال البلاغية العامية . فما أعجبها من صفوية !

في الميدان السيمي نلاحظ أن المفردات الحديثة قد أحدثت زوبعة في محتوى المعجم العربي . ان هذا الانقلاب المعجمي الذي نشأ أولا من مرونة المقولات الصرفية والنحوية العربية قد استمد كثيرا من مظاهره من المثال الفرنسي . فهو يعتمد في هذا الصدد على ما يدعى بالمجاز المرسل المعبر عنه بالفرنسية catachresse وهو ينحصر في احياء المهجور من الكلمات أو الاستعارة من اللغات القديمة مثل اللاتينية واليونانية مثل Avis (طائر) التي أخذت منها طائرة في الفرنسية Avion وكانت تدعى فيما سبق أيضا aérolocomotive, iptéronef, aéronef . ويمكن مقارنة ذلك بـ« ذرة » وهي تعني النملة الصغيرة في العربية القديمة و« ذرة » وهي تفيد الطاقة في العربية الحديثة . أما الاستعارة من اللغة الفرنسية فهي تتمثل خاصة في الترجمة الحرفية التي نجد لها مثالا واضحا فيما يترجمه عن الفرنسية المكتب الدائم لتنسيق التعريب القار بالرباط .

اننا نستخلص من الملاحظات العابرة السابقة أن قضية التداخل الأسلوبي تستحق عنايتنا عسانا نستخرج منها مبادىء تجديد في الميدان اللغوي من ذلك أن التداخل ناشيء عن ظاهرة الاستعارة اللغوية الكونية التي تلتجىء إليها جميع اللغات . انها تكون في حد ذاتها وسيلة من وسائل التنمية اللغوية لتملأ اللغات فراغها على حد تعبير اللغويين المعاصرين . فهي تفرض علينا أن نتجاوز وضع قوائم خاصة منها إلى وضع دراسات اجتماعية لغوية منظمة تبرز ما فيها من طريف وجديد يساعدنا على الاتفاق على وضع معايير فصاحة حديثة لانه يبدو أن البلاغة القديمة المرتكزة على مبدا «قل ولا تقل» قد أخذت تتقهقر أمام أسلوبية متسامحة متفتحة تعتمد الاستعمالات الحديثة الناتجة عن مبدإ السماع من المحدثين الذي أقره مجمع القاهرة (35) . وان كان هذا السماع الجديد ينحصر في السماع من مشاهر الكتاب . والملاحظ في هذا الشأن أن المعجمية الاجتماعية (36) (lexicologie) لا تعترفُ للكتاب بهذا الامتياز لانه لا يكفي أن يشتهر الكاتب ليكون مجددا في أساليبه . فهي تفيد أن المادة الأسلوبية هي المادة التي تعتبر مادة «مفتاحا» أو «شاهدة» تعكس تحولا جذريا في المجتمع . ان النماذج الأسلوبية التي استعرضناها بعجالة في هذه المحاولة حرية بأن تكون موضوع دراسة معجمية اجتماعية الغاية منها تفسير الحضارات بالمصطلحات وبالتراكيب التي تنشئها أو تستعيرها .

محمد رشاد الحمزاوي

---

(35) مجمع اللغة العربية بالقاهرة – مجموعة القرارات العلمية والفنية – القاهرة 1963 ص 14.

(36) Georges Matoré, *La méthode en lexicologie. Domaine Français, Paris 1953*

الصدور واللواحق وصلتها بتعريب العلوم ونقلها الى العربية الحديثة

بقلم : محمد رشاد الحمزاوي

من القضايا النظرية والتطبيقية التي ما انفكت تعترض سبيل المثقفين العرب المحدثين من علميين ولغويين ومترجمين قضية الصدور واللواحق (Préfixes et Suffixes) (1) التي ترد بكثرة في اللغات الهندو أوربية التي تنقل عنها العربية مصطلحات العلوم والفنون ونخص بالذكر من تلك اللغات اللغتين الانكليزية والفرنسية لأنهما تستمدان أغلب صدورهما ولواحقهما من اللغتين اليونانية واللاتينية .

فالقضية على غاية من الاهمية بقدر ما نعلم أن العربية ، وهي لغة سامية ، لا تستعمل من الصدور واللواحق الا القليل المُمَات (2) . وتزداد هذه القضية أهمية ان اعتبرنا جهود مثقفي القرن التاسع عشر والقرن العشرين في سبيل

---

(1) يطلق على هذين الاسمين مصطلحات اخرى من ذلك : سوابق وذيول ، تتويج وتذييل ، الزيادات ، الاحشاء الخ . وهي مصطلحات سنبرزها في معجمنا « المصطلحات اللغوية العربية الحديثة » الذي ننوي طبعه قريبا تحت اشراف قسم علم اللغة التابع لمعهد الدراسات الاجتماعية والاقتصادية بالجامعة التونسية .

(2) نجد آثار تلك الصدور واللواحق في الصيغ الفعلية وفي بعض الاسماء والصفات من ذلك أفعل واستفعل وضيفن وزرقم وعفريت . وهي تحتاج إلى دراسة علمية ضافية تبرز خصائصها وامكانية استعمالها لمجابهة الصدور واللواحق الأوربية .

حلها . فلقد دارت في شأنها مناقشات ومهاترات يطول شرحها . واشتغل بها كثير من أهل الأدب واللغة والعلوم منهم رفاعة رفعت الطهطاوي ، وهـو مصري (توفي 1873) في كتابه المترجم **قلائد المفاخر في أخلاق بلاد أوربا** (3) والشيخ الطاهر الجزائري المقيم بسوريا (توفي 1920) في كتابه **التقريب في أصول التعريب** (4) ويعقوب صروف ، وهو لبناني (توفي 1927) فـــي **المقتطف** (5) ، والشيخ أحمد الاسكندري وهو مصري (توفي 1938) في **مجلة مجمع اللغة العربية** (6) ، والشيخ عبد القادر المغربي ، وهو تونسي الأصل (توفي 1956) في كتابه **الاشتقاق والتعريب** (7) ، والأمير مصطفى الشهابي ، وهو سوري (توفي 1970) في كتابه **المصطلحات العلمية والفنية** (8) ومجمع اللغة في **مجموعة القرارات العلمية والفنية** (9) **ومجموعات المصطلحات العلمية والفنية** (10) **ومجموع مشاريع المعاجم** التي جمع مادتها المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرباط (11) . وقد عرض هذا المكتب مصطلحات تلك المشاريع على المؤتمر الثاني للتعريب المنعقد بالجزائر من 12 إلى 20 ديسمبر 1973 .

فلقد وقف رفاعة الطهطاوي والشيخ الطاهر الجزائري ويعقوب صروف والشيخ عبد القادر المغربي من القضية موقفا عاما متفتحا دون أن يعالجوا

(3) رفاعة رفعت الطهطاوي ، قلائد المفاخر في اخلاق بلاد أوربا ، القاهرة 1249/1834 ؛ 112ص وهو ترجمة لكتاب Depping « Moeurs et Usages des Nations »

(4) الشيـخ الطاهر الجزائري ، التقريب في أصول التعريب .

(5) الشيخ عبد القادر المغربي : الاشتقاق والتعريب ، القاهرة 1947 ص .

(6) الشيخ أحمد الاسكندري : اقتراحات أسمـاء عربية لمصطلحات كيميائية ، مجلة مجمع اللغـة 5/49—57 .

(7) الشيخ عبد القادر المغربي : الاشتقاق والتعريب الطبعة الثانية ، 150 ص .

(8) مصطفى الشهابـي : المصطلحات العلمية والفنية في العربية في القديم والحديث الطبعة الثانيـة دمشق 1965 ، 218 ص .

(9) مجمع اللغة العربية بالقاهرة . مجموعة القرارات العلمية والفنية . القاهـرة 1962 ، 201 ص .

(10) مجمع اللغة العربية بالقاهـرة . مجموعات المصطلحات العلمية والفنية . 10 أجزاء من 1957 إلى 1968 .

(11) المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالوطن العربـي . مطبعة فضالة . الرباط 1973 وهي معروضة في شكل مشروعات معاجم في الكيمياء والفيزياء والحيوان والجيولوجيا الخ .

مظاهرها الفنية البحتة أي باعتبارها تكون مشكلا خاصا . فلقد أدمجوها في باب عام وهو باب التعريب بمعناه الضيق أي نقل الاسماء الاعجمية إلى العربية حسبما عبر عنه الجوهري سابقا وهو « وتعريب الاسم الاعجمي أن تتفوه به العرب على منهاجها » (12) . أما الشيخ أحمد الاسكندري فلقد قاوم التعريب مقاومة « العدو الازرق » حسب تعبير مصطفى الشهابي واستعاض عنه بترجمات عربية لمصطلحات كيمائية وفيزيائية (13) أقل ما يقال فيها أنها لم تستعمل ولم يكتب لها الشيوع في الخاص ولا في العام .

فلم تفصل القضية عن باب التعريب العام الا في كتاب مصطفى الشهابي وفي مداولات مجمع اللغة العربية . فلقد وضع المجمع في شأنها قواعد منها سبع تتعلق بالصدور (A) و(An) و(Hyper) و(Hypo) و(Macro) و(Méga) و(Mégalo) أما اللواحق فلقد وضع لها تسع قواعد وهي (Able) و(Gene) و(Graphe) و(Forme) و(Ium) و(Like) و(Mètre) و(Oïde) و(Scope) (14) ولقد بينا في بحثنا « مجمع اللغة العربية بالقاهرة : تاريخه وأعماله » (15) أن المجمع المذكور قد تجاوز في أعماله التطبيقية تلك القواعد النظرية واستعمل سبعة وثلاثين صدرا وثلاثين لاحقة جديدة زيادة على الصدور واللواحق المذكورة في قراراته الرسمية . فترجمها وعربها بطرق مختلفة سعينا إلى وصفها وتحليلها وتصنيفها بغية استخلاص بعض القواعد العامة منها .

أما مصطفى الشهابي فانه اعتمد ما وضعه مجمع اللغة مبرزا مبدأ عاما مهما جدا مفاده أنه بقدر ما يجب ترجمة تلك الصدور واللواحق في جل

---

(12) الجوهري . الصحاح 179/2 من تحقيق عبد الغفار عطار – 6 أجزاء ط. دار الكتاب العربي بالقاهرة .

(13) انظر حاشية 6 .

(14) مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، مجموعة القرارات العلمية والفنية . ص 70–79 .

(15) محمد رشاد الحمزاوي L'Académie Arabe du Caire : Histoire et Oeuvre — Tunis 1972 (dactylographiée; en cours d'impression مرقونة وهي تحت الطبع) ص 487–518 . وتوجد نسختان من هذا البحث في كلية الآداب بتونس واخرى بمكتبة مدرسة الدراسات الشرقية بباريس .

العلوم ، يجب أن تعرب بحذافيرها في بعض العلوم لا سيما في الكيمياء (16) . واعتبارا لدراستنا السابقة في الموضوع رأينا من المفيد أن نعالج القضية في ميدان جديد آخر يعتمد ما جمّعه المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرباط من مصطلحات لا سيما وأن مصطلحاته تعتبر أحسن وثيقة لدرس هذه القضية درسا شاملا ، لانه يبدو أن المكتب المذكور قد جمّع في قواميسه العلمية المتنوعة مختلف الطرق التي استعملتها الهيئات والجامعات والعلماء في الاقطار العربية لحل هذه القضية . ولقد قصرنا عملنا هذا على قاموسي الفيزياء والكيمياء (17) اللذين هيأهما المكتب الدائم وجمّع مصطلحاتهما .

ان المحاولة التي نقوم بها محاولة تجريبية نسبية غايتها منهجية ونعني بذلك استقراء الطرق العلمية المختلفة المستعملة في القاموسين المذكورين للتعبير عن تلك الصدور واللواحق علنا نفوز ببعض الظواهر المشتركة التي تسمح لنا بوضع قواعد عامة في شأنها لانه يحسن بنا علميا أن نقف من حين إلى آخر وقفة تأمل من انتاجنا العلمي اللغوي لنهذبه ونستجلي أمره ونتخلص من فوضى مواده الكثيرة التي تشعبت طرق وضعها بعامل الحاجة الملحة والظروف القاهرة منها خاصة الشوق إلى اللحاق بركب الحضارة في ميدان العلوم والفنون ومصطلحاتها .

فلقد لاحظنا في استقرائنا لمصطلحات المكتب الدائم وجود ستة وخمسين صدرا وسبع واربعين لاحقة صنفناها ورتبناها ترتيبا الفبائيا أعجميا مع مقابلها العربي كما يظهر ذلك في اللوحات التابعة لهذه المحاولة . ولقد تعلقنا باستقراء الامثلة

---

(16) مصطفى الشهابي : مدى التعريب . بحوث ومحاضرات مجمع اللغة العربية (1959–1960) ص 131–144 وتعقب المقال مناقشات بين أعضاء المجمع .

(17) المكتب الدائم لتنسيق التعريب . مشروع معجم الكيمياء ، 350 ص وهو يحوى 3290 مصطلحا ومشروع معجم الفيزياء والطبيعة ، 494 ص وهو يحوى 5050 مصطلحا . ولقد اشرنا إلى الكيمياء برمز (ك) والفيزياء برمز (ف) في حواشينا الآتية .

× نعني بالدخيل ما يعبر عنه بالفرنسية بـ (Emprunt intégral) أي الكلمات الأعجمية التي تدخل العربية دون أن تخضع لأوزانها . وذلك ما يعنيه أبو حيان الأندلسي .

التـي يظهر فيها اختلاف اذ منها ما هو ناتج عن الاضطراب والتشويش ومنها ما هو وليد الضرورة .

ولقد مكنتنا اللوحات المعنية بالأمر من ابداء الملاحظات التاليـة :

الملاحظـة الأولى :

ان الصدور واللواحـق المستقراة تشابه في نسبـة الصدور واللواحـق التـي استقريناها من مصطلحات مجمع اللغة العربية . وهذا مظهر سيفيدنا عندمـا ننظر في طرح طرق معالجة قضيتنا في مستوى الهيئات العلمية العربية .

الملاحظة الثانيـة :

ان الصدور واللواحق المستقراة لا تشمل كل الصدور واللواحق اليونانية واللاتينية المتعارفة . فلم نجد منها في مصطلحات المكتب الدائم الا ما فرضتـه الحاجة الملحة . فلم تفكر هيئة عربية أو باحث عربـي في دراسة هذا الموضوع دراسة خاصة تستوجب العناية بها والتعمق فيها بغية استخراج مبادىء عامة منها يمكن ترويجها بعد الاتفاق عليها فتصبح وسيلة من وسائل العمل المشتركـة بين جميع الهيئات العربية المختلفة مثلما هو الشأن في قضية الصدور واللواحق اليونانية واللاتينية في المحافل العلمية الغربيـة .

الملاحظـة الثالثـة :

ان الترجمة غالبة في الصدور الستة والخمسين فلا نجد منها الا أربعـة دخيلـة وهـي :

كيلو (Kilo) في كيلو سعـر (Kilo-calorie) (18)

مـغ (Mag) في مغنطـرون (Magnetron) (19)

---

(18) ذ/244

(19) ذ/273 .

ميكرو (Micro) في ميكروفاراد (Microfarad) (20)
مللي (Milli) في مللي أميتر (Milliammeter) (21)
أو مللي أمبير ميتر (ou Milliampermètre)

وفيها من أنصاف الترجمة وأنصاف والتعريب * ما يبلغ أحد عشر صدرا من ذلك :

A — (اللا/الأ) في اللا أستجيمة واللانقطية والأستكماتزم (Astigmatisme)
Anti — (مضاد/أنتيـ) في مضاد الكلور (Antichlore) وفي انتيمونيات (Antimoniate) (23)
Hémo — (يحمور ، خضاب/هيمو) في يحمور الدم وخضاب الدم وهيموكلوبين (Hémoglobine) (24)
Hydro — (إماهة .../هيدرو) في إماهة — حلمأة — تميه (Hydratation) (25) هيدروماغنيسيت (Hydromagnésite)
Macro — (أكبر/مكرو) في الجزئي الأكبر (Macro - molecule) (26) وفي المكروفيزيا (Macrophysique)
Méga — (مضخم/ميغا) في مضخم الصوت أو ميغافون (Mégaphone) (27)

---

(20) ذ/284 .
(21) ذ/285
نعني بالتعريب أو المعرب خاصة ما يعبر عنه بالفرنسية بـ (Emprunt intégré) أي الكلمات التي تدخل العربية فتخضع لأوزانها . وذلك ما يعنيه الجواليقى في كتابه « المعرب » .
(22) ذ/27 .
(23) ذ/46–47 .
(24) ك/189 .
(25) ك/195 .
(26) ذ/266 .
(27) ذ/281 .

Méta — (مؤقت .../ميتا) في مؤقت الاستقرار — شبه مستقر (Métastable) (28) ما وراء الثابت — نصف مستقر وفي حامض الميتافوسفوريك (Acide métaphosphorique) (29)

Para — (متوازى/باراوى) في مغناطيسي متوازى وباراوي مغناطيسي (Paramagnétique) (29)

Per — (فوق/بر) في فوق كلورات وبر كلورات (Perchlorate) (30)

Poly — (تركيب/بَلْ، بَلَ) في بَلمرية شاكلية تركيبية (Polymérisme) وفي بلمرات (Polymères) (31)

Super — (فوق/سوبر) في سوبرفسفات (Superphosphate) (32) وفي فوق التشبع (Supersaturation)

فالمعربات تمثل بصفة عامة الثلث تقريبا من مجموع الصدور المعنية بالامر في بحثنا هذا ان لم نعتبر ما جاء منها من أنصاف الترجمات .

أما فيما يتعلق باللواحق فانها تنزع ، خلافا للصدور ، إلى الدخيل والتعريب في أغلب الحالات لاننا نلاحظ أن الدخيل منها يشمل خمس عشرة حالة من ذلك :

Ane — (آن) في بوتان (Buthane) وايثان (Ethane) (33)

Ates-Ate — (آت) في كرومات الامونيوم (Chromate d'ammonium) وفي منجنيات ومغنيات (Manganates) (34)

---

(28) ك/230 .

(29) ك/230 .

(30) ك/260 .

(31) ك/274 .

(32) ك/325 ، 336 .

(33) ك/83 ، 165 .

(34) ك/41 ، 225 .

— Eme (يـم) في راسيم (Racème)(35)

— Forme (فورم) في يودوفورم (Iodoforme) (36)

— Gel (جيل) في هيدروجيل (Hydrogel) (37)

— Gène (جيـن) في كازينـوجيـن (Cassinogène) وفي هيـدروجيـن (Hydrogène) (38)

— Hyde (هيـد) في أسيتالدهيد (Acetaldehyde) (39)

— Ia (يا) في أمونيا (Ammonia) (40)

— Ique (يكـا) في علم الأستاتيكا الهوائية (Aérostatique) (41)

في دايا كوستيكا (Diacaustique)

في حامض الفسفوريك (Acide phosphorique)

— Ine (ين) في بنزيـن (Benzine) (42)

— Ium (يوم/يا/ين) في كادميوم (Cadmium)

وفي الومينيا (Aluminium) (43)

وفي سيلينيوم وسيليـن (Sélenium)

— Lyte (ليـت) في البخـار الالكتروليتـي (gaz éléstrolytique) (44)

— Ous (eux-ère) (وز/آوى) في سيليكـاوى (Siliciferous, Silicifère) (45)

---

(35) ك/287 .

(36) ك/206 .

(37) ك/196 .

(38) ك/93 ، 197 .

(39) ك/5 .

(40) ك/38 .

(41) ك/11 ، 12 ، 113 .

(42) ك/67 .

(43) ك/54 ، 34 ، 307 .

(44) ك/155 .

(45) ك/310 .

Tron — (ترون) في بيتاترون (Bétatron) (46)

On (on, ale) — (م/ين) في الألندم (Alundum, Alundon)

في بلاتين (Platinuim, Platine) (47)

في تنتالم (Tantalum, Tantale)

أما الامثلة المتناصفة ترجمة وتعريبا فهي تبلغ أربع عشرة لاحقة . من ذلك

Eux (ous) — (نفيذ/وز) في نفيذ (Poreux) وحامض الزنيخوز (Acide arsenieux) (48)
(Arsenious acid)

Graphe — (مقياس/غراف، جراف) في باروجراف وباروغراف (Barographe)

وفي مقياس طيف الكتلة (Spéctrographe de masse) (49)

Ide (ure) — (مركب/يد؛ين، آت، ور) في أسيت أميت (Acétamide) (50)

وفي زرنخيد ومركب الزرنيخ (Arsenide, Arseniure)

وفي كربيد (Carbide, Carbure)

وفي جلسرين وغليسرين (Glycéride)

وفي اللانثاميدات (Lanthamides)

وفي كبريتيد وكبريتور (Sulphide, Sulfure)

Ine — (وم/ين، ات) في أستامين (Acétamine) (51)

وفي بروم/برومين (Bromine)

وفي بروتينات (Protéines)

---

(46) ؤ/44 .

(47) ك/36 ، 271 ، 328 .

(48) ك/9 .

(49) ك/39 ، 424 .

(50) ك/5 ، 51 ، 90 ، 186 ، 214 ، 331 .

(51) ك/5 ، 80 ، 280 .

Isme – (ية/زم) في المغنطيسية الحديديـة المضادة (Antiferrimagnétisme)
وفي الاستكماتزم (Astigmatisme) (52)

Ite – (حجر .../يت) في حجر الشب/الومينيت (Aluminite) (53)

Mètre – مقياس؛عداد.../متر) في عداد الغاز ، مقيـاس الغاز ، مغـواز
(gazomètre) (54)

وفي أميتر أو امبيرميتر (Ammeter, Ampermètre)

Oîde – (وى/وانى/شبه/ويد) في محلول غروى وغراواني (Solution colloidale)
وفي سيلولويد (Celluloide) (55)
وفي غراوانـي وشبغرى (Colloîde)

Oine – (عقيق/وان) في عقيق أبيض وكلسدوان (Calcedoine, Chalcedony) (56)

One (ones) – (خلون/ون، آت) في أسيتون أو خلون (Acétone) (57)
وفي فلوريدات الكربون (Fluorocarbons, Fluor de carbone)
وفي هرمونـــات (Hormones)

Ose (oses) – (خلية/وز، آت) في سيلولوز/خلووز/خليوز (Cellulose)
وفي هكسوزات (Hexoses) (58)

Ous (eux-ère) – (انظر eux) (59)

---

(52) ق/21، 27 .
(53) ك/34 .
(54) ق/14، 191 .
(55) ق/76، 96، ك/111 .
(56) ك/98 .
(57) ك/6، 179، 194 .
(58) ك/43، 193 .
(59) ك/9، 310، 347 .

Scope — (كاشف ، كشاف، مكشاف مجسم/سكوب) في كاشف او كشاف أو مكشاف كهربائـي (Eléctroscope) (60)

وفي مجسـم الصدر أو ستريوسكـوب (Stéréoscope)

Stat — (مثبت/ستة) في مثبت حرارى أو ترموستة (Thermostat) (61)

نستخلص من اللواحق المستقراة عكس ما استخلصناه من الصدور السابقة الذكر أي أن المعرب والدخيل من اللواحق يكاد يبلغ النصف /29/ من مجموع /47/ لاحقة ان لم نعتبر ما جاء منها من أنصاف الترجمات . وذلك يؤيد المبدأ الذي دعا إليه مصطفى الشهابـي القائل بالتعريب في الكيمياء خاصة وبالترجمة والتعريب في العلوم الاخرى وان لم يقم مبدأه هذا على دراسة إحصائية بل على تخمين فضلا عن أنه لم يشر إلى غلبة التعريب في اللواحق أكثر منه في الصدور مثلما يدل عليه استقراؤنا . وتعليل ذلك يسير لأن العربية مضطرة إلى تعريب اللواحق بكثرة لانها تؤدي وظيفة تمييزية تسمح بالتمييز بين مختلف العناصر الكيمياوية التـي تكاثرت وتنوعت حتى أصبح من الضروري تمييز خصائصها باللواحق لا سيما إذا تشابهت أصولها مثل (Ferrique, ferreux)

لكـن لابد لنـا أن نحترز من هذه النتيجة ان اعتبرنا ما يلحق المبدأ المذكور أعلاه مـن اضطراب في مستـوى التطبيـق وذلك مـا عسانا أن نبينه في الملاحظة التاليـة .

الملاحظـة الرابعـة :

انها تشير إلى الاضطراب الذي يلاحظ في استعمال الصدر الواحد أو اللاحقة الواحدة في نفس الكلمة التـي تـرد مترجمة في الفيزيـاء ومعربـة في الكيميـاء مثـلا

(60) ذ/151، 435 .

(61) ذ/457 .

اللانقطية ، اللاأستجمية ، (Astigmatisme) (62)
الأستكماتزم (Astigmatisme) (63)

ويلحق بهذه الملاحظة الرابعة ترجمة الصادر الواحد أو اللاحقة الواحدة في نفس الكلمة بطريقة تختلف بحسب الفيزيا أو الكيمياء من ذلك

Déformation = تشـويـه، انبعـاج (64) ، Déformation = عيب شكـلي (65)

Dégénération = انحطاط ، انحلال ، Dégénération = فساد (66)

Déhydration = نـزع المـاء (67) ، Déhydration = اخـراج ، انتـزاع ، تخفيف المـاء (68)

Hétérogène = غير متجانس ، متغـاير (69) ، Hétérogène = غير متجانس (70)

Etat métastable = حالة شبـه استقـرار (71) Métastable = مؤقت الاستقرار ، شبـه مستقر (72) ما وراء الثابت ، نصف مستقـر

ونلاحظ من جهة أخرى اختلاف تعريب نفس اللاحقة مثلا في العلم الواحد مثلما هو الشأن في الكيمياء . تدل على ذلك اللاحقة (Ique)

---

(62) ف/27 .
(63) ك/27 .
(64) ف/108 .
(65) ك/136 .
(66) ف/109 .
(67) ك/136 .
(68) ف/109 .
(69) ك/137 .
(70) ف/205 .
(71) ك/139 .
(72) ف/283 .

Acide phosphorique = حامض الفسفـــور (73)
Acide métaphosphorique = حامض الميتـافوسفـوريـك (74) (لاحظ أيضا الاختلاف في الرسم (75)

الملاحظة الخامسة :

استعمال صيغ عربية مختلفة في نفس الكلمات المترجمة تختلف باختلاف العلوم . من ذلك .

تفعيل ، انفعال (تشويه ، انبعاج) لتأدية (Déformation) (76)
فعل (عيب شكلي) لتأدية (Déformation) (77)
فعـل (نـــزع المـاء) لتأديـة (Déhydration) (78)
افتعـال (انتـزاع المـــاء) لتأديـة (Déhydration) (79)
والأمثلة من هذا النوع كثيرة جدا لم نقدم منها الا بعض العينـات .

الملاحظـة السادسـة :

استعمال صدر عربي واحد أو لاحقة عربية واحدة للتعبير عن صدور ولواحق أوربية مختلفة من ذلك .

آلي تعبر عن الصدرين — Auto — و— Re — في محول آلي (Auto transformateur) (80) وفي مقوم آلي (Redresseur) (81)

(73) ك/230 .
(74) ك/12 .
(75) ك/230 .
(76) ذ/108 .
(77) ك/136 .
(78) ذ/109 .
(79) ك/137 .
(80) ك/34 .
(81) ك/293 .

ذو/ذات تعبر عن — Bi — و— Iso — و— Mono — و— Penta — و— Uni — في الأمثلة التاليـة :

مرحل ذو معدنين/ذو فلزيـن (Relai bimétal) (82)

ذولـون واحد (Isochromatique) (83)

ذات الوتر الواحـد (Monochorde) (84)

ذو الخمس (Corps pentavalent ; Pentard) (85)

الكترو ، متر ، ذو الخيط المفـرد (Eléctromètre unifilaire) (86)

ونلاحظ في هذا الصدد أن الصدر « لا » قد أصبح يعبر عن صدور كثيرة منهـا — A — و — An — و — Anti — و — Apo — و — Asy — و — In — و— Non — و— Un — وهـي ثمانيـة صدور .

فيما يتعلق باللواحق نلاحظ أن /آت/ تعبر عن — Ate — و— Ates — و— Ides — و — Ines — و — One (ons) — و — Ones — و — Oses — و هي ثمـان أيضا مما تدل على ذلك الأمثلة التاليـة :

Ate كرومات الأمونيـوم (Chromate d'ammonium) (87)

Ates منجنيات/منغنيات (Manganates) (88)

Ides اللانثانيدات (Lanthanides) (89)

Ines بروتينـات (Protéines) (90)

---

(82) ذ/46 .
(83) ذ/237 .
(84) ذ/293 .
(85) ك/296 .
(86) ذ/471 .
(87) ك/41 .
(88) ك/225 .
(89) ك/214 .
(90) ك/280 .

Ons فلوريدات الكربون (Fluorocarbons ; Fluor de carbone) (91)

Ones هرمونـات (Hormones) (92)

Oses هكســووات (Hexoses) (93)

الملاحظـة السابعـة :

تعريب الصدر أو اللاحقة بطريقتين مختلفتين . من ذلك

Ase عـربت بـ« ايـز » و« آ ز » في أنـاتيـز (Anatase) (94) ومـولتـاز في (Maltase) (95)

Ide عربت بـ« يد » و« ين » في

اسيت آميـد في (Acétamide) (96) وجلسريـن/غليســريـن (Glycéride) (97)

الملاحظـة الثامنـة :

ترجمة الصدر الواحد بطريقتين مختلفتين . من دلك

تحت الأحمـر في (Infra-rouge) (98)

وطيف دون الأحمـر (Spectre infra-rouge)

---

(91) ك/179 .
(92) ك/194 .
(93) ك/193 .
(94) ك/44 .
(95) ك/244 .
(96) ك/5 .
(97) ك/186 .
(98) ذ/244 .

الملاحظة التاسعة :

اعتماد اللواحق الانكليزية في بعض الكلمات واللواحق الفرنسية في كلمات أخرى . من ذلك

حامض الزرنيخوز Acid (Arsenious) وهو في الفرنسية (Acide Arsenieux) (99)

ألاندم (Alundum) وهو في الفرنسية (Alandon) (100)

البلاتين (Platine) وهو في الانكليزية (Platinum) (101)

تنتالم (Tantalum) وهو في الفرنسية (Tantale) (102)

فما هي أسباب كل المعربات والترجمات السابقة ؛ أهي الفوضى وعدم التنسيق ؟ والملاحظ أن هذا لا يحمل على مكتب التنسيق الذي جمّع كل الطرق المستعملة عند العلماء العرب المحدثين . فنلاحظ مثلا فيما جمّع من المصطلحات وجود نزعة إلى الاخذ بصدور ولواحق الانكليزية والفرنسية في بعض الحالات، . من ذلك

كبريتيد/كبريتور للتعبير عن (Sulphide) و (Sulfure) (103).

على أننا نجد من الامثلة ما يخالف لواحق اللغتين بتاتا دون أن نعلم سبب هذه المخالفة . من ذلك

سيليكاوى للتعبير عن (Siliciferous) و (Silicifère) (104)

---

(99) ك/9 .

(100) ف/36 .

(101) ك/271 .

(102) ك/328 .

(103) ك/331 .

(104) ك/310 .

الملاحظة العاشرة :

اختصار بعض اللواحق دون غيرها وذلك لأسباب غير واضحة . من ذلك

الومنيوم/الومنيا (Aluminium) (105)

روبيد/روبيديوم (Rubidium) (106)

سيلينيوم/سيلين (Selenium) (107)

ومن شأن هذا الاختصار أن يخلط اللاحقة Ium باللاحقة Ine مثلا وهما تختلفان في المعنى فينشأ عن ذلك زيادة في الغموض والالتباس .

الملاحظة الحادية عشرة :

استعمال كلمات عجيبة اختلط فيها حابل الأعجمية بنابل العربية فأتانا ذلك بكلمات ومصطلحات أقل ما يقال فيها أنها تدل على الاضطراب وفاسد الذوق . ونرى من المفيد ان تعرب بتمامها حتى لا يساهم هذا النوع من المصطلحات في تعقد المصطلح العلمي ونحن نورد من تلك الكلمات مثالين هامين وهما غير موجودين بمعجم المكتب الدائم . لكن مثيليهما موجودان فيه . وهما :

حمض الايدرو حديدُوسيانيك (108) (Acide hydroferricyanique)

حمض الايدروكسيلين ثنائي السيلفونيك (109) (Acide hydroxylamine disulphonique)

(105) ك/34 .
(106) ك/301 .
(107) ك/307 .
(108) مجمع اللغة العربية : مجموعة المصطلحات العلمية والفنية 9/4 ، 10 .
(109) نفس المرجع .

الملاحظـة الثانيـة عشـرة :

تتمثل في مصيبة الترادف التـي نجدها في صيغ المترجمات من ذلك أن (Anti) يعبـر عنها بـ: المضاد ، الضديد في ضديد النيوتـرينـو (Anti-Neutrino) (110) ومضاد الكلور (Antichlore) (111) . فلقد تبـدلت الصيغة من الفيزيـاء إلى الكيميـاء . فهـل وقـع ذلك عن قصد ؟ فـان كان كذلك فمـا هي علته ؟ ويُعَبَّر عن — Able —بـ: فـاعل له ، فعيل ، فعول من ذلك ان (Malléable) ترجمت بـ: قابل للطرق وطريق وطروق (112)

أما المترادفات المعنوية فهـي غالبة تكـاد تقضـي على كل عمل منظم منسق وان كانت المترادفات الواردة في معجمـي الفيزياء والكيمياء ليست مقصودة في حد ذاتها بل تعتبر عرضا موضوعيا لكل مصطلحات الهيئات العلمية والعلماء ممن شاركوا في وضع المصطلحات العلمية في الاقطار العربية . لكن هذا المظهر لا يمنعنا من أن نلاحظ أن الهيئة الواحدة مثل مجمع اللغة العربية أو اتحاد المجامع أو المجمع العراقي لا تتحرج في وضع مترادفين أو ثلاثة مثلما تشهد على ذلك الامثلة الكثيرة الواردة في مشاريع المعاجم التـي اقترحها مكتب التنسيق على مؤتمر التعريب الثانـي .

واعتبارا لما سبق يجدر بنا أن نستخلص بعض المناهج العلمية لمجابهة هذه القضية مجابهة تتجنب كل ما من شأنه أن يؤول إلى التفاخر بثـراء العربيـة وتمجيده الأمر الذي لا طائل وراءه ما لم يركز على دراسات علمية تؤيد ذلك التفاخر وتؤكد ذلك التمجيد . ولذلك فاننا نرى أولا أن تؤخذ جميـع الاجراءات والوسائل لتشجيع مكتب التنسيق الدائم بالرباط أن يستمر في عمله وأن يجمع المصطلحات حتى يوفر للباحثين وثائق عمل مفيدة للغاية تمكننا

(110) ف/21 .
(111) ك/46 .
(112) ك/224 .

من إلقاء نظرة شاملة على الطرق والمناهج العلمية في الاقطار العربية فنستخلص منها قواعد عامة مشتركة بالاعتماد على الاطراد والشيوع .

وتكملة لذلك فانه ينبغي أن توجه الجهود لحل هذه القضية إلى وجهتين :

(أ) ان تستقرأ كل الصدور واللواحق العربية القديمة الموروثة عن اللغة السامية المشتركة وعن اللغات السامية المجاورة وعن اليونانية واللاتينية القديمتين حتى نتمكن من احصائها وتخصيصها عند الاقتضاء لتأدية الصدور واللواحق الاروبية .

(ب) أما الوجهة الاخرى فهي تنحصر طبعا في استقراء جميع الصدور واللواحق الاروبية من لغاتها ومقارنتها بما يوجد في العربية قديما وحديثا وذلك لوجود أو لوضع مقابلات عربية قديمة أو حديثة يتفق عليها . ان القيام بهذه الاعمال حسب هذا المنهج كفيلة بأن تسمح لنا بالوصول إلى وضع قواعد قارة على ضوء دراسات علمية مقارنة . ولابد أن نصل منها إلى استنباط معايير وقواعد آلية عامة تطبق بانتظام حتى نضمن السرعة في الترجمة .

وليس هذا العمل بعسير اذ في البلاد العربية حاليا من مراكز البحث والاحصاء ومن الباحثين القادرين مما يساعد على الوصول إلى نتائج مفيدة . واقتراحنا مثلا أن تكلف شعبة علم اللغة العام في تونس ومعهد اللسانيات في الجزائر ومكتب التعريب في المغرب بالقيام بتجربة في هذا الميدان عسى أن تكون سابقة ناجعة بالنسبة لما ينتظرنا من اعمال كثيرة ومعقدة في ميدان اللغة

I الصـــــدور (*)

الأعجمية	العربية	العلم والصفحة	المثال الاوربي	المثال العربي
A (I)	لا –	ف/6	Combinaison Achromatique	اتحاد لالوني – تركيبلوني
	لا	ف/22	Apériodique	لا دورى – لا نظامي
	لا	ف/22	Aplanatique	لا زيغي
	غير	ف/23	Apolaire	غير ممتدة
	معطل	ف/26	Suspension astatique	تعليق معطل
	أ	ف/27	Système astatique	النظام الأستاتيكي
	لا/أ	ف/27	Astigmatique	اللانقطية – الأستكماتزم
	لا	ک/15	Acyclique	لا حلقي
	أ	ک/37	Amicron	أميكرون

(*) ف = تفيد الفيزياء والطبيعة .
ک = تفيد الكيمياء .
0 = ترجمت الكاسعة أو اللاحقة ونعني بالترجمة كل ما لم يعبر عنه عامة باسم فاعل أو مفعول أو مقابل مضبوط .
(–) = إيجاز المصطلح الفني : مثال : برومين تصبح بروم .

الأعجمية	العربية	العلم والصفحة	المثال الاوربي	المثال العربي
Allo (2)	متغير – متشكل متا صل	13ف /	Allochromatique	متغير اللون
			Allotropique	متشكل–ذو صور متعددة متأصل
	متغير – متشكل متاصل – مختلف الشكل تا صلي	30/ك	Allotropique	مختلف مشكل – تا صلي – متشكل
An	0	17/ف	Anechoic room - Dead room Chambre sourde	غرفة أو قاعة صماء
	0	17/ف	Anelasticity - internal friction - friction interne	احتكاك باطني
	لا	19/ف	Oscillateur anharmonique	مذبذب لا توافقي
	لا	43/ك	Anacrobique	لا هوائي
Ana		16/ف	Objectif ou lentille Anastigmatique	عدسة نمطية

الأعجمية	العربية	العلم والصفحة	المثال الاوربي	المثال العربي
Anti	التنافر	ف/20	Anti-bonding orbital Orbite à repulsion atomique	مدار الدفع ــ التنافر الذري
	المضادة	ف/20	Anti-ferromagnétisme	المغنطيسية الحديدية المضادة
	ضدية	ف/21	Anti-neutrino	ضدية النيوترينو
	0	ف/21	Antinode/antinoeud	بطن
	مضاد	ك/46	Antichlore	مضاد الكلور
	مبيد	ك/46	Antifungal agent (Fongicide)	مبيد الفطر الطفيلية
	أنتي	ك/47	Antimoniate	انتيمونيات
	لا	ك/47	Théorie antiphlogistique	نظرية اللافلوجستية اللافلوجستية
Apo/Apro	لا ــ أبو ــ سدد	ف/22	Objectif aprochromatique Objectif aprochromatique	عدسة تامة اللالونية عدسة مسددة ــ عدسة أبو كروماتية
Auto	ذاتي	ف/33	Autocollimateur	كوليماتور ذاتي ــ مسدد ذاتي
	الى ــ ذاتي	ف/34	Autotransformateur	محول الي ــ محولة ذاتية
As	لا	ك/54	Synthèse assymétrique	تحليق لا تماثلي

الأعجمية	العربية	العلم والصفحة	المثال الاوربي	المثال العربي
Bi	ثنائي	ف/45	Cristal biaxial	بلورة ثنائية المحور
	0 /ثنائي	ف/45	Lentille biconcave	عدسة محدبة الوجهتين—ثنائية التحدب
	ذو — مثنى مزدوج	ف/46	Relai bimétal	مرحل ذو معدنين—ذو فلزين مزدوج الفلز
	مزدوجة	ف/46	Bandes bimétalliques	صفائح مزدوجة معدنية
	ثاني	ك/70	Bioxyde	ثاني أكسيد
	ثنائية	ك/70	Bivalence	ثنائية التكافوء
Bio	أحياء	ف/47	Biodynamique	الديناميكا الإحيائية
Co	متحد	ف/72	Bobines coaxiales	ملفات متحدة المحور
	مشتركة	ف/72	Ligne coaxiale	المحور المشترك
	تفاعل	ف/91	Ensemble coopératif	تجمع تعاوني
	إسهامية	ك/121	Copolymérisation	التضاعف الاسهامي للاصل—بلمرة إسهامية

الأعجمية	العربية	العلم والصفحة	المثال الاوربي	المثال العربي
Dé	انفعال ــ تفعيل	ف/107	Décomposition électronique	الانحلال الالكتروني
		ف/108	Déformation	تشويه ــ انبعاج
		ف/109	Dégénération	انحطاط ــ انحلال
	نزع	ف/109	Déhydration	نزع الماء
	زوال	ف/110	Deionization	زوال التأين
	نزع	ك/135	Déchloruration	نزع الكلور
	تفعيل ــ فعول ــ افعال	ك/135	Décoloration	نصول ــ تنصيل ــ انصال
	مزيل	ك/135	Carbone décolorant	كربون مزيل الألوان
		ك/136	Déformation	عيب شكلي
	0	ك/136	Dégénération	فساد
	افعال ــ انتزاع ــ تفعيل	ك/137	Déhydration	اخراج ــ انتزاع ــ تجفيف الماء
	0	ك/139	Dépolymérisation	تفرد
Di	تفعل ــ انفعال	ك/139	Dissociation	تفكك ــ انحلال
Hemi = Semi	نصف	ف/205	Hemicolloid	نصف غروى

الأعجمية	العربية	العلم والصفحة	المثال الاوربي	المثال العربي
Hemo = Hae	هيمو	ك/189	Hémoglobine (Haémoglobine)	هيمو كلوبين – يحمور – خضاب الدم
Hétéro	غير متجانس–متغابر	ف/205	Hétérogène	غير متجانس – متغاير
	0	ف/206	Hétéroion/Complexe ion Molécule	مركب أيون جزئي
	غير متجانس	ك/193	Hétérogène	غير متجانس
Hexa	سداسي	ف/206	Hexagonal compact	سداسي الاضلاع كثيف
	سداسي ..	ك/111	Hexagonal	سداسي الشكل
Homo	متجانس	ف/208	Homogène	متجانس
	مشترك – متجانس	ف/209	Homopolar band : covalent band; liaison covalente et homopolaire	ترابط مشترك التكافؤ ترابط متجانس القطبية
	متجانس	ك/194	Homogène	متجانس
	متشاكل – متماثل مماثل	ك/194	Homologue	متشاكل–متماثل–مماثل

الأعجمية	العربية	العلم والصفحة	المثال الاوربي	المثال العربي
Hydr	0	195/ك	Hydratation	اماهـة – حلمأة – تميه
	هيـدر		Hydromagnésite	هيدروماغنيست
Hyper	مفـرط	212/ف	Spectre hyper fin	طيف مفرط الدقة
	فـرط	212/ف	Hypersonique	فـرط صوتـي
	طـول	212/ف	Hypermétropie	طـول النظـر
Hypo	تحـت	199/ك	Hypoborate	تحـت بـورات
	أقـل – ناقص	201/ك	Hypotonique	أقل اسموزيا – ناقص التوتر
In	لا	218/ف	Incohérent	لا متـرابـط
	غيـر ...	218/ف	Fluide incompressible	مائع غير قابل للانضغاط
	عـدم	219/ف	Incompressibilité	عـدم القابليـة للضغـط
	0	219/ف	Indépendant invariable	المتغيـر المستقـل
	غيـر – لا	204/ك	Inorganique	غيـر ولا عضـوى
	عديمـة – 0	204/ك	Sels insolubles	أملاح عديمـة الذوبـان
				أمـلاح عقيمـة

الأعجمية	العربية	العلم والصفحة	المثال الاوربي	المثال العربي
Infra	تحت — 0	224/ف	Infra-rouge	تحت الاحمر — تحمر
	دون	224/ف	Spectre infra-rouge	طيف دون الاحمر
Inter	0	230/ف	Interphase - couche limite entre deux phases	طبقة فاصلة بين طوري طبقة الحديين
	0		Espace interstellaire	فضاء النجوم
Ir	0	235/ف	Irradiation	تشعيع — اشعاع — تشعع
Iso	تساوى	236/ف	Ligne isobar	خط تساوى
	متشابه — ذو .. واحد	237/ف	Isochromatique	متشابه اللون — ذو لون واحد
	متفاعل — متساوى	237/ف	Isochrone	متساوى الزمن — متواقت
	تشاكل	239/ف	Isomorphesme	خاصية تشاكل الأجزاء
	ثابت	240/ف	Equilibre isothermique	توازن ثابت درجة الحرارة
	متعادل	241/ف	Isotones	متعادلات البتوترونات
	تشابه — تفاعلية	208/ك	Isomérisme	التشابه — التجازئية
	متوازن	209/ك	Isotonique	متساوى الاسموزية ؛ متوازن التناضح

الأعجمية	العربية	العلم والصفحة	المثال الاوربي	المثال العربي
Kilo	كيلو	ف/244	Kilo calorie	كيلو سعر
Macro	0	ف/266	Macro molécule	الجزئي الاكبر
	المكرو – 0	ف/266	Macrophysique	المكروفيزياء (فيزياء الاجسام الكبيرة)
	0			
Mag	مغ	ف/273	Magnétron	مغنطرون
Méga	ميغا – 0	ف/281	Mégaphone	ميغافون – مضخم الصوت
Méta	شبه	ف/283	Etat métastable	حالة شبه استقرار
	ميتا	ك/230	Acide métaphosphérique	حامض الميتافوسفوريك
	مؤقت – شبه			
	ما وراء – نصف	ك/230	Métastable	مؤقت الاستقرار . شبه مستقر ما وراء الثابت–نصف مستقر
Micro	ميكرو	ف/284	Microfarad	ميكروفاراد أو ميكروفراد
	مضخم	ف/284	Microphotographe	صورة مضخمة للصوت
	دقيق	ف/284	Microphotographie	تصوير دقيق
	0	ف/285	Microscope	مجهر

الأعجمية	العربية	العلم والصفحة	المثال الاوربي	المثال العربي
Milli-	مللي	285/ف	Milliammeter (Milliampermètre)	مللي أميتر ؛ مللي امبيرمتر
Mono	ذات ـ .. الواحدا	293/ف	Monochord/Monocorde	ذات الوتر الواحد ـ أحادية أو وحيدة الوتر الواحد
	أحادى ـ وحيد			
	متفاعل ـ ذو	294/ف	Monochromatique (source lumineuse)	منبع ضوئي متلاون (ذولون واحد)
	بسيط	294/ف	Monomère	مجموع جزئيات بسيطة
	أحادى	234/ك	Monotrope	أحادى الصورة
	مونو ـ أحادية	235/ك	Monotropie	مونوتروبية ـ أحادية الصورة
Mono = Proto	أول ـ أحادى	235/ك	Monoxide/Protoxyde	أول أكسيد ـ أكسيد أحادى
Multi	متعدد	297/ف	Rayonnement multipolaire	اشعاع متعدد القطبية
	الكاثرة	297/ف	Multivibrateur	المهزة الكاثرة
Non	عدم	305/ف	Non linéarité de l'oreille	عدم خطية الأذن
	غير	305/ف	Non éclairant	غير مضيء
	لا	305/ف	Non métal	لافلز

الأعجمية	العربية	العلم والصفحة	المثال الاوربي	المثال العربي
Pan	بـان	ك/254	Panachromatique	بانكروماتي
Pana	حساسة	ف/320	Panachromatique	حساسة للالوان
Panta	بانتا	ك/254	Pantachromisme	البنتاكروماتية
Para	متـواز	ف/321	Parallélogramme	متوازى أضلاع القوى
	البـارا	ف/321	Paramagnétisme	البارا مغنطيسية ـ المغناطيسية المساسة
	بارا ـ باروى	ك/255	Para	بارا ـ باروى
		ك/255	Paraldéhyde	بارااللدهيد
	متوازى ـ باراوى	ك/255	Paramagnétique	مغناطيسي متوازى (باراوى) متوازى المغناطيسية
Patho	ممرض ـ مرضي	ك/258	Pathogénique	ممرض ـ مرضي

الأعجمية	العربية	العلم والصفحة	المثال الاوربي	المثال العربي
Penta	خماسي	259/ك	Penta	خماسي
	ذو الخمس	259/ك	Pentad/groupe de cinq corps pentavalent	ذو الخمس
	خامس		Acide pentathionique	حامض خامس البتتيونيك
	بـن	259/ك	Pentane	بنتان
Per	فوق	260/ك	Acide perborique	حامض فوق البوريك
	بر – فوق	260/ك	Perchlorate	بر كلورات–فوق كلورات
Pléo	تعدد – تغير	321/ف	Pléochromisme	تعدد الالوان – تغير لوني
Poly	متعدد	346/ف	Polychromatique	متعدد الالوان
	0	346/ف	Polygone des forces	مضلع القوى
	كثير – عديد	273/ك	Polyatomique	كثير الذرات – عديد الذرات
	عام	274/ك	Polyclinique	مستشفى عام
	تركيب	274/ك	Polymérisme	بلمرية شاكلية تركيبية
	بل	274/ك	Polymères	بلمرات

الأعجميـة	العربيـة	العلم والصفحة	المثـال الاوربـي	المثـال العربـي
Poly	متعدد ــ شكلية	274/ك	Polymorphe	مادة متعددة الشكل ــ مـادة شكليـة
Pro = Mono	0			
Ré	0	395/ف	Reversibilité	المعكوسية ــ قابل للانعكاس
	استفعـال	292/ك	Récupération	استرداد ، استعادة ، استرجاع
	اعـادة	292/ك	Récristallisation	اعـادة البلـورة
	آلـي	293/ك	Redresseur	مقـوم آلـي
Super = sur	0	441/ف	Super conducteur	نقل في حالة الموصلية
	فـوق	441/ف	Supersaturée (solution)	محلول فوق مشبع
	سـوبـر	325/ك	Superphosphate	سوبر فسفات
	فـوق	336/ك	Supersaturation	فـوق التشبـع
	تفاعـل		Supercomposition	تـراكـب
	زيـادة	319/ف	Surchauffage (over cooling)	زيـادة التسخيـن
Syn	تفاعـل	445/ف	Synchronisme	تـزامن
	تفعيـل	445/ف	Synthèse	تركيـب

الأعجمية	العربية	العلم والصفحة	المثال الاوربي	المثال العربي
Tri	مثلث	ف/465	Triangle des forces	مثلث القوى
	ثلاثي	ف/466	Coefficients trichromatiques	معادلات ثلاثية الألوان
			Système trivariant	نظام ثلاثي التغير
Ultra	متطرف – دقيق	ف/469	Ultra filtration	رشح متطرف–ترشيح دقيق
	فوق	ف/469	Ultrasonique	فوق السمعي
			Ultra-violet	فوق البنفسخي
Un	لا – غير	ف/470	Unbalance/Unbalanced	لا توازن – غير متوازن
	غير – عدم	ك/338	Unsaturation; Unsaturable	غير قابل للتشبع – عدم التشبع
Uni	وحيد	ف/470	Unidirectionnel	وحيد الاتجاه
	منتظم	ف/471	Effluent égal (Uniform plow)	انسياب منتظم
	ذو .. المفرد	ف/471	Electro-mètre unifilaire	الكترو متر ذو الخيط المفرد
	أحادى	ك/338	Univalent	أحادى التكافؤ

II – اللـواحـق

الأعجمية	العربية	العلم والصفحة	المثال الاوربي	المثال العربي
Able	قابل – فعول – فعيل	ك/224	Malléable	قابل للطرق–طريق–طروق
Ane	آن	ك/165 ك/83	Ethane Butane	ايثـان بـوتـان
Ase	يـز آز – 0	ك/44 ك/224	Anatase Maltase	أناتيـز مولتاز – ملتـاز فالـق الشعيـر
Ate	آت	ك/41 ك/41	Chromate d'ammonium Chloroplombate	كرومات الأمونيـوم كلور رصاصات الأمونيوم
Ates	آت	ك/225	Manganates	منجنيات – مغنيات
Eme	يـم	ك/287	Racème	راسيـم
Ene	يـن يـن – ول	ك/7 ك/67	Acétylène Benzène (Benzol) Benzine	استيليـن بنزول – بنزيـن

الأعجمية	العربية	العلم والصفحة	المثال الاوربي	المثال العربي
Eur	فعالة ــ آلة فعال مفعّل مفعل	385/ف 14/ك 3/ك	Réfrigérateur Activeur Accumulateur	برادة ، آلة تبريد براد ، ثلاجة منشط معجل ــ مسرع ــ دراسة ...
Eux	فعيل ــ ذو	347/ف	Poreux	ذو مسام ــ مسامي نفيذ
Eux = Ous	وز	9/ك	Acide arsénieux Acid (Arsenious)	حامض الزرنيخوز
Forme	فورم	206/ك	Iodoform	يودوفورم
Gal = Ug	نابذ ــ مبعد ــ طارد	97/ك	Centrifugal	مركس ــ نابذ ــ طارد مركزى مبعد عن المركز
Gel	جيل	196/ك	Hydrogel	هيدروجيل
Gène	جين	93/ك 197/ك	Hydrogène Cascinogène	هيدروجين كازينوجين

الاعجميـة	العربيـة	العلم ومصفحة	المثـال الاوربـي	المثـال العربـي
Gie	علـم	ك/134	Cytologie	علم الخلية أو مخلايا
Gramme	0 /رسم	ف/113	Diagramme	منحن بياني — رسم بياني أو تخطيطـي
Graphe	جراف — غراف مقيـاس راسم — مرسمـة قيـاس مفاعلـة	ف/39 ف/424 ك/60 ف/345 ف/371	Barographe Spectrographe de masse Oscillographe des rayons Cathodiques Polorographie Radiotélégraphie	بارو جراف — بارو غراف مقياس طبق الكتلة راسم الاشعة — مرسمة اشعة الكاتود للذبذبات المهبطية قياس شد الاستقطاب المراسلة اللاسلكية — بـرق سلكـي
Hyde	هيـد	ك/5	Acétaldéhyde	اسيتالدهيـد
Ia	— يـا	ك/38	Ammoniaque/Ammonia	النوشادر — أمونيـا

الأعجمية	العربية	العلم والصفحة	المثال الاوربي	المثال العربي
Ible	0	102/ف	Cycle irréversible	دورة متغيرة الاتجاه
	قابل	384/ف	Régrangible	قابل للانكسار
	يمكن	391/ف	Résistible	يمكن مقاومته
	منفعل—قابل— فعول	299/ك	Reversible	منعكس—قابل للانعكاس— عكوس
Ide = Ure	يد	5/ك	Acétamide	أسيت آميد
	يد — مركب	51/ك	Arsénide (Arseniure)	زرنخيد — مركب الزرنيخ
		90/ك	Carbide ; carbure	كربيد
	ين	186/ك	Glycéride	جليسرين — غليسرين
	آت	214/ك	Lanthanides	اللانثانيدات
	يد — ور	331/ك	Sulphide = sulfure	كبريتيد — كبريتور
Ine	ين	5/ك	Acétamine	استامين
	(—)	80/ك	Bromine	بروم — بromين
Ine (s)	آت	280/ك	Proteines	بروتينات

الأعجمية	العربية	العلم والصفحة	المثال الاوربي	المثال العربي
Ique = ic	يكـا يـك ور يـك	11/ف 113/ف 12/ك 173/ك	Aérostatique Diacaustique Acide phosphorique Ferrique	علم الاستاتيكا الهوائية دياكوستيك حامض الفسفور حديديك
Ium	يـوم يوم — يا (—) يوم — ين	54/ف 13/ك 34/ك 301/ك 307/ك	Cadmium Actinium Aluminium Rubidium Sélenium	كادميوم اكتنيوم مومنيوم — مومنيا روبيدا — روبيديوم سيلينيوم — سيلين
Isme	زم يـه	27/ف 27/ف	Astigmatisme Antiferromagnétisme	الاستكماتزم المغنطيسية الحديدية المضادة
Ite	— يت يـت	34/ك 45/ك	Aluminite Anthracite	حجر الشب — الومينيت انثراسيت

الأعجمية	العربية	العلم والصفحة	المثال الاوربي	المثال العربي
Ité	ـ يـة	ف/19	Anharmonicité	اللاتوافقية
	يـ ة ـ قابلية	ف/113	Ductilité	المطاطية ـ مطوطية ؛ قابلية المط
	قابلية	ف/343	Polarizabilité	قابلية الاستقطاب
Less = sans	لا	ف/490	Wireless	لاسلكي
Lyse	تحليل	ك/156	Electrolyse	تحليل بالكهرباء
Lyte	ليت	ك/155	Gaz électrolytique	البخار الالكتروليتي
Mètre	ميزان ـ متر	ف/12	Thermomètre	ميزان حرارة الهواء ـ ترمومتر هوائي
	متر	ف/14	Ampermètre - Ammeter	أميتر ـ أمبير متر
	مفعال	ف/25	Aéromètre	مكشاف ـ مكشاف السوائل
	مقياس ـ عداد مفعال	ف/191	Gazomètre	عداد الغاز ـ مقياس الغاز مغواز
	مقياس ـ مفعل	ف/193	Gomiomètre	مقياس الزوايا ـ مثقل
	مفعال ـ مستفعل	ف/198	Lactomètre	مكشاف ـ مستكشف اللين
	مقياس ـ مفعال	ك/23	Alcoholimètre	مقياس الكحول ـ مكحال

الأعجميـة	العربيـة	العلم والصفحة	المثـال الاوربـي	المثـال العربـي
Métrie	قيـــاس	ف/25	Aéromètrie	قياس كثافة السوائـل
	قياس ـ تفعيل	ف/55	Calorimétrie	قياس الحرارة ـ تسعيـر
	تفعيل ـ مفعالية	ك/23	Alcoolémétrie	تقدير الكحولات ـ مكحالية قيـاس الكحـول
Oide	وي ـ اتي	ف/76	Solution colloidale	محلول غروى ـ غرواني
	شبـ ـ شبـه	ك/22	Albuminoide	شبزال أو شبـه زلالي
	يد ـ اني ـ شبه	ك/29	Alkaloide	القلويـد ـ قلوانـي ـ شبـه قلوانـي
	ويـد	ك/96	Celluloide	سلولـويـد
	وانـي ـ شبـ	ك/111	Colloide	غراوانـي ـ شبغـرى
	ويـد	ك/197	Hydroide	هيـدرويـد
Oine	0 ـ وان	ك/98	Calcedoine/chalcedony	كلسدوان ـ عقيق أبيض
Ol	ول	ك/68	Benzol	بنـزول

الأعجمية	العربية	العلم والصفحة	المثال الاوربي	المثال العربي
One = Ons	ون	6/ك	Acétone	اسيتون – خلون
	ات	179/ك	Fluorocarbons Fluor de carbone	فلوريدات الكربون
	ات	194/ك	Hormones	هرمونات
Ose = Side	وز	43/ك	Amylose - Polyglucoside	أميلوز
	وز	96/ك	Cellulose	سيلولوز – خلووز – خليوز
Oses	ات	193/ك	Hexoses	هكسوزات
Ous = Eux	وز انظر (eux)			
Ous = Ere	اوي	310/ك	Siliciferous ; silicifère	سيليكاوي
Phone	فون – 0	281/ف	Mégaphone	هيجافون – مضخم صوتي
	فون	371/ف	Radiophone	راديوفون – التليفون اللاسلكي
Phonie	0	371/ف	Radiotéléphonie	التلفنة – محادثة لاسلكية

الأعجمية	العربية	العلم والصفحة	المثال الاوربي	المثال العربي
Scence	يـة	ف/60	Cathodoluminescence	الاضاءة الكاثودية
	تفعـل	ف/110	Deliquescence	التميـع
Scope	كـاشـف – كـشـاف مكشـاف	ف/151	Electroscope	كاشف أو كشاف أو مكشاف كهربـائـي
	سكوب – مفعال	ف/159	Epidiascope	ابدياسكوب او مبصار خلالي
	مكشـاف	ف/177	Fluoroscope	مكشاف الفلوريـة
	سكـوب – 0	ف/198	Gyroscope	جايروسكوب–جيروسكوب (العجلـة الدائـرة)
	سكـوب – 0		Microscope électronique	ميكروسكوب الكتروني مجهر الكترونـي
	مجسم – سكوب	ف/435	Stéréoscope	مجسم الصور – ستريوسكوب
Scopie	فحـص	ك/127	Cryoscopie	الفحـص بالتبريـد
Sphère	جـو	ف/457	Thermosphère	جوحـراري

الأعجمية	العربية	العلم والصفحة	المثال الاوربي	المثال العربي
Stat	مثبت – ستة موقف	ف/457 ك/61	Thermostat Bactériostat	مثبت حرارى – ترموستة موقف بكتيرى
Tron	ترون	ف/44	Bétatron	بيتاترون
Um = On	م ين م	ف/36 ك/271 ك/328	Alundum ; Alundon Platinum ; Platine Tantalum ; tantale	الأندم بلاتين تنتانم
Yl	يل	ك/62	Aryl (e)	أريل – عطريل

مساهمة في التعريف بـآراء عبد القاهر الجرجاني في اللغـة والبلاغـة

بقلم : عبد القادر المهيري

لم يغفل مؤرخو البلاغة العربية عن عبد القاهر الجرجاني ، ولم تخف عنهم آراؤه الواردة في كتابيه « دلائل الاعجاز » و « أسرار البلاغة » ، بل اعتبر كل من تتبع تطور التأليف في هذا الفن عمله مرحلة هامّة في تبلوره واكتماله ، كما تحدث عنه المهتمون بالنقد عند العرب والدارسون لأثر اليونان في الثقافة العربية (1) . إلا أن جل ما أمكننا الإطلاع عليه مما كتب عن الجرجاني يبدو لنا متأثرا بالحرص على البحث عن مدى تأثر الجرجاني باليونان وأرسطو خاصة ، أو عن دور الجرجاني في أبواب البلاغة الثلاثة كما ستضبط نهائيا في القرن الثالث . ولا شك أن البحث عما يأخذه مؤلف « أسرار البلاغة » عن أرسطو يعين على توضيح آرائه وتفهم نظريته . إلا أن النظر اليه باعتباره « واضع أساس علمي البيان والمعاني » (2) أو « نظريتي علم

(1) انظر على سبيل المثال : شوقي ضيف : البلاغة : تطور وتاريخ ط 2، القاهرة : ص 219 ؛ عبد العزيز عتيق : في تاريخ البلاغة العربية : بيروت 1970 : ص 245–259 ؛ محمد مندور : النقد المنهجي عند العرب : القاهرة ص 325–ص 332 ؛ في الميزان الجديد : القاهرة 1973 : ص 181–202 ، إبراهيم سلامة : بلاغة ارسطو بين العرب واليونان ط 2 ، القاهرة 1371/ 1952 : ص 352 ص 394 .

(2) عبد العزيز عتيق : المصدر المذكور ص 264 .

المعاني والبيان » (3) من شأنه أن يدعو إلى وضع تفكيره في نطاق ضيّق ، ويحمّله بعض المسؤولية في تحجر البلاغة العربية ابتداء من القرن السادس بإخضاعها لتبويب يتنافى وطبيعة ما تبحث فيه ، ويوهم بأن كتابيه غايتهما تصنيف لفنون القول وطرق التعبير ، فلا يختلفان كبير الاختلاف عما وُضع قبله من الكتب كالبديع لابن المعتز ، والصناعتين للعسكري . ولا يبدو لنا أن هذا هو الهدف الذي كان الجرجاني يرمي اليه ، ولا أن التبويب كان شغله الشاغل . لقد كانت البلاغة قبل الجرجاني إحصاء وتعريفا ، إحصاء للتعابير البيانية والمحسنات اللفظية ، وتعريفا لها بتسميتها وتوضيح خصائصها الشكلية أو المعنوية حتى تُتّخذ مقاييس لتقييم الكلام وربما وسائل تعليمية لتكوين الكتّاب (4) . ولذا فإن قراءة المؤلفات التي نزعت هذا المنزع تحدث ضربا من خيبة الظن لأن أصحابها يرومون إحصاء ما يستعصي عن الإحصاء ، وضبط ما ينفر من التقعيد والتقنين ، ولأنهم يقدّمون قوالب جاهزة لقيس البلاغة عوض منهج للبحث عن أسبابها ، ويستعرضون الفنون بصورة توهم بأن لها قيمة في حد ذاتها وليست رهينة سياقها . فالبلاغة حسب ما يفهم من هذه التآليف هي في العبارة والكلمة لا في التركيب والسياق وتلاحم أجزاء الكلام ؛ لذا تسنى التبويب وتُوهمت إمكانية التقعيد في ميدان يخضع قبل كل شيء لإرادة المتكلم وقدرته على التصرف في معطيات اللغة وابتكاره .

أما كتابا الجرجاني فيختلفان في نظرنا تمام الاختلاف عما نسميه كتب التبويب . لا شك في أن « أسرار البلاغة » فيه من التبويب ما يوهم بأنه ألف على غرار كتب السلف ، فهو يتناول بالدرس الاستعارة والتشبيه والتمثيل والحقيقة والمجاز وهي من جملة الأساليب التي ضبط حدودها مؤلفو القرنين الثالث والرابع ؛ والجرجاني في حديثه عنها يعرّف ويقسّم ، ويرتب

(3) شوقي ضيف : المصدر المذكور ص 160 .

(4) يقول العكسري في بداية كتابه « الصناعتين » : « رأيت ان اعمل كتابي هذا مشتملا على جميع ما يحتاج إليه في صنعة الكلام نثره وشعره » ، القاهرة 1971 ، ص 11 .

ويبحث عن مقاييس قارّة للحكم فيها . ولكن غايته من كل هذا ليست مجرد الإحصاء والتبويب ولذا يجيب منتقديه مسبقا فيقول لهم :

«ولعلّ الملال إن عرض لك ، أو النشاط إن فتر عنك قلت : ما الحاجة إلى كل هذه الإطالة وإنما يكفي أن يقال : الإستعارة مثل كذا فتُعدّ كلمات وتُنشد أبيات ، وهكذا يكفينا المؤنة في التشبيه والتمثيل يسير من القول.... ولئن كان الذي نتكلف شرحه لا يزيد على مؤدّى ثلاثة أسماء هي التمثيل والتشبيه والإستعارة فإن قولنا « شيء » يحتوي على ثلاثة أحرف ، ولكنك إذا مددت يدا إلى القسمة وأخذت في بيان ما تحويه هذه اللفظة احتجت إلى أن تقرأ أوراقا لا تحصى ، وتتجشم من المشقة والنظر والتفكير ما ليس بالقليل النزر... ، فهذا مثلك إن أنكرت ما عنيتُ به من هذا التتبع ، ورأيتَه من البحث ، وآثرتَه من تجشم الفكرة وسومها أن تدخل في جوانب هذه المسائل وزواياها وتستثير كوامنها وخفاياها.... » (5) .

فالغاية من هذا الكتاب ليست استعراض الأساليب وملاحظة وجودها وإنما البحث في أسباب بلاغتها ؛ وبلاغتها ليست مطلقة بل هي رهينة ما توحي به للسامع ، وما تدل عليه من قدرة على التصرف في المعاني ، والتوفيق في اختيار الصورة الملائمة ؛ ولا يمكن التوصل إلى ذلك بمجرد التسمية والتعريف ، بل يتحتم البحث عن أسسها المعنوية وهذا ما يشير إليه الجرجاني عندما يقول :

« واعلم أن غرَضي في هذا الكتاب... أن أتوصل إلى بيان أمر المعاني كيف تختلف وتتفق ، ومن أين تجتمع وتفترق ، وأفصّل أجناسها وأنواعها ، وأتتبع خاصها ومشاعها ، وأبيّن أحوالها في كرم منصبها من العقل وتمكنها في نصابه وقرب رحمها منه أو بعدها حين تنسب إليه... » (6) .

---

(5) اسرار البلاغة ط اسطنبول 1954 ص 240–241 .
(6) المصدر المذكور ص 25 .

وهكذا فأساس البحث في كتاب « أسرار البلاغة » هو المعنى ، والأساليب التي درست فيه تصبح رهينة ما ترد فيه من الكلام ، لأن المعنى لا يمكن أن يجزأ أو تعزل بعض عناصره ؛ والجرجاني نفسه يشير في مقدمة كتابه إلى أهمية « التأليف والتركيب » في تقدير « تفاضل الأقوال » (7) . ولذا نقول إن الناحية المنهجية في هذا الكتاب هي ما يسترعي الإنتباه ، لا ناحية الإحصاء والتبويب ، وإن الجرجاني يلوح فيه مدافعا عن نظرية في طريقة تحليل الكلام من الوجهة البلاغية ، نظرية قوامها أن « قضايا العقول هي القواعد والأسس التي يُبنى غيرها عليها والأصول التي يُرد ّ ما سواها إليها » (8) .

أما كتاب « دلائل الاعجاز » فمظهره الجدلي يدل ّ أيضا على أن صاحبه يفند فيه آراء شائعة ، ويدافع فيه عن مذهب لا يرى الصواب في غيره . وتخطيطه — رغم ما يبدو فيه من انعدام الترتيب — يترجم عما أراده المؤلف من تغليب نظرية على أخرى بتدعيم براهينه هو وتوهين حجج الخصم ؛ بدأ بتقديم آرائه فيما يختص به الكلام ويتميّز به عن اللغة وفيما يبدو له أساسا للبلاغة ، ثم حلل طائفة من التراكيب الدالّة على سداد رأيه ، وعاد في النهاية إلى الجانب النظري من عمله يبحث له عن مستندات إضافية بتفنيد كل ّ ما يتنافى مع تصوّره لإعجاز القرآن والبلاغة بصفة عامة . ولئن اعتنى الجرجاني في هذا الكتاب بطرق من التعبير مختلفة ، وحلّلها باحثا فيها عن أسباب بلاغتها فليس ذلك إلا على سبيل المثال وللإقناع بوجاهة ما يذهب إليه .

فأهم شيء في كتابي الجرجاني ليس في نظرنا ما حلل من أساليب واستخرج من دقيق المعاني وطريفها — وإن دل ّ ذلك على فطنة عجيبة وفكر ثاقب — ولكن مستنداته النظرية ومواقفه المبدئية ؛ فهو سواء شرح نظريته أو

(7) المصدر المذكور ص 3 .
(8) المصدر المذكور ص 345 .

فنّد آراء غيره ، أو حلل نماذج من الكلام البليغ ، يرجعنا دوما إلى منطلقات مبدئية تكوّن أساس آرائه في اللغة (9) والبلاغة .

لذا رأينا من المفيد الإسهام في التعريف بهذه الأسس مستغلين ما بدالنا وجيها من أعمال من اعتنى قبلنا بالجرجاني ، مضيفين إلى ذلك ما تمكنا بدورنا استنتاجه من كلامه وملاحظاته التي — حسب ما نعتقد — لم تلفت بصفة خاصة انتباه الدارسين .

***

ولنحاول أولا أن نبين كيف يندرج عبد القاهر الجرجاني في تاريخ البلاغة العربية ، وكيف ترتبط آثاره بالتيارات التي ساعدت على تكوين التراث البلاغي ، وغذته بالنظريات ونماذج القول . لا شك أن الغموض ما زال يسود ظروف نشأة البلاغة عند العرب باعتبارها علما من علوم اللسان ؛ لكن لئن كانت أقدم الوثائق المتّصلة بهذا العلم هي التي أوردها الجاحظ في كتاب البيان — أي في كتاب ألّف في القرن الثالث الهجري (10) — فإنه لا يعقل أن نعتبر أن التفكير البلاغي — أي التفكير في فنون القول وأسباب حسنها وتأثيرها — لا يرجع عهده إلى ما قبل هذا القرن ؛ فما يتضمنه كتاب الجاحظ من تساؤل عن ماهية البلاغة ، وإثارة لمشاكل تتعلق باللفظ والمعنى ،

(9) لعل أول من لفت النظر إلى الأسس اللغوية لمنهج الجرجاني هو محمد مندور (انظر النقد المنهجي عند العرب ص 325—ص 322 ؛ في الميزان الجديد : ص 181 ص 202) . ويعتبر أن نظريته في اللغة « تماشي ما وصل إليه علم اللسان الحديث من اراء » وأنه اكتشف قبل دي سوسور (De Saussure) أن اللغة مجموعة علاقات مستندا إلى اعتبار الجرجاني الكلام نظما قبل كل شيء أي تعليق لفظ بلفظ . ولا شك في طرافة نظرية عبد القاهر كما سنرى ، إلا أن « صاحب الميزان الجديد » قد ضيق من مفهوم العلاقة (Rapport) في علم اللغة الحديث ، إذ هي لا تعني علاقة الكلمات بعضها ببعض في نطاق التركيب فحسب ، بل هي تشمل أيضا علاقة الكلمات بعضها ببعض في معناها اللغوي ، وتقابل الأصوات ، وقيمة العلامة اللغوية القائمة على مفهوم الفرق ... انظر في هذا الصدد كتاب (De Saussure) (Cours de linguistique générale) : باريس 1955 ص 170—184 .

(10) انظر خاصة الجزء الأول من تحقيق عبد السلام هارون القاهرة 1367—1948 ؛ انظر في شان تأليف البيان والتبيين : طه الحاجري : الجاحظ : حياته وآثاره : دار المعارف ط 2 : ص 423 وما بعدها .

وعناية بظروف الكلام وشروطه...، ومصطلحات تبدو متبلورة ، كل ذلك يمثل قضايا لا يمكن أن تتبلور بسرعة ، ويدلّ على أن بوادر التفكير البلاغـي قد مضى عليها زمن طويل عندما شرع الجاحظ في تـأليف كتابه (11) . ومهما كان الأمر فـإن نشأة علم كالبلاغة لا يمكن — وإن بقيت كل الـوثـائق التـي تمتّ إليه بصلة — أن تضبط بتاريـخ محدد ، أو تنسب إلى مفكر واحد ، وإنما هـي في الحقيقة عملية تدريجية بطيئة ، تتظافر على حدوثها عوامـل مختلفة وتيارات متنوعة .

ويمكن أن نعتبر أن البلاغة العربية تـكونت ، وتبلورت ، وتطورت خاصة نتيجة عاملين إثنين : عامل كلامـي وعامل أدبـي ؛ فقد كان الجـدل الذي نشأ خاصة حول القرآن وإعجازه من الحوافز الباعثة على التساؤل عن أسباب تفاضل الكلام وأسس بلاغته ، كما كانت مواقف الناس إزاء الشعـر قديمه ومحدثه وتفضيلهم شاعرا على آخر دافعا إلى البحث كذلك عن أسبـاب توجد في النص المفضّل لا في نفس صاحب الحـكم (12) ، وهذا بالإضـافة إلى عامل آخر تمثل في التـأثير اليونانـي ابتداء من القرن الرابـع خـاصة . ولعلّ آثار الجاحظ تصور تظافر جلّ هذه العوامل بتنوّع ما فيها من إشارات مركّزة تارة على دور البيان ، وطورا على القرآن ، ومرّة ثالثة على الخطـابة والمناظرة (13) . ولم تمض مدّة طويلة من الزمن حتـى تجاوز الناس الملاحظات

(11) قد حاول عدد من الدارسين المعاصرين تتبع بوادر البلاغة العربية بالبحث عن الاشارات والملاحظات المقتضبة التـي تدل على حرص أصحابها على معرفة أسباب استحسانهم لما يسمعون أو يقرؤون . انظر خاصة في هذا العدد : سيد نوفل : البلاغة العربية في دور نشأتها : القاهرة 1948 ؛ شوقي ضيف : المصدر المذكور : ص 9—ص 45 ؛ عبد العزيز عتيق : المصدر المذكور ص 7—ص 50 ؛ محمد خلف الله أحمد : اثر القرآن في نظر النقد العربي : دار المعارف مصر 1961 ص 29—ص 71 .

(12) انظر في « طبقات فحول الشعراء » لابن سلام الجمحي (ص 23) قول خلف الاحمر على أن مجرد الاستحسان لا يكفـي لانه لا يحسم الخلاف ، وقول ابن سلام تعليقا على ذلك : « للشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات » .

(13) انظر خاصة البيان والتبيين ج 1 والحيوان تحقيق عبد السلام هارون ط 2 ج 1 ص 44 ومـا بعدهـا .

المقتضبة والأقوال المحدودة في البلاغة إلى تصنيف المؤلفات الرامية إلى إحصاء ما لاح لهم سببا للبلاغة وتبويبه والتعريف به ؛ فكان كتاب «البديع» لابن المعتز « ونقد الشعر » لقدامة بن جعفر و « الصناعتين » لأبي هلال العسكري و « العمدة » لابن رشيق . إلا أن الاهتمام بقضية إعجاز القران لم ينحصر أثره في تغذية هذا النوع من التاليف بل كان باعثا على وضع تآليف عديدة طيلة القرون الثالث والرابع والخامس . ولئن كانت هذه التصانيف خاصة بمسألة الإعجاز فإن أثرها في تطوير فن البلاغة وإثراء مادّته عظيم . فالموضوع – بالإضافة إلى أبعاده الدينية وقضاياه الكلامية – له بطبيعته صلة وثيقة بميدان البلاغة أي القول وفنونه ؛ ومن شأن البحث فيه أن يدعو إلى الخوض في مواضيع تتّصل – كما يقول الجرجاني – بما « له إختصاص بعلم أحوال الشعراء والبلغاء ومراتبهم وبعلم الأدب جملة » (14) ؛ والتآليف المذكورة تبحث عن دليل الإعجاز في النص القرآني ، وهي بذلك في حاجة إلى وسائل تمكن من تحليله والإقناع بمظاهر الروعة فيه ؛ ومن هنا جاءت الصلة بينها وبين المؤلفات البلاغية .

إن عمل الجرجاني ينتمي إلى هذا الصنف من التآليف التي رام أصحابها أن يجعلوا من إعجاز القرآن مسألة بلاغية بحتا . ويبدو أن الخوض في هذا الموضوع حسب هذه النظرة يرجع عهده إلى بداية القرن الثاني في نطاق القضايا الكلامية التي أثيرت بين المعتزلة وخصومهم ، وبين أقطاب المعتزلة أنفسهم ؛ ويبدو كذلك أن الداعي إلى وضع التآليف الأولى المتصلة بالإعجاز ليس نكران هذا المبدإ من غير المسلمين بقدر ما هو موقف بعض المسلمين في تأويلهم له وتبريره – لا بخصائص القرآن الأسلوبية – وإنما بما فيه من إخبار عن الماضي والمستقبل وبصرف الله عباده عن محاكاته . ولعل واصل بن عطاء هو أول – أو على الأقل – أشهر من وقف هذا الموقف

(14) الرسالة الشافية : دار المعارف 1387–1968 ص : 117 .

ودافع عنه باعتباره — حسب ما قال الجاحظ — أن « القرآن حق وليس تـأليفه بحجة » (15) ، وقد دعا هذا الموقف ردود القائلين بأن القرآن معجز بنصـه وأسلوبه ، فـألفوا كتبا في ما سموه بنظم القرآن ؛ ومن أقدم ما ذكرته المصادر منها كتاب للجاحظ (16) . ومنها أيضا كتب موسومة بنظم القرآن لعبد الله بن أبي داود السجستانـي (م. 316) ، ولأبـي زيد البلخـي (م. 322) ، ولأحمد ابن علي بن الإخشيد (م. 326) (17) ؛ ومنها أخيرا كتاب لمحمد بن يـزيـد الواسطـي (م. 306) يجمع في عنوانه بين عبارتـي الإعجاز والنظم (18) .

ولئن كنا نجهل محتوى هذه المؤلفات التـي ضاعت كلها فـإن بعض مـا نجده هنا وهناك من إشارات إلى بعضها تدل على أنها تناولت أسلوب القرآن وخصائص تـأليفه ، ومن هذه الإشارات قول ابن الخياط وهو يتحـدث في كتاب الإنتصار عن « نظم القرآن » للجاحظ : « ولا يعرف كتاب في الإحتجاج لنظم القرا ن وعجيب تـأليفه وأنه حجة على نبوته غير كتاب الجاحظ » (19).

ويضـع الذين يعتبـرون النص ذاته مصدر الإعجـاز نظرية عامة لتفسيـر المعجزات وسبب إختيارها ؛ فالجاحظ مثلا يعتبر المعجزة رهينة القوم الذيـن تُـوجـّه إليهم وتابعة للميدان الذي برعوا فيه أكثر من غيره ، فمعجزة موسـى

(15) رسائل الجاحظ : نشـر السندوبـي : القاهـرة 1352–1933 ص 148 . انظـر أيـضا : الشهرستانـي : الملل والنحل : تخريج محمد بن فتح الله بدار : القاهرة ط 2 ص 58 ؛

(16) انظر طه الحاجري : المصدر المذكور ص 321 وما بعدها . على أن الجاحظ لا يبدو أنه يرفض تماما مبدأ الصرفة حسب ما يدل عليه قوله هذا : « ومثل ذلك ما رفع من أوهام العرب وصرف نفوسهم عن المعارضة للقرآن ، بعد أن تحداهم الرسول بنظمه ؛ ولذلك لم نجد أحدا طمع فيه لتكلفه ؛ ولو تكلف بعضهم ذلك فجاء بأمر فيه أدنى شبهة لعظمت القضية على الأعراب وأشباه الأعراب ... » الحيوان ج IV ص 89 ؛ انظر ايضاج VI ص 269 . ويرى طه الحاجري ان الجاحظ لم يذهب «في قوله بالصرفة إلى أن معارضة القرآن على ذلك كانت مما يمكن ان يدخل في قدرة العرب لو لم يصرفوا عنها . فإنما كانت هذه العرفة عنده بابا مـن التدبير الا لهـي لامتناع أي شبهة يمكن أن تعلق بأحد من هذا قبيل ... ومهما يكن من أمـر نظمه وبديع تأليفه وغريب تركيبه كما يقول ... » ، المصدر المذكور ص 323 .

(17) انظر مقدمة إعجاز القرآن للباقلانـي تحقيق أحمد صقر : دار المعارف ص 9 و 10 .

(18) هو كتاب إعجاز القرآن في نظمه وتأليفـه .

(19) كتاب الانتصار ص 439 .

ـ أي قلب العصا حية ـ تُحدّى بها أناس برعوا في السحر ، ومعجزة عيسى ـ أي إحياء الموتى ـ تُحدّي بها قوم يعظمون الطب والأطباء . أما العرب فقد «كان أغلب الأمور عليهم ، وأحسنها عندهم ، وأجلها في صدورهم حسن البيان ونظم ضروب الكلام مع علمهم له وانفرادهم به ؛ فحين استحكمت لغتهم ، وشاعت البلاغة فيهم ، وكثر شعراؤهم ، وفاق الناس خطباؤهم ، بعثه (النبي) الله عز وجل فتحداهم بما كانوا لا يشكّون أنهم يقدرون على أكثر منه ؛ فلم يزل يقرعهم بعجزهم ، وينقصهم على نقصهم ، حتى تبين ذلك لضعفائهم وعوامهم كما تبين لأقويائهم وخواصهم... » (20) .

وستبقى هذه النظرية مرجع كل الذين يرفضون أن يكون الإعجاز ناتجا عن سبب آخر غير نص القرا ن وخصائص أسلوبه ؛ ويعود إليها القاضي عبد الجبار بعد الجاحظ بما يقرب من قرن فيصوغها في صيغتها النهائية قائلا :

« ... وعلى هذا الوجه رتب تعالى المعجزات فجعل المعجز الذي أظهره على موسى مما الأغلب وضوحه لأهل زمانه وانكشافه لهم ، فقد كانوا يتعاطون السحر ؛ فلما ورد عليهم ما ورد من انقلاب العصا حية آمنوا لظهور الأمر ، وكان اعترافهم وإيمانهم مقوّيا لدواعي غيرهم إلى البصيرة وشدة التأمّل ، لأنّ من حق التابع أن يكون مقتديا بالمتبوع تقليدا أو سالكا سبيله بالتأمل ؛ وكذلك فعل تعالى فيما أظهره على عيسى مما بهر عقول الأطباء في زمنه ، وفيما خص به آدم صلى الله عليه من تعريف الأسماء إلى غير ذلك . ووجه الحكمه في ذلك ظاهر لأنه لو أظهر على كل أحد منهم في زمانه ما يخرج عن طريقة القوم لكثرت الشُّبه ، وقلّ التصديق ؛ وإذا ظهر ما لا يخرج عن طريقهم قويت البصائر ، وانكشف وجه التعذر ، فيكثر التصديق وتقلّ

(20) رسائل الجاحظ ص 146 .

الشبهة ؛ وعلى هذا الوجه أجرى تعالى عادة الرسول صلى الله عليه في أن خصّه بالقرآن الذي هو مشاكل لصناعتهم وطريقتهم ، غير خارج عن الأمر الذي يشتد به اهتمامهم ، ويقوّى له إفتخارهم ، وتظهر فضائلهم ومحاسنهم ، لكي تقلّ الشبه للعارف المقدّم ، فيعرف إضطرار المباينة ، والأتباع فيعرفون بعجز الرؤساء منهم مع توفر الدواعي مثل ما يعرفه ذوو البصيرة منهم ، وتقوى دواعيهم إلى النظر ، حالا بعد حال من حيث لا يغيب عن الأسماع على طول الدهر لدخوله في جملة الباب » (21) .

إن الإعتقاد بأن الإعجاز سببه خصائص امتاز بها أسلوب النص القرآني جعل من هذا النص موضوع بحث عظيم الأهمية في تاريخ البلاغة العربية ، لا فحسب لأنه أثرى هذا الفن كما أثْرته الحركة النقدية بنماذج من الأساليب المختلفة ، وبعمل تحليلي لهذه الأساليب يرمي إلى الكشف عن دقائقها وتوضيح مسالكها ، بل لأنه خاصة كان حافزا على إعادة النظر في مفهوم البلاغة ذاته ، وجعله موضوع تساؤل ونقاش طيلة القرنين الرابع والخامس من الهجرة ، وهو العهد الذي تُوهم كثرة التآليف البلاغية فيه من نوع كتب التبويب والإحصاء بأن هذا المفهوم قد اتضح واستقرّ ، فتحددت الأساليب ، وبانت الأبواب ، وأمكن تقديمها حسب الطريقة التقعيدية التعليمية . ولئن صدر هذا النقاش عن مشاغل دينية مذهبية وكانت له أبعاد كلامية — إذ دار خاصة بين الأشاعرة والمعتزلة (22) — فهو يدلّ أيضا على مشاغل منهجية لا تنكر ، تقابل فيه من ناحية القائلون بأن إعجاز القرآن يمكن حصر أسبابه في بلاغة العبارة ، أو على حدّ تعبير الرماني « النكت »(23)

(21) المغني في أبواب التوحيد والعدل ج XVI ص 205 .

(22) من الذين شاركوا فيه من أهل الاعتزال علي بن عيسى الرماني (م. 386) وأبو هاشم الجبائي والقاضي أبو الحسن عبد الجبار الاسد آبادي (م. 415) ومن الأشاعرة أبو بكر الباقلاني (م. 403) وعبد القاهر الجرجاني (م. 471) .

(23) انظر النكت في الاعجاز للرماني المنشور ضمن « ثلاث رسائل في اعجاز القرآن » : دار المعارف ط 2 ص 73 وما بعدها .

التي يمكن إحصاؤها واستعراضها حسب تبويب واضح ، ومن ناحية أخرى القائلون بأن بلاغة القرآن تتجاوز هذه الصور المحدودة ، وتكمن في النص بأكمله لا في عبارات تعزل عن سياقها ، ونُكت ينظر إليها في حدّ ذاتها ، فيجب البحث عن طريقة معالجة النص القرآني لاكتشاف بلاغته والوقوف على مظاهر الإعجاز فيها .

ولا شك أن أهم المفاهيم التي كانت تتردد في هذه المناقشات مفهوم « النظم » ، وقد رأينا أن هذا المصطلح استعمل في القرن الثالث عنوانا لعدد من المؤلفات لا نعرف اليوم عنها شيئا هاما . أما في القرن الرابع فالنظم كان موضوع أخذ وردّ ، يعتبره هذا أساس كل شيء ويرفضه ذلك ولا يراه هاما في البلاغة ، ويحاول البعض توضيحه بينما يكتفي البعض الآخر بالتنويه بشأنه .

فأبو هاشم الجبائي يرى أن « ليس فصاحة الكلام بأن يكون له نظم مخصوص » (24) بينما يعتبر تلميذه القاضي عبد الجبار أنها « إنما تظهر في الكلام بالضمّ على طريقة مخصوصة » ولكنه لا يكتفي بهذا ويصرح بأنه « لا بد مع الضم من أن يكون لكل كلمة صفة » (25) ويتفق معه الخطابي (319 — 388) تقريبا في نفس الرأي عند ما يقول : « وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة : لفظ حامل ومعنى به قائم ورباط لهما ناظم » (26) . ويعرف الخطابي هذا النظم بقوله : « هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به ، الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه إما تبديل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام ، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة » (27) ويكتفى الباقلاني بوصف نظم

---

(24) انظر المغني للقاضي عبد الجبار : ج XVI ص 197 .
(25) المصدر السابق : ص 199 .
(26) بيان اعجاز القرآن : انظر : ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ص 27 .
(27) المصدر السابق ص 29 .

القرآن قائلا مثلا : « إن نظم القرآن على تصرف وجوهه وتباين مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم ، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم ، وله أسلوب يختص به ويتميّز في تصرفه عن أساليب الكــلام المعتــاد... » (28) .

والمهم من كل هذا أن الجدال الذي قام حول الإعجاز في القرن الـرابع قد أعاد الحياة من جديد إلى التفكير البلاغـي بمقابلتـه بين « بلاغـة العبارة » و « بلاغة النظم » وكان سببا في ظهور طريقتين في البحث البلاغـي : طريقة يمكـن أن نقول إنها تتمثـل في تفكيك النص لعزل الأساليب التـي تعتبر وحدها حاملة للبلاغة ، وطريقة تعتمد وحدة النص والالتحام الموجود بين أجزائه ولا يتصور أصحابها بلاغة خارجة عن ذلك .

ويمكن أن نعتبر أن هذا الجدال قد مهّد السبيل لعبد القاهر الجرجانـي ، ومكّنه من بلـورة مفهـوم النظـم وإرسائه عـلى أسس مضبـوطة ملموسـة . فالجرجانـي يعتبر أن النظم سبب للإعجاز ، وأساس لكل بلاغة ويقـول في ذلك مثـلا :

« أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه ، وخصائص صادفوها في سيـاق لفظه ، وبدائع راعتهم من مبادىء آيـه ومقاطعهـا ، ومجاري ألفاظهـا ومواقعها... ؛ وبهرهم أنّهم تـأمّلوه سورة سورة ، وعُشرا عُشرا ، وآية آيـة ، فلم يجدوا في الجميـع كلمة ينبو بها مكانُها ، ولفظة يُنكر شأنها ، أو يُرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه ، أو أحرى وأخلق ، بل وجـدوا اتساقـا بهـر العقـول ، وأعجـز الجمهـور ، ونظـامـا والتئـامـا ، وإتقانـا وإحكـامـا... » (29) .

---

(28) اعجـاز القرآن ص 35 .

(29) دلائـل الاعجـاز : نشـر عبد المنعـم خفافـي : مكتبة القاهـرة 1389–1969 ص 83–84 .

إلا أن هذه النظرة يبدو أنها ما زالت في القرن الخامس موضوع نقاش فيضطر الجرجاني – من حسن الحظ – إلى الدفاع عنها ، وإلى البحث عن الحجج والمستندات المؤيدة في رأيه لها ؛ فيؤدي به ذلك إلى العمل على تحديد المفاهيم والتمييز بينها ، وتدقيق معاني الكلام ، وإلى البحث عن أسس نظرية لتصوره للبلاغة ، وهذا ما سنحاول عرضه في بحثنا هذا .

***

إن من أهم ما يسترعي انتباه الدارس فيما يجمعه من وثائق متصلة برأي الجرجاني في اللغة كيفية استعماله لبعض المصطلحات ؛ والمصطلحات التي تتردد كثيرا في ملاحظاته حول اللغة وعلاقتها بالبلاغة هي : كلم ولفظ (أو ألفاظ) وكلام ولغة ، واستعماله لها يعتمد ضمنيا على مقابلة بين « كلم » (أو كلمات) و « ألفاظ » (أو لفظ) وكذلك بين « لغة » و « كلام » . ولئن لم يصرّح الجرجاني بهذا التمييز ، ولم يبين أسبابه ، فإن السياق الذي ترد فيه هذه المصطلحات يوحي به ، ويدل على أنه قائم في ذهنه . « فالكلم » (أو الكلمات) مصطلح يستعمل دائما لمفهوم له جانبان : جانب صوتي وجانب معنوي ؛ أما « اللفظ » (أو الألفاظ) فلا يطلق إلا على الجانب الصوتي.

هذه المقابلة نستنتجها مثلا من حديثه عن حقيقة النظم عندما يقول : « والنظم والترتيب في الكلام – كما بينا – عمل يعمله مؤلف الكلام في معاني الكلم لا في ألفاظها » (30) .

كما نستنتجها من حديثه عن التحام أجزاء الكلام وسببه وهو قوله : « فانظر الآن في اتّحاد هذه الكلم التي هي أجزاء البيت ، أتقول إن ألفاظها

(30) المصدر السابق ص 337 .

اتحدت فصارت واحدة ، أم تقول إن معانيها اتحدت فصارت الألفاظ من أجل ذلك كأنها لفظة واحدة » (31) .

وهذا التمييز بين « الكلم » و « الألفاظ » يفضي بطبيعة الحال إلى المقابلة بين « اللفظ » و « المعنى » ، وهي مقابلة كثيرا ما يشير إليها في تفنيده لآراء القائلين بأولوية اللفظ على المعنى الذين « يفردون — حسب تعبيره — اللفظ عن المعنى ، ويجعلون له حسنا على حدة » وينسبون « ما كان من الحسن والمزية في صورة المعنى إلى اللفظ » (32) .

ولئن كانت هذه المقابلة بين الكلمة واللفظة أو بين اللفظ والمعنى ليس مما تفرد به الجرجاني — إذ نجدها عند النحاة (33) وعند علماء البلاغة قبله (34) — فإن التنبيه إليه عند صاحب دلائل الإعجاز مفيد ، لأنه يمهد السبيل لدراسة نظريته البلاغية ، ويساعد على تحديد تفكيره في هذا الميدان ؛ ومعلوم أن « بلاغة العبارة » التي شغلت بال جلّ سلفه من البلاغيين تقتضي أن يكون للكلمة دور أساسي في قيمة الكلام ، كما أن مفهوم الفصاحة الذي خصص له معاصره ابن سنان الخفاجي (م. 466) جانبا هامّا من كتابه « سر الفصاحة » يعتمد أساسا على خصائص الجانب الصوتي أي اللفظي من الكلام (35) .

أما الزوج الثاني من المصطلحات فهو اللغة والكلام ؛ فالجرجاني يستعمل كلمة لغة كلما تحدث عن الكلمات ومعانيها وهي مفردة كقوله مثلا :

---

(31) المصدر السابق ص 377 .

(32) المصدر السابق ص 341 .

(33) انظر مثلا ابن جني : الخصائص ج I ص 17، 19، 21، 150، 215، 221 ... ج III ص 98 وما بعدها .

(34) انظر مثلا الجاحظ : البيان والتبيين ج I ، 75–76 ؛ ابن رشيق : العمدة : القاهرة 1953–1934 ص 103 ، ص 108 .

(35) انظر سر الفصاحة : تحقيق علي جوده : القاهرة 1350–1952 من ص 54 إلى ص 102 .

« إن الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها » (36) أو كلما أشار إلى التمييز بين اللهجات والقدرة على معرفة الغريب كقوله :

« ... العلم بجميع ذلك لا يعدو أن يكون علما باللغة وبأنفس الكلام المفردة ، وبما طريقه طريق الحفظ دون ما يستعان عليه بالنظر ، ويوصل إليه بإعمال الفكر » (37) .

بهذا يبدو أن مصطلح « لغة » يطلق في استعمال الجرجاني على مجموعة المفردات ، وبصفة أعم كل الوحدات التي ضبطت بالتواضع لتسمية الأحداث والأشياء وإقامة الفروق بين المفاهيم (38) . وإذا كانت اللغة بالتواضع ، فإن عناصرها قارّة لا مجال للابتكار فيها ، ولا تعرف بإعمال الفكر ، وإنما بـ « التوقيف والتقدم بالتعريف » (39) ؛ فعلى المتكلم أن يراعي « ما وُضِعت اللغة عليه » (40) .

وأما الكلام فهو مصطلح يتردد على لسان الجرجاني كلما تناول بالبحث حقيقة ما يبلّغ به الإنسان أغراضه ومقاصده ، ويحاول أن يبيّن أسباب إفادته أو استحسانه ، فهو مثلا في مقدّمة « أسرار البلاغة » لا يتحدث عن اللغة لينوه بشأنها ، وإنما يشيد بالكلام لأنه وسيلة التبليغ ، أو الذي — على حد تعبيره « يعطي العلوم منازلها... ويكشف عن صورها... » (41) .

ولئن كان الجرجاني لا يتحدث عن « اللغة » إلا عرضا لتدعيم حجة أو تفنيد رأي ، فإن « الكلام » هو موضوع بحثه ، ومحور كل آرائه ؛ وليس

(36) دلائل الاعجاز ص 373 .
(37) المصدر السابق ص 363 .
(38) المصدر السابق ص 25–252 .
(39) المصدر السابق ص 266 .
(40) المصدر السابق ص 267 .
(41) اسرار البلاغة ص 2 .

عجيبا أن يكون « الكلام » هو شغله الشاغل ، إذ البلاغة ميدانها الكلام لا «اللغة» ، أو قل إن موضوع بحثها هـي اللغة كما يستعملها المتكلم ، ويتصرف فيها ، ويختار منها ما يفـي بقصده ويبلّغ مقاصده .

إن التمييز بين « اللغة » والكلام من مقومات تفكير الجرجانـي ، وإن لم يمهّد له في بداية تـأليفية تمهيدا صريحا ؛ فهو كثيرا ما يعبّر عن آراء يستفاد منها النهي عن الخلط بينهما ؛ فعنـدما يتساءل مثلا عن قولهم « لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ، ولفظه معنـاه » يجيب قائلا :

« وجملة الأمر أنه إنما يتصور أن يكون المعنـى أسرع فهما منه لمعنـى آخر إذا كان ذلك ممـا يدرك بالفكر ، وإذا كان ممـا يتجدد له العلم به عند سمعه للكلام ، وذلك محال في دلالات الألفاظ اللغوية لأن طريق معرفتهـا التوقيف والتقدم بالتعريف » (42) .

على أن هذا التمييز بين اللغة والكلام لا يفضـي إلى القطيعة بينهما ، ولا شك في أن بينهما علاقة متينة في نظر الجرجانـي ؛ هذه العلاقة تتمثل خـاصة في ارتباط وظيفتيهما ؛ فليس للغة وظيفة خارج الكلام ؛ إن « الألفاظ المفردة التـي هـي أوضاع اللغة — على حد تعبير الجرجاني — لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها ولكن ليُضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها فوائد.... » (43) ؛ وإذا ما ضُمت الألفاظ بعضها إلى بعض ، أصبحت كلامـا ، ودور الكـلام بديهـي كما يقول عبد القاهر :

« ... وممـا يعلم ببدائه العقول أن الناس يكلم بعضهم بعضا ليعرف السامع غرض المتكلم ومقصوده... » (44) .

---

(42) دلائل الإعجـاز ص 266 ؛ انظـر أيضا ص 367 كيف يقابل بين المتكلم وواضع اللغة : « قد علمنا علما لا تعترض معه شبهة أن الفصاحة فيما نحن فيه عبارة عن مزية هي بالمتكلم دون واضع اللغـة » .

(43) المصدر السابق : ص 473 .

(44) المصدر السابـق : ص 462 .

ولذا فكل ما يحول دون معرفة السامع لغرض المتكلم يتنافى مع طبيعة الكلام ، ويحول دون أدائه لوظيفته ، فالولع بالبديع مثلا يؤدي به شغفه بتنميق الكلام « إلى أن ينسى أنه يتكلم ليُفهم ، ويقول ليُبين » (45) . ولا تتحقق غاية الكلام إلا إذا توفر فيه شرط أول أساسيّ وهو اعتماده على اللغة ، فالإنسان لا يكون « متكلما حتى يستعمل أوضاع لغة على ما وضعت عليه » (46) ؛ والفهم لا يتأتى إلا إذا حصل اتفاق بين المتحاورين على معنى الكلمات التي يستعملونها ، ولذا يقول الجرجاني مخاطبا من يعتقد أن الكلمات في حدّ ذاتها هي غاية الكلام : « كيف ومحال أن تكلمه (المخاطب) بألفاظ لا يعرف معانيها كما تعرف » (47) .

لكن إذا كان الاعتماد على اللغة شرطا أساسيا في الكلام ، فهو شرط غير كاف ، إذ اللغة لا تمد المتكلم إلا بالمفردات و « الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توقع – كما يقول الجرجاني – لتعرف معانيها في أنفسها » (48) . وعلى كل فإن السامع يعرف هذه المعاني ، ولا حاجة له بها إذا كانت وحدها هدف الكلام ، ولذا يقول عبد القاهر :

« ومعلوم أنك أيها المتكلم لست تقصد أن تعلم السامع معاني الكلم المفردة التي تكلمه بها ، فلا تقول خرج زيد لتعلمه معنى خرج في اللغة ومعنى زيد » (49) .

فالكلام يقتضي إذن أكثر من الكلمات ؛ فهذه «لا تفيد حتى تؤلف ضربا خاصّا من التأليف ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب

---

(45) أسرار البلاغة ص 8–9 .
(46) دلائل الإعجاز : ص 367 .
(47) المصدر السابق ص 375 .
(48) المصدر السابق 473 .
(49) المصدر السابق ص 375 .

والترتيب » (50) . ولكن ليس معنى هذا كون الألفاظ تتتابع في النطق وتتوالى في السمع ، فليس « من عاقل يفتح عين قلبه — حسب قول الجرجاني — إلا وهو يعلم ضرورة أن المعنى في ضم بعضها إلى بعض تعليق بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض ، لا أن ينطق ببعضها في أثر بعض من غير أن يكون فيما بينهما تعلق ، ويعلم كذلك ضرورة إذا فكر أن التعلق يكون فيما بين معانيها ، لا فيما بين أنفسها . ألا ترى أنّا لو جهدنا كل الجهد أن نتصور تعلقا فيما بين لفظين لا معنى تحتهما لم نتصور » (51) .

هذا « التعليق » هو ما يسميه الجرجاني نظما وقد ذكره مرارا في « دلائل الإعجاز » خاصّة ، ومثال ذلك قوله :

« معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض ، وجعل بعضها بسبب من بعض » (52) أو قوله أيضا : « لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ، ويبنى بعضها على بعض ، وتجعل هذا بسبب من ذلك » (53) .

إلا أن هذه الطريقة في التعبير لا تبيّن حقيقة النظم في دقة ، ولا تختلف عما يتحدث عنه القاضي عبد الجبار من « الضمّ على طريقة مخصوصة » (54) وينتقده الجرجاني (55) . لذا نراه يبحث له عن أساس ملموس يجسم ما يتضمنه الكلام من أشياء زائدة على الكلمات ، وهذا الأساس هو النحو وهو الشرط الثاني الذي به يكون الكلام كلاما . وفيه يقول صاحب « دلائل الإعجاز » :

(50) أسرار البلاغة ص 3 .
(51) دلائل الإعجاز ص 416 .
(52) المصدر السابق ص 44 .
(53) المصدر السابق ص 97 .
(54) المغني : ج XVI ص 199 .
(55) دلائل الإعجاز : ص 361–362 .

« واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها » (56) .

فالعلاقة التي تحصل بالنظم بين عناصر الكلام ليست وليدة معناها اللغوي ، إذ « ليست معاني النحو معاني الألفاظ » (57) ، وإنما هي نتيجة ما نسميه اليوم بالوظائف النحوية ، أو هي حسب عبارة الجرجاني « توخي معاني النحو في معاني الكلم » (58) ؛ و« لا ترى شيئا من ذلك يعدو أن يكون حكما من أحكام النحو ، ومعنى من معانيه » (59) .

إن هذا الفرق بين اللغة والكلام وهذه العلاقة التي تجعلهما رغم ذلك متضامنين يمكن اعتبارهما نتيجة لماهية كليهما وخصائص فيهما قد أبرزها الجرجاني وعبّر عنها بوضوح ؛ وأهم ما ذهب إليه من المفاهيم في شأن اللغة هو أنها « تجري مجرى العلامات والسمات » (60) ، فالوحدات التي تتكون منها ما هي إلا وسائل ترشد إلى مختلف المعاني وتهدي إليها ، والألفاظ – على حدّ تعبيره – «أدلّة على المعاني» (61) ؛ وإذا كانت من قبيل « السمات » و « العلامات » فذلك لأنها تابعة للمعاني ، وُجدت بعد وجودها ، ولذا يقول الجرجاني :

« ...وليت شعري هل كانت الألفاظ إلا من أجل المعاني ؟ وهل هي إلا خدم لها ومصرّفة على حكمها ؟ أو ليست هي سمات لها ، وأوضاعا قد وُضعت لتدلّ عليها ؟ فكيف يتصور أن تسبق المعاني ، وأن تتقدمها في

(56) المصدر السابق : ص 117 .
(57) المصدر السابق ص 405 .
(58) المصدر السابق ص 339 .
(59) المصدر السابق ص 47 .
(60) أسرار البلاغة ص 347 .
(61) دلائل الإعجاز ص 426 .

تصوّر النفس ؟ إن جاز ذلك جاز أن تكون أسامي الأشياء قد وُضعت قبل أن عُرفت الأشياء ، وقبل أن كانت » (62) .

إن اعتبار الألفاظ سمات يفضي حتما إلى اعتبارها « أوضاعا » ، أي أدوات اصطلاحة لا شيء يفرض اختيارها وإطلاقها دون غيرها على مفهومها سوى اختيار المصطلحين واتفاقهم ؛ فلا وجود بين اللفظة ومعناها لرابط طبيعي ، أو علاقة حتمية مسبقة تفرضها طبيعة المعنى أو ماهية اللفظ . فالعلامة اللغوية اعتباطية في نظر الجرجاني ؛ وليس هذا مجرد استنتاج نستنتجه من تحليل الكلمات التي تستعمل للتعبير عن غرضه ، بل إننا نجد في بعض ملاحظاته ما يدل عليه دلالة واضحة ، وذلك عندما يميز بين نظم الحروف في الكلمة الواحدة ، ونظم الكلمات في الجملة فيقول :

« إن نظم الحروف هو تواليها في النطق فقط ، وليس نظمها بمقتضى عن معنى ، ولا الناظم لها بمقتف في ذلك رسما من العقل اقتضى أن يتحرى في نظمه لها ما تحراه ؛ فلو أن واضع اللغة كان قد قال « ربض » مكان « ضرب » لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد » (63) .

ليس للنظم في هذه الحال تعليل معنوي ، ولا أسباب عقلية تحتم اختيار ترتيب على ترتيب آخر ، أو تفضيل علامة على علامة أخرى لتأدية معنى معين ؛ وتتابع العناصر المكونة للكلمة هو مجرد تواليها في النطق ، وليس ناجما عن « اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض » ؛ وهذا التتابع في النطق لا مبرر له إلا مقتضيات الجهاز الصوتي ، وعجزه عن أن ينطق بالحروف بطريقة أخرى فلا « يتصور – كما قال الجرجاني – أن تدخل الحروف بجملتها في النطق دفعة واحدة » (64) .

---

(62) المصدر السابق ص 279 .
(63) المصدر السابق ص 93 .
(64) المصدر السابق ص 372 .

يمكن أن نقول إذن إن بنية الكلمة ليست عند الجرجاني مما يتسنى تبريره بالعقل ، وإن دلالتها على المعنى دلالة اعتباطية لا سبب لها إلا تواطؤ المستعملين ، ولذا اعتبرت من قبيل العلامات والسمات : ومن شأن العلامة أن تكون وسيلة تمييز ، وهي لا تكتسب قيمتها المعنوية إلا إذا قوبلت بما لا تدل عليه ، فهي مع العلامات الأخرى في علاقة تقابلية ، وكأن الجرجاني قد تفطن إلى هذه الخاصية عندما قال :

« ولا معنى للعلامة والسمة حتى يحتمل الشيء ما جعلت العلامة دليلا عليه وخلافه ؛ فإنما كانت « ما » مثلا علما للنفي لأن ههنا نقيضا له ، وهو الإثبات ؛ وهكذا إنما كانت « من » لما يعقل لأن ههنا ما لا يعقل » (65) .

كل هذه الاعتبارات حول ماهية اللغة وطبيعة الكلمة أو العلامة لا تخلو من طرافة على لسان الجرجاني ؛ فهي تدلّ على رغبة في تجاوز ظواهر الأشياء ، كما تُذكّر ببعض المفاهيم التي أوضحها دي سوسور (De Saussure) رائد الالسنية ، واعتُبرت أركانا قارة في الدراسات اللغوية منذ نصف قرن ، فاللغة تتناول على أنها مجموعة علامات (Signes) ، وهذه العلامات تستمدّ قيمتها من مقابلة بعضها ببعض ، فهي بمثابة مجموعة من الفروق (66) .

إلا أن الجرجاني لم يورد هذه الملاحظات أساسا لنظرية شاملة للغة ، فقد جاءت عرضا ، ولم تحلل التحليل اللائق بها ، وإنما ذكرت لإبراز الفرق بين اللغة والكلام ، وللتمييز بين الكلمة المفردة والكلام المؤلف . فالكلام هذا يختلف أساسا عن الكلم بأن تأليف عناصره خاضع — على عكس عناصر الكلمة — لمقتضيات العقل ، « لأنك — على حد قول الجرجاني — تقتضي في نظمها آثار المعاني ، وترتبها على حسب ترتيب المعاني في النفس ، فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض ، » ليس هو النظم الذي

(65) أسرار البلاغة ص 347 .

(66) دى سوسور : (Cours de linguistique générale)

معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق ؛ وكذلك كان عندهم نظيرا للنسج والتأليف ، والصياغة والبناء والوشي والتحبير ، وما أشبه ذلك مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض ، حتى يكون لوضع كل حيث وضع علّة تقتضي كونه هناك ، وحتى لو وضع مكان غيره لم يصلح . والفائدة في معرفة هذا الفرق أنك إذا عرفته عرفت أن ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق ، بل أن تناسقت دلالتها ، وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل... » (67) .

فالفرق بين الكلمة والكلام أن مقومات تلك وحدات خالية من المعنى ، لا يتميّز بعضها عن الآخر إلا بجرسها وخصائصها الصوتية ، وأن مقومات هذا وحدات ذات معنى ، يختلف بعضها عن بعض لا بشكلها فقط ، بل وكذلك بمعناها ، ولذا لا « يتصور — حسب الجرجاني — أن تعرف للفظ موضعا من غير أن تعرف معناه ، ولا أن تتوخى في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ترتيبا ونظما ، وانك تتوخى الترتيب في المعاني وتعمل الفكر هناك » (68) .

لذا اقتضى ضم عناصر الكلام بعضها إلى بعض بناء معينا يسميه الجرجاني بكلمات توحي كلها بالارتباط القائم على التناسب والانسجام كالتأليف ، والتركيب ، والترتيب ، والنظم ، والنظام ، والنضد ، والنسق ، والتصوير ، والنسج ، والتحبير (69) . وهذا النوع من البناء الذي يعتمد — كما رأينا — « معاني النحو » يؤول بالمجموعة إلى الوحدة ، ويفضي بفضل اللحمة التي يوجدها بين عناصر مختلفة إلى شيء واحد لا يمكن تجزئته ولذا يقول الجرجاني :

---

(67) دلائل الإعجاز ص 93 .
(68) المصدر السابق ص 96 .
(69) أسرار البلاغة ص 3 ؛ دلائل الإعجاز ص 80 .

« واعلم أن مثل واضع الكلام مثل من يأخذ قطعة من الذهب أو الفضة ، فيذيب بعضها في بعض حتى تصير قطعة واحدة ، وذلك أنك إذا قلت : ضرب زيد عمرا يوم الجمعة ضربا شديد تأديبا له ، فإنك تحصل من مجموع هذه الكلم على مفهوم هو معنى واحد لا عدّة معان كما يتوهمه الناس . وذلك لأنك لم تأت بهذه الكلم لتفيد أنفس معانيها ، وإنما جئت بها لتفيد وجوه التعلق التي بين الفعل الذي هو ضرب ، وبين ما عمل فيه ، والأحكام التي هي محصول التعلق . وإذا كان الأمر كذلك فينبغي لنا أن ننظر في المفعولية من عمرو ، وكون يوم الجمعة زمانا للضرب ، وكون الضرب ضربا شديدا ، وكون التأديب علّة للضرب ، أيُتصور فيها أن تفرد عن المعنى الأول الذي هو أصل الفائدة وهو إسناد الضرب إلى زيد ، وإثبات الضرب به له حتى يعقل كون عمرو مفعولا به ، وكون يوم الجمعة مفعولا فيه ، وكون ضربا شديدا مصدرا ، وكون التأديب مفعولا له ، من غير أن يخطر ببالك كون زيد فاعلا للضرب ؟ وإذا نظرنا وجدنا ذلك لا يُتصور لأن عمرا مفعول لضَرْبٍ وقع من زيد عليه ، ويوم الجمعة زمان لضرْبٍ وقع من زيد ، وضربا شديدا بيان لذلك الضرب كيف هو وما صفته ، والتأديب علّة له وبيان أنه كان الغرض منه .

وإذا كان ذلك كذلك بان منه وثبت أن المفهوم من مجموع الكلم معنى واحد لا عدّة معان ، وهو إثباتك زيدا فاعلا ضربا لعمرو في وقت كذا وعلى صفة كذا ولغرض كذا ؛ ولهذا المعنى تقول : إنه كلام واحد » (70) .

بهذا يبرز فرق آخر بين اللغة والكلام ؛ فوحدات اللغة ليس فيها من المعاني إلاّ ما ضُمِّنته بالوضع ، وتعُورفت به على طريق الإصطلاح ، وليس للمتكلم أن يغيّرها ، أو يضيف إليها شيئا من فكره ؛ أما الكلام ففيه

(70) دلائل الاعجاز ص 376 .

ـ بالإضافة إلى المعاني الاصطلاحية ـ هذه العلاقات التي ينشئها المتكلم بين ما يتكون منه كلامه من وحدات لغوية ، وهي علاقات من صنعه لأن اللغة « لم تأت لتحكم بحكم ، أو لتثبت ، وتنفي ، وتنقض ، وتبرم ؛ فالحكم بأن الضرب فعل لزيد ، أو ليس بفعل له ، وأن المرض صفة له ، أو ليس بصفة له ، شيء يضعه المتكلم ، ودعوى يدّعيها ، وما يُعترض على هذه الدعوى من تصديق أو تكذيب ، واعتراف أو إنكار ، وتصحيح أو إفساد ، فهو اعتراض على المتكلم ، وليس للغة من ذلك بسبيل ، ولا في قليل ولا كثير » (71) .

فالكلام هو ميدان الأحكام ، والحديث عن معنى الكلام « يراد به ـ حسب تعبير الجرجاني ـ الغرض والذي أراد المتكلم أن يثبته أو ينفيه » (72) و « الأغراض التي تكون للناس في ذلك لا تعرف من الألفاظ ، ولكن تكون المعاني الحاصلة من مجموع الكلام أدلّة على الاغراض والمقاصد ... » (73) .

وهذا يقتضي أن تكون بنية الكلام خاضعة لشروط معينة ، وأن يكون الكلام حتما متكونا من جزئين على الأقل : مُخبَر به ومخبَر عنه ، ولذا يقول الجرجاني :

« اعلم أنّ معاني الكلام كلها لا تتصور إلا فيما بين شيئين ، والأصل والأول هو الخبر ؛ وإذا أحكمت العلم بهذا المعنى فيه عرفته في الجميع . ومن الثابت في العقول والقائم في النفوس أنه لا يكون خبر حتى يكون مخبَر به ومخبَر عنه ، لأنّه ينقسم إلى إثبات ونفي ، والإثبات يقتضي مثبَتا ومثبَتا له ، والنفي يقتضي منفيا ومنفيا عنه ؛ فلو حاولت أن تتصوّر إثبات

---

(71) أسرار البلاغـة : ص 345 .
(72) دلائل الإعجـاز ص 258 .
(73) المصدر السابق ص 397 .

معنى أو نفيه من دون أن يكون هناك مثبت له ومنفى عنه ، حاولت ما لا يصحّ في عقل ، ولا يقع في وهم ؛ ومن أجل ذلك امتنع أن يكون لك قصد إلى فعل من غير أن تريد إسناده إلى شيء مظهر أو مقدر مضمر ، وكان لفظك به إذا أنت لم ترد ذلك وصوتٌ تصوته سواء » (74) .

فقيام الكلام على مخبَر ومخبَر عنه يقتضي أن يكون أقل ما تتركب منه الجملة جزئين (75) ويجعل هذه دون غيرها مصدر الفائدة التي هي شرط الكلام وهذا ما يستفاد من قول الجرجاني :

« اختصت الفائدة بالجملة ، ولم يجز حصولها بالكلمة الواحدة كالاسم الواحد والفعل من غير اسم يضمّ إليه ؛ والعلّة في ذلك أن مدار الفائدة في الحقيقة على الإثبات والنفي ؛ ألا ترى أن الخبر أول معاني الكلام وأقدمها والذي تستند سائر المعاني إليه وتترتب عليه ، وهو ينقسم إلى هذين الحكمين (الإثبات والنفي) ، وإذا ثبت ذلك فإن الإثبات يقتضي مثبَتا ومثبتا له... وكذلك النفي يقتضي منفيا ومنفيا عنه... فلما كان الأمر كذلك احتيج إلى شيئين يتعلق الإثبات والنفي بهما ، فيكون أحدهما مثبتا والآخر مثبتا له ؛ وكذلك يكون أحدهما منفيا والآخر منفيا عنه ؛ فكان ذانك الشيئان : المبتدأ والخبر ، والفعل والفاعل ؛ وقيل للمثبت وللمنفي : مسند وحديث ، وللمثبت له والمنفي عنه : مسند إليه ومحدّث عنه . وإذا رمت الفائدة أن تحصل لك من الإسم الواحد أو الفعل وحده ، صرت كأنك تطلب أن يكون الشيء الواحد مثبتا ومثبتا له ، ومنفيا ومنفيا عنه وذلك محال » (76) .

وكما أن بنية الكلام رهينة غاياته فهي تخضع أيضا للمتكلم ، فهو الذي يصنع الكلام وإليه ينسب فلا « يتصور — كما قال الجرجاني — أن يكون

(74) المصدر السابق ص 459 .
(75) المصدر السابق ص 464 .
(76) أسرار البلاغة ص 338 — 339 .

ههنا خبر حتى يكون له مخبر يصدر عنه ، ويحصل من جهته ، ويكون له نسبة إليه ، وتعود التبعية فيه عليه ، فيكون هو الموصوف بالصدق إن كان صدقا ، وبالكذب إن كان كذبا ؛ أفلا ترى أن من المعلوم أنه لا يكون إثبات ونفي حتى يكون مُثبت وناف يكون مصدرهما من جهة ، ويكون هو المزجيّ لهما ، والمبرم والناقض فيهما ، ويكون بهما موافقا ومخالفا ، ومصيبا ومخطئا ، ومحسنا ومسيئا » (77) .

فالكلام ليس إذن كاللغة مادة مشتركة لا يمكن نسبتها إلى شخص بعينه ولا يمكن أن تتفاوت من جراء ذلك مكوناتها قيمة وحسنا ، بل هو دائما منسوب إلى متكلم ، وصادر عن قائل ، وطريقة إفادته ليست نتيجة الاصطلاح وإنما هي رهينة المتكلم ومتماشية مع مقاصده ، وبلاغته ليست ناجمة عن أوضاع اللغة ، فهي « عبارة عن مزية هي بالمتكلم دون واضع اللغة » (78) .

لكن ما هي — في نظر الجرجاني — أسس هذه المزية وأسبابها ؟ ما الذي يجعل الكلام يتفاوت حسنا ، ويفضل بعضه بعضا ؟

قبل الإجابة عن هذا السؤال ينبغي أن نذكر بأن الجرجاني عبر عن آرائه حول البلاغة في إطار جدلي هو نتيجة تفنيد آراء ومعتقدات يعتبرها خاطئة ، ودفاع عن نظرية يرى فيها الطريقة الوحيدة لإدراك أسباب البلاغة والإهتداء إلى دلائلها . لذا يحسن أن نستعرض في إيجاز أهم ما ينتقده في آراء خصومه وطريقتهم .

فمما يسارع إلى انتقاده في بداية « دلائل الإعجاز » موقف الذين لا يفقهون من معنى الفصاحة والبلاغة « سوى الإطناب في القول ، وأن يكون المتكلم جهير الصوت ، جاري اللسان ، لا تعترضه لكنة ، ولا تقف

---

(77) دلائل الإعجاز ص 460 .
(78) المصدر السابق ص 367 .

به حبسة ، وأن يستعمل اللفظ الغريب والكلمة الوحشية » (79) . كما أنه يحمل على الذ ين لا يهمهم من الكلام « إلا الصحة المطلقة وإلا إعرابا ظاهرا » ، والذي هذا شأنه « قد عدم الأداة التي معها تعرف ، والحاسة التي بها تجد » (80) ؛ وهو يؤاخذ أيضا كل من يتوهم أن البلاغة ليس لها من سبب سوى معرفة اللغة ، ويظن أن هذه المعرفة تضمن للمتكلم التفوق في الكلام (81). فليس في كل ذلك ما يفي — في نظر الجرجاني — ببلاغة الكلام . وهو يندد كذلك بطريقة الذين يكتفون في الحديث عن البلاغة بالوصف المجمل والقول المرسل (82) ، ويسمونها خصوصية في كيفية نظم ، وطريقة مخصوصة في نسق الكلم بعضها على بعض » (83) ؛ فهذه الطريقة لا تجدي نفعا ولا تؤدي إلا إلى عموميات لا طائل وراءها .

ويرى الجرجاني أن البلاغة لا تتسنى معرفتها « حتى تفصّل القول وتحصّل ، وتضع اليد على الخصائص التي تعرض في نظم الكلم ، وتعدّها واحدة واحدة ، وتسميها شيئا شيئا ، وتكون معرفتك معرفة الصَّنَع الحاذق الذي يعلم علم كل خيط من الابريسم الذي في الديباج ، وكل قطعة من القطع المنجورة في الباب المقطّع ، وكل آجرّة من الآجرّ الذي في البناء البديع ... » (84) . وتناول البلاغة ممكن لأنه — على حد تعبيره — « لابدّ لكلّ كلام تستحسنه ولفظ تستجيده من أن يكون لاستحسانك ذلك جهة معلومة ، وعلّة معقولة ، وأن يكون لنا إلى العبارة عن ذلك سبيل وعلى صحّة ما ادّعيناه من ذلك دليل » (85) . فبلاغة الكلام إن أحسّها الانسان

(79) المصدر السابق ص 55 .
(80) المصدر السابق ص 284 .
(81) المصدر السابق ص 251 .
(82) المصدر السابق ص 82 .
(83) المصدر السابق ص 81 .
(84) المصدر السابق ص 82 .
(85) المصدر السابق ص 85 .

بحاله وبما تحدثه فيه من « اريحية » (86) ، فهو قادر — بشرط أن يكون من « اهل الذوق والمعرفة » — على أن يكتشف أسبابها بتأمله وتدبيره (87) ، ويسمي عللها بلسانه (88) ؛ وهذا ما عقد الجرجاني العزم على تحقيقه في كتابيه « دلائل الإعجاز » و« أسرار البلاغة » .

ما هي إذن هذه الأسباب والعلل ؟ هنا أيضا يركن الجرجاني — وهو يبحث عن أسس البلاغة — إلى رفض ما كان سائدا من الآراء ؛ فالبلاغة — في نظره — ليست في اللفظ ، وليست مزية الكلام فيما ينطق به المتكلم من أصوات « فمن نصر اللفظ على المعنى كان كمن أزال الشيء عن جهته وأحاله عن طبيعته » (89) . لاشك أن الجرجاني لايرفض رفضا باتّا مزية اللفظ في حصول البلاغة ، لكن دوره فيها محدود عنده ، وهو يدعمها ولاينشئها ، ولهذا يقول :

« واعلم أنا لانأبى أن تكون مذاقة الحروف وسلامتها مما يثقل على اللسان داخلا فيما يوجب الفضيلة ، وأن تكون مما يؤكد أمر الاعجاز ، وإنما الذي ننكره ونفيّل رأي من يذهب إليه أن يجعله (القرآن) معجزا به وحده ويجعله الأصل والعمدة » (90) .

وتدعيم اللفظ للبلاغة رهين ما يحيط به من العناصر التي لايمكن فصله عنها ، فلا « يخفى على عاقل — حسب الجرجاني — أنه لا يكون بسهولة الألفاظ وسلامتها مما يثقل على اللسان اعتداد حتى يكون قد ألّف منها كلام ثم كان ذلك الكلام صحيحا في نظمه والغرض الذي أريد به » (90) .

(86) المصدر السابق ص 284 .
(87) المصدر السابق ص 82 .
(88) المصدر السابق ص 85 .
(89) أسرار البلاغة ص 8 .
(90) دلائل الإعجاز ص 455 .

كما أن الجرجاني لا يستبعد أن يستحسن الانسان لفظا في ذاته ولكن ذلك – على حدّ قوله – « لايكاد يعدو نمطا واحدا وهو أن تكون اللفظة مما يتعارفه الناس في استعمالهم ، ويتداولونه في زمانهم ، ولايكون وحشيا غريبا ، أو عاميّا سخيفا » (91) .

ولكن المبدأ العام الذي لايحيد عنه صاحب « دلائل الإعجاز » ، والذي يردده عشرات المرات في كتابيه ، هو أنه لايمكن أن توجب « الفصاحة للفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه » (92) . وأهم ما يحتجّ به في هذا الصدد هو أن إدّعاء البلاغة للفظ في حد ذاته يقتضي أن تكون هذه الخاصية فيه قارة تلازمه كلما استُعمل ، ويتذوقها الانسان حيثما وجد ، « فلو كانت الكلمة إذا حسنت حسنت من حيث هي لفظ ، وإذا استحقّت المزيةَ والشرف استحقت ذلك في ذاتها وعلى انفرادها دون أن يكون السبب في ذلك حال لها مع أخواتها المجاورة لها في النظم ، لما اختلف بها الحال ، ولكانت إما أن تستحسن أبدا ، أو لاتحسُن أبدا ، ولم ترقولايضطرب على قائله حتى لايدري كيف يعبّر ، وكيف يورد ويصدر ... » (93) ولنتج عن ذلك « أن لايختلف حال اثنين في العلم بحسن النظم ، أو غير الحسن فيه ، لأنهما يحسان بتوالي الألفاظ في النطق إحساسا واحدا ، ولا يعرف أحدهما في ذلك شيئا يجهله الآخر » (94) .

وكما أن اللفظة من حيث هي مجموعة أصوات لايمكن أن تكون سبب البلاغة فكذلك لايمكن للكلمة باعتبارها لفظا ومعنى أن تعتبر مصدرا وأساسا لها ، فمعاني الكلمات المفردة ناتجة عن وضع اللغة ، ولايعقل أن تكون للكلمة

(91) أسرار البلاغة ص 4 .
(92) دلائل الإعجاز ص 367 .
(93) المصدر السابق ص 92 .
(94) المصدر السابق ص 94 .

مزية ناجمة عن معناها المعجمـي ، ولا يمكن الادعاء بأن الكلمة المفردة تدلّ على براعة مستعملها ، فليس لهذا في وجودها أي فضل ، فهـي موجودة وجودا مستقلا عن الذي يستعملها ، شأنها في ذلك شأن « الابريسم » او « الفضة » أو « الذهب » لا يمكن ان يُعزى جمال ما صنع منه إليه ، وانما إلى طريقة تكييفه وصوغه (95) . ثم إن ميدان البلاغة هو ميدان التفاضل والتفاوت ، ولا يمكن أن ندّعي وجود تفاوت بين الكلمات في حد ذاتها ، وأن بعضها أحسن مـن بعض ، وفي هذا يقول الجرجانـي :

« هل يتصور أن يكون بين اللفظتين تفاضل في الدلالة حتى تكون هذه أدلّ على معناها الذي وضعت له من صاحبتها على ما هي موسومة به ، حتى يقـال إن « رجلا » أدلّ على معناها من « فرس » على ما سمـّي به ، وحتى يتصور في الاسمين الموضوعين لشـيء واحد أن يكون هذا أحسن نبأ عنه وأبين كشفا عن صورته من الآخر ، فيكون « الليث » مثلا أدلّ على السبع المعلوم من « الأسد » ؟ وهل يقع في وهم — وإن جهد — أن تتفاضل الكلمتان المفردتان من غير أن ينظر إلى مكان تقعان فيه من التأليف والنظم بأكثر مما تكون هذه مألوفة مستعملة ، وتلك غريبة وحشية ، أو تكون حروف هذه أخف وامتزاجها أحسن ، ومما يكدّ اللسان أبعد» (96) . فالكلمة المفردة هي إذن من قبيل المعطيات الموضوعية والمادة الخام ، فلا يمكن أن تسترعـي الانتباه إلا إذا عولجت وكُيّفت تكييفا يتولد عنه شكل معين يستحسنه الناظر أو لا يستحسنه (97) .

وإذا لم تكن مزية الكلام في لفظ الكلمة أو معناها ، فهل هي في المعنى المجمل المستفاد منه ؟ هنا أيضا يرفض الجرجاني أن يكون مجرّد المعنى المستفاد مـن الكلام أساسا للبلاغة وسببا لها ، فهو يلوم شديد اللوم كل « من قدّم الشعر

(95) المصدر السابـق ص 339 .
(96) المصدر السابـق ص 88 .
(97) المصدر السابـق ص 430 .

بمعناه ، وأقلّ الاحتفال باللفظ ، وجعل لايعطيه من المزية – إن هو أعطى – الاما فضل عن المعنى » (98) ، كما ينتقد الذين لايحفلون بكلام إلاإذا « أودع حكمة وأدبا ، واشتمل على تشبيه غريب ومعنى نادر » . فالمعنى هو أيضا بمثابة المادة الخام التي تصنع منها الأشياء ، فلا يمكن أن تتفاضل فيما بينها ، وإنما التفاضل بين ما يصنع منها ، فسبيل « الكلام – حسب الجرجاني – سبيل التصوير والصياغة ... وسبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم أو سوار ؛ فكما أن محالا – إذا أنت أردت النظر في صوغ الخاتم وفي جودة العمل ورداءته – أن تنظر إلى الفضة الحاملة لتلك الصورة ، أو الذهب الذي وقع فيه العمل وتلك الصنعة ، كذلك محال إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام أن تنظر في مجرّد معناه ، وكما أنا لو فضّلنا خاتما على خاتم بأن تكون فضة هذا أجود أو فصّه أنفس ، لم يكن ذلك تفضيلا له من حيث هو خاتم ، كذلك ينبغي إذا فضلنا بيتا على بيت من أجل معناه أن لايكون تفضيلا له من حيث هو شعر وكلام » (99) .

إذن ليس لنوع المعنى المعبر عنه من حيث هو شريف أو خسيس ، نادر أو متعارف ، دخل في بلاغة الكلام وتفاضله ؛ إن البلاغة هي بصفة عامّة في طريقة تقديم الكلام وكيفية تنظيم معانيه أي في النظم . لقد رأينا في تقديمنا لآراء الجرجاني في اللغة والكلام أن النظم هو « توخي معاني النحو في معاني الكلم » (100) ، ويمكن أن نقول من الناحية البلاغية إن النظم هو « الصورة التي يخرج فيها المعنى » (101) . وهذه الصورة وليدة ثلاثة عناصر : اللفظ والمعنى والنحو ، ولكن العنصر الذي يتميّز منها ويعطى للصورة ملامحها

(98) المصدر السابق ص 253 .
(99) المصدر السابق ص 256 .
(100) المصدر السابق ص 339 .
(101) المصدر السابق ص 341 .

الحقيقية هو العنصر النحوي ، فمجال العلاقات النحوية هو المجال الوحيد الذي يمكن أن يتصرف فيه المتكلم ، فلا قدرة لهذا على التصرف في الالفاظ ولا في معانيها . ومن الملاحظ هنا أن قارىء كتاب « دلائل الإعجاز » قد يظن — إذا لم يمعن النظر — أن الجرجاني يعتبر أن البلاغة في معنى الكلام المستفاد من كلماته وذلك لعدم تمييزه على صعيد المصطلحات بين هذا المعنى والغرض الذي يريده المتكلم ويرمي إليه ، ولكن عبد القاهر يشير من حسن الحظ أحيانا إلى هذا التمييز ، فهو يقول مثلا :

« ليس لنا إذا نحن تكلمنا في البلاغة والفصاحة مع معاني الكلم المفردة شغل ، وهي منا بسبيل ، وإنما نعمد إلى الأحكام التي تحدث بالتأليف والتركيب » (102) .

كما يقول : « إن قولنا المعنى في مثل هذا يُراد به الغرض الذي أراد المتكلم أن يُثبته أو ينفيه ... » (103) .

والغرض لايستفاد من مجرد المعنى اللغوي للكلمات ، وانما يفهم أساسا من طريقة الربط بين هذه الكلمات ، وتعليق بعضها ببعض ، وطريقة ترتيبها ، أي من هذه الصورة التي اختارها المتكلم لكلامه ؛ فهذه الصورة هي المترجمة عن « قصده » ، إذ « لايكون ترتيب في شيء حتى يكون هناك قصد إلى صورة ، إن لم يقدم فيه ما قدّم ، ولم يؤخّر ما أخّر ، وبدىء بالذي ثُنّي به، أو ثُنّي بالذي ثُلث به لم تحصل له تلك الصورة وتلك الصنعة » (104).

فالفصاحة والبلاغة « عبارة عن خصائص ووجوه تكون معاني الكلام عليها ، وعن زيادات تحدث في أصول المعاني » وهذه الزيادات هي التي تمثل غرض المتكلم ، ومثال ذلك « تشبيه الرجل بالأسد فتقول : زيد كالأسد ،

(102) المصدر السابق ص 110 .
(103) المصدر السابق ص 258 .
(104) المصدر السابق ص 340 .

ثم تريد هذا المعنى بعينه فتقول : كأن زيدا الأسد ، فتفيد تشبيهه أيضا بالأسد ، إلا أنك تزيد في معنى تشبيهه به زيادة لم تكن في الأوّل ، وهي أن تجعله من فرط شجاعته وقوة قلبه ، وأنّه لا يروعه شيء بحيث لا يتميّز عن الأسد ، ولا يقصر عنه حتى يتوهم أنّه أسد في صورة آدميّ » (105) .

وهذا يدلّ دلالة واضحة أن ذلك منشؤه النظم أي النحو ، إذ الجرجاني يقول بلا تردد :

« لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب (من النحو) وفروقه ، فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك زيد منطلق ، وزيد ينطلق ، وينطلق زيد ، ومنطلق زيد ، ... وفي الشرط والجزاء ، إلى الوجوه التي تراها في قولك : إن تخرج أخرج ، وإن خرجت خرجت ، وإن تخرج فأنا خارج ، وأنا خارج إن خرجت ، وأنا إن خرجت خارج ، وفي الحال إلى الوجوه التي تراها في قولك : جاءني زيد مسرعا ، وجاءني يسرع ، وجاءني وهو مسرع .... فيعرف لكل من ذلك موضعه ، ويجيء به حيث ينبغي له . وينظر في التي تشترك في معنى ، ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى فيضع كلا من ذلك في خاصّ معناه ... وينظر في الجمل التي تسرد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل ... ويتصرف في التعريف والتنكير ، والتقديم والتأخير في الكلام كله ، وفي الحذف والتكرار ، والاضمار والاظهار فيضع كلا من ذلك في مكانه ... » (106) .

فالنحو يمد المتكلم بأنماط مختلفة للكلام تتماشى مع مختلف الأغراض الممكنة ، وعلى المتكلم أن يختار منها ما يوافق قصده ، والبلاغة تحصل إن وُفق إلى الملاءمة بين النمط والغرض ، واستعمل ما يجب حيثما يجب .

---

(105) المصدر السابق ص 258–259 .

(106) المصدر السابق ص 118 .

إلا أن ربط النظم بالنحو واعتباره سبب كل ما يُستحسن في الكلام قـد يخرج من مجال البلاغة الأساليب التـي ضبطها السلف وبوّبوها كالاستعارة والطباق والسجع والجناس ... ولكن الجرجانـي لا يعتبر ان تقييد البلاغـة بالنظم والنحو من شأنه أن يخرج عنها هذه الأساليب ، بل إنه يرى أنها تستمد هـي أيضا قيمتها البلاغية وطاقتها التعبيرية من النظم ، فهو يقـول :

« ... إن هذه المعانـي التـي هي الاستعارة والكناية والتمثيل وسائر ضروب المجـاز من بعدهـا من مقتضيـات النظـم ، وعنهـا يحدث ، وبها يكـون ، لا يُتصور أن يدخل شيء منها في الكلم و هي أفراد لم يُتوخّ فيما بينها حكم من أحكام النحو ، فلا يُتصور أن يكون ههنا فعل أو اسم قد دخلته الاستعـارة من دون أن يكون قد ألّف مع غيره ... » (107) .

ولذا فإن هذه الأساليب لا يمكن – كما يتوهم الناس – أن تكون لهـا قيمة مطلقة ، وأن يكون مجرد وجودها مصدر استحسان ، فهـي كالكلمات خاضعة لمقتضيات النظم ، ولما يرمـي إليه المتكلم من أغراض ، فلا يروق منها شـيء الا إذا كان منسجما مع بقية الكلام « ولا تجد تجنيسا مقبولا ، ولا سجعا حسنا حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه » (108) .

وبصفة أعم فلا وجود لوجه من وجوه التعبير ، أو لعنصر من عناصر الكلام يقتضي استحسانا مطلقا ، وتتوفر فيه المزية بصفة نهائية ، فكل وسائل التعبير وجميع معطيات النظم لها قيمة نسبية ، فلا يمكن أن نسند إليها فضلا في كل كلام ، إذ الفضل نابع من السياق الذي ترد فيه . فالكلمة لا تعتبر فصيحة إلا بحسن « ملاءمـة معناهـا لمعانـي جاراتهـا ، وفضل مؤانستهـا لأخواتها » (109) « ولذا نرى اللفظة في غاية الفصاحة في موضع ، ونراها

(107) المصدر السابـق ص 361 .
(108) أسرار البلاغـة ص 10 .
(109) دلائـل الاعجـاز ص 88 .

بعينها فيما لا يحصى من المواضع وليس فيها من الفصاحة قليل ولا كثير ، وإنما كان ذلك لأن المزية التي من أجلها نصف اللفظ في شأننا هذا بأنّه فصيح مزية تحدث من بعد أن لا تكون ، وتظهر في الكلم من بعد أن يدخلها النظم ، وهذا شيء إن أنت طلبته فيها — وقد جئت بها أفرادا لم تَرُمْ فيها نظما ، ولم تحدث لها تأليفا — طلبت محالا » (110) .

وهذا هو أيضا شأن ما يسميه « بمعاني النحو » ، اذ « ليست المزية بواجبة لها في أنفسها ، ومن حيث هي على الإطلاق ، ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام ، ثم بحسب موقع بعضها مع بعض ، واستعمال بعضها مع بعض » (111) .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الجرجاني كثيرا ما يشبه صناعة الكلام البليغ بمختلف الصناعات التي كالنسج والتصوير والنقش والوشي والصياغة (112) تقتضي حذقا ومهارة ، وتنتج ما يروق الناظر ويستهويه . وهو بهذا التمثيل يحاول أن يوضح عدّة مفاهيم تتعلق بالنظم وبتأثيره في النفوس ؛ منها أن الوشي والصورة مثلا لا يكون الجميل منهما على ما هو عليه من الجمال حتى ترتب فيهما الخيوط او الخطوط حسب الغاية المقصودة ، وتنسق تنسيقا تراعى فيه حالة كل خيط أو خط مع غيره ، فالشكل النهائي ليس مجموعة عدة أشكال يعتبر كل واحد منها على حدة ، وإنما هو شكل واحد متلاحم الأجزاء متضامن العناصر .

ومنها أن كل خيط أو خط إذا اعتُبر على انفراد ، ونظر إليه قبل أن يستعمل في الوشي أو الصورة لا يمكن أن يكون جميلا وأن يسترعي الانتباه ،

---

(110) المصدر السابق ص 367 .

(111) المصدر السابق ص 123 .

(112) انظر مثلا : دلائل الإعجاز : ص 80 ، 93 ، 123 ، 255 ، 339 ، 384 ؛ أسرار البلاغة : ص 317 .

فليست له في هذه الحالة مزية تذكر ، ولا يجوز أن يُعزى إليه جمال الصورة التي سيصبح من مكوناتها .

ومنها أن الشكل النهائي نتيجة تخير للعناصر المختلفة (113) ، وتدبر لكيفية الجمع بينها وتأليفها التأليف الملائم . فالكلام يبدو هكذا مكوّنا من عدّة عناصر ، ولكنه يمثل شيئا واحدا ؛ وهو مركب من أجزاء مختلفة وربما متباينة ، ولكنها في نطاقه تصبح متناسبة متلائمة ؛ وهو وليد اختيار وتدبّر : اختيار الكلماته ومعانيه النحوية وتدبر لكيفية التنسيق بينها وفي هذه المعاني يقول الجرجاني :

« وانما سبيل هـذه المعاني سبيل الأصباغ التي تُعمل منها الصورة والنقوش ، فكما أنك ترى الرجل قد تهدّى في الأصباغ التي عمل منها الصورة والنقش في ثوبه الذي نسج إلى ضرب من التخير والتدبر في أنفس الأصباغ ، وفي مواقعها ، ومقاديرها ، و كيفية مزجه لها ، وترتيبه إياها إلى ما لم يهتد إليه صاحبه ، فجاء نقشه من أجل ذلك أعجب ، وصورته أغرب ، كذلك حال الشاعر في توخيه معاني النحو ووجوهه التي علمت أنها محصول النظم » (114) .

إن الموازنة بين الكلام من ناحية والنقش والتصوير وغيرهما من ناحية أخرى نتيجة لاعتبار الجرجاني النظم صورة للمعنى (115) ، فالمتكلم البليغ في وضع من يرسم صورة أرضيتها المعاني العامة ، وخطوطها الكلمات ، وشكلها المحدد لها العلاقات النحوية ، وهذه العناصر تنتظم فيما بينها وتتماسك ، فتتجلى للسامع كلاما بليغا يروق ويؤثر . وليست هذه المقارنة بين الكلام البليغ والتحف الفنّية لمجرّد التوضيح ، بل هناك داع آخر دعا الجرجاني

(113) دلائل الإعجاز : ص 130 و252 .

(114) المصدر السابق ص 123 .

(115) المصدر السابق ص 341، 427، 428 .

إليها أعنى تأثيرهما في النفوس ، فما تحدثه صناعة الكلام في النفوس شبيه بما يحدثه فيها رائع الصور والنقوش والتماثيل ، وقد عبر عبد القاهر عن هذا بقوله :

« فالاحتفال والصنعة في التصويرات التي تروق السامعين وتروعهم ، والتخييلات التي تهزّ الممدوحين وتحركهم ، تفعل فعلا شبيها بما يقع في نفس الناظر إلى التصاوير التي يشكلها الحذاق بالتخطيط والنقش ، أو بالنحت والنقر ، فكما أن تلك تعجب وتخلب ، وتروق وتؤنق ، وتدخل النفس من مشاهدتها حالة غريبة لم تكن قبل رؤيتها ، ويغشاها ضرب من الفتنة لا ينكر مكانه ، ولا يخفى شأنه – فقد عرفت قضية الأصنام وما عليه أصحابها من الافتتان بها والإعظام لها – كذلك حكم الشعر فيما يصنعه من الصور ، ويشكله من البدع ، ويوقعه في النفوس من المعاني التي يُتوهم بها الجماد الصامت في صورة الحيّ الناطق ، والموات الأخرس في قضية الفصيح المعرب والمبيّن المميّز ، والمعدوم المفقود في حكم الموجود المشاهد ... » (116) .

هذه النظرة لا شك في طرافتها ودلالتها على حذق صاحبها خاصّة إذا روعي أنه كان يعيش قبل تسعة قرون ، فالتقريب بين الكلام البليغ من ناحية ، وما يسمى اليوم بالفنون التشكيلية من ناحية أخرى ، يسترعي الانتباه بما يدلّ عليه من إدراك لحقيقة مظاهر الفنون الجميلة ، وشعور بأنها طرق مختلفة للتعبير عن أحاسيس متشابهة ، ومواقف متماثلة ، ومن إنتباه إلى ما يحتاج إليه المتكلم والفنان على حد سواء من قدرة على التأليف والتنسيق وإيجاد الانسجام بين شتات ما يختاره من موادّ وعناصر . وزيادة على هذا فقد حاول الجرجاني أن يفسر تأثر السامع بما يسمع من الكلام البليغ ، وبما يراه من بديع الصور ورائع النحت ... بسبب واحد وهو نزعة الانسان إلى التأثر بمظاهر الجمال مهما اختلفت وتباينت ، كما أن حديثه عن « الحالة الغريبة » التي تعتري

(116) أسرار البلاغة : ص 317 .

الانسان أمام الصور والكلام البليغ لا تخفى طرافته ولا تنكر دلالته على مكانة عبد القاهـر .

ولئن لم يتمكن الجرجانـي من توضيح هذه « الحالة الغريبة » وبيان كنهها ، فلقد حاول أن يبحث في أنواع النظم ، وبصفة أعم في طرق التعبير عن أسباب تأثيرها ، وتمكّن اثناء تحليله لنماذج من الشعر والكلام البليغ من ذكر بعض هـذه الأسبـاب .

فمنها أن يرد في الكلام ما لا ينتظره السامع ، فالسياق يجعله يترقب كلمة أو حرفا ، وإذا بذلك لا يحدث ، وهذا يقع خاصة في الجناس غير التامّ إذ أن اشتراك كلمتين في بعض الحروف يجعل السامع يظن أن الثانية لا تختلف عن الأولى في شـيء ، ولكـن مـا أن يـدرك آخـرها حتـى يبيـن الفرق وتتضح الغاية (117) .

ومنهـا الجمـع بيـن المتبايـن والتأليف للمختلف مما يجلـب الانتباه ويثير الإعجاب « وذلك — حسب ما يقول الجرجانـي — بيّن فيما تراه من الصناعات وسائر الأعمال التـي تنسب إلى الدقّة ، فإنك تجد الصورة المعمولة فيها كلما كانت أجزاؤها أشدّ اختلافا في الشكل والهيئة ، ثم كان التلاؤم بينها مع ذلك أتمّ ، والائتلاف أبعد ، كان شأنها أعجب والحذق لمصوّرها أعجب » (118) .

إلاّ أن الجوجانـي يعلم ما قد ينجر عن قاعدة مثل هذه من مبالغة وفساد في الكلام ، ولذا يقيّـد ذلك بشرط الإصابة في التنسيق رغم الاختلاف ويقول : « واعلم أنـي لست أقول لك إنك متى ألّفت الشـيء ببعيد عنه في الجنس على الجملة فقد أصبت وأحسنت ، ولكن أقوله بعد تقييد وبعد شرط ، وهو أن

(117) أسرار البلاغة : ص 18 .
(118) المصدر السابـق : ص 139 .

تصيب بين المختلفين في الجنس وفي ظاهر الأمر شبها صحيحا معقولا ، وتجد للملاءمة والتأليف السويّ بينهما مذهبا وإليهما سبيلا » (119) .

ومنها تضمين الكلام ما يدعو إلى التفكير وإعمال الرأي فمن « المركوز في الطبع — حسب الجرجاني — أن الشيء إذا نيل بعد الطلب ، والاشتياق إليه ، ومعاناة الحنين نحوه كان نيله أحلى ، والمزية أولى ، فكان موضعه من النفس ، أجلّ وألطف ، وكانت به أظن وأشغف » (120) .

إلا أن هذا المبدأ قد يؤول إلى تمجيد التعقيد والإيغال في التكلف والتعمية ، ولذا يحتاط الجرجاني ، ويخرج الكلام المعقد من مجال ما يكتشف معناه بالروية « فالمعقد من الشعر والكلام لم يذمّ — في نظره — لأنه مما تقع حاجة فيه إلى الفكر على الجملة ، بل لأن صاحبه يعثر فكرك في متصرفه ، ويشيك طريقك إلى المعنى ، ويوعر مذهبك نحوه ، بل ربما قسم فكرك ، وشعّب ظنك حتى لا تدري من أين تتوصل ، وكيف تطلب » (121) .

فالأسباب الداعية إلى إعمال الفكر لاكتشاف أسرار الكلام ينبغي ألا تحول دون الفهم ، وألا تكون التواء في التفكير ، وإفراطا في التعمق ، لأن « الافراط في التعمق ربما أخلّ بالمعنى من حيث يراد تأكيده به » (122) ؛ واللذة الذي يشعر بها الانسان عند إدراك مفهومه ليس منشؤها مجرد فهم المعنى ؛ وإنما الإكتشاف التدريجي لدقائقه التي بعضها — كما يقول الجرجاني — « على الذكر أبدا ، وبعضها « كالغائب » ، وبعضها « كالبعيد عن الحضرة لا يُنال إلا بعد قطع مسافة إليه ، وفضل تعطّف بالفكر عليه » (123) .

(119) المصدر السابق : ص 138—139 .
(120) المصدر السابق : ص 126 .
(121) المصدر السابق : ص 135 .
(122) المصدر السابق : ص 275 .
(123) المصدر السابق : ص 146 .

ويعتمد الجرجانـي في تعليل المجهود الذي يقتضيه إدراك قيمة الكلام البليغ على خاصيّة من خصائص الإدراك الحسي وهـي — على حدّ تعبيره « أن الجملة أبدا أسبق إلى النفوس من التفصيل ، وأنك تجد الرؤية نفسها لا تصل بالبديهة إلى التفصيل ، ولكنك ترى بالنظر الأول الوصف على الجملة ، ثم ترى التفصيل عند إعادة النظر... وهكذا الحكم في السمع وغيره من الحواسّ ، فإنك تتبيـّن من تفاصيل الصوت بأن يعاد عليك حتى تسمعه مرّة ثانية ما لم تتبينه بالسماع الاول ، وتدرك من تفصيل طعم المذوق بأن تعيده إلى اللسان ما لم تعرفه في الذوقة الأولى ، وبإدراك التفصيل يقع التفاضل بين راء وراء ، وسامع وسامع وهكذا ؛ فأما الجمل فتستوي فيها الأقدام ... » (124) .

فلذة الاكتشاف الناجمة عن الرويّة سببها الوقوف على الجزئيات والتفاصيل التـي لا تبرز من أول وهلة ، وليست في متناول كل الناس ، وذلك لبراعـة النظم وحسن التأليف ، لا للإكثار من الأساليب البلاغية ، والإفراط في فنون البديع . ولذا ينتقد الجرجاني الشغف بماله « اسم في البديع » كما يقول ، ويذم « الاستكثار منه والولوع به » معللا موقفه في شأن الجناس مثلا بـأن « المعانـي لا تدين في كل موضع لما يجذ بها التجنيس إليه ، إذ الالفاظ خدم المعانـي ، والمصرّفة في حكمها ، وكانت المعانـي هـي المالكة سياستها ، المستحقة طاعتها ... » (125) .

ومن أسباب تأثير الكلام البليغ تقريبه المفاهيم إلى الاذهان ، وإظهار الخفـي في مظهر البارز الجلـيّ ، ولذا يقول الجرجانـي في التمثيل وهو الاسلوب الذي يحقق هذا أكثر من غيره :

« إن أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفـيّ إلى جلـيّ ، وتأتيها بصريح بعد مكنـيّ ، وأن تردّها في الشيء تعلمها إيّاه إلى شيء آخر هـي

(124) المصدر السابـق : ص 147 .
(125) المصدر السابـق : ص 8—9 .

بشأنه أعلم، وثقتها به في المعرفة أحكم، نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس، وعما يُعلم بالفكر إلى ما يُعلم بالاضطرار والطبع ، لأنّ العلم المستفاد من طريق الحواسّ أو المركوز فيها من جهة الطبع وعلى حد الضرورة يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر في القوّة والاستحكام وبلوغ الثقة فيه غاية التمام ... » (126) .

وليس هذا مما يتنافى مع أن الكلام البليغ كثيرا ما يقتضي إعمال الفكر والرويّة لتكتشف كل مزاياه ، فوضوح التعبير لا يتضارب مع إعمال الفكر ، ذلك أن الكلام يمكن أن يكون جليّا يقرّب المعنى فتدركه من أول وهلة ، ولكنّك لا تدرك أسباب جلائه إلا إذا أمعنت النظر في بنائه ، وتقصّيت خصائص نظمه ، وتأملت في الوسائل المستعملة لتحقيق التلاؤم بين أجزائه .

ومجمل القول يمكن أن نعتبر أن عبد القاهر الجرجاني يحتل مكانة مرموقة في تاريخ البلاغة العربية ، استطاع في عصر بدت فيه ملامح هذا الفن متبلورة مستقرة ، وسبله ممهدة ، أن يطرح من جديد موضوعها على بساط البحث . وقد كانت مسألة الإعجاز منطلق بحثه وغايته في نفس الوقت ؛ آمن بأن أسباب الإعجاز في النص ، وأنكر أن تكون في عبارات معينة ، وأساليب مضبوطة تعزل عن محيطها وتعتبر مصدر كل حسن ورونق ؛ رأى في النظم أساس الإعجاز ومحط البلاغة ، ورفض أن يكون مجرد ترديد هذا المصطلح كافيا للاقناع به ؛ أخذ كلمة النظم عن سلفه ، وضمّنها مفهوما يمد الدارس بوسائل عملية للبحث والتقييم . ولقد تسنى له ذلك لأنه ميّز بين اللغة والكلام ، بين ما تشترك فيه المجموعة وما يختص به الفرد ، بين ما يمكن أن يُضبط وتستقصى وسائله وما هو خلق مستمرّ وابتكار متواصل ، فعوض مبدأ بلاغة العبارة الذي يوهم بأن وسائل حسن الكلام يمكن أن تحصى ، بمبدإ بلاغة

(126) المصدر السابق : ص 108 .

السياق الذي يفتح المجال واسعا للاختراع والإبداع ، فكان صاحب منهج بينما اكتفى غيره بتفكيك الكلام وإفراد بعض جوانبه بالعناية . لكل هـذا لعلنا لا نبالغ إن قلنا إنه بعث حياة جديدة في التفكير البلاغـي ، ولكن الخلف لم يعيروا اهتماما إلا إلى ما حلل من أساليب على سبيل المثال ، فأضافوها إلى ما أحصاه غيره ، وأهملوا الفكرة الرّئيسية التـي كانت تحدوه في كل كتاباته حـول البلاغـة .

عبد القادر المهيري

كتاب سيبويه بين التقعيد والوصف *

بقلم : عبد القادر المهيري

إذا كان كتاب سيبويه قديما عمدة تدريس النحو والتعمق فيه والتصنيف الذي يصبو أئمة النحو إلى شرحه (1) فإنه ينبغي أن يكون اليوم المنطلق لدراسة تاريخ النحو العربي والمقياس الذي به تقوّم طريقة التحليل اللغوي في بدايتها ويضبط تطور المفاهيم النحوية ووسمها بما يفي بها من المصطلحات .

ولكن الكتاب وصاحبه ما زالا ضربا من اللغز ، فالرجل الذي تدين له العربية بأقدم دستور نعرفه لها يبدو أنه عاش مغمورا لم يعرف الشهرة حيّا ، ولا بوّأه المجتمع — أو بالاحرى أولياء النعمة من كبار القوم — المكانة التي كان يحظى بها من كانوا مثله أو دونه درجة في العلم . والأخبار التي احتفظت بها كتب التراجم عن حياته ليست نزرة فحسب ، بل إنها لم تسلم من الاضطراب حتى في شأن تاريخ وفاته (2) وليس من المألوف أن تتضارب الاخبار حول وفاة المشاهير من الرجال .

أما الكتاب فأمره أغرب ، إن أنقذه الزمان من التلف فقد قضى على كل وثيقة تقدمته ، وإذا اعتبرته من أول ما ألف في النحو أدهشك بضخامة حجمه

(*) قدم هذا البحث في المؤتمر الذي عقد بشيراز (ايران) من 25 افريل إلى 2 ماي 1974 بمناسبة مرور 1200 عام على وفاة سيبويه .

(1) انظر : خديجة الحديثي : كتاب سيبويه وشروحه ، بغداد 1386–1967 .

(2) انظر في المصدر السابق التواريخ المختلفة : ص 46 .

وغزارة مادّته واستقصائه لمعطيات اللغة واستعمالاتها ، وتساءلت هل يمكـن لرجل في ظرف حياة قصيرة أن يجمع ما جمعه سيبويه من المعلومات عــن اللغة ، ويسيطر على تنوع جوانبها وتشعب وجوهها دون أن يكون عملـه امتدادا لتقاليد عريقة في التأليف النحوي . وإذا بدا فقدان كل ما كتب في النحو قبل سيبويه من شأنه أن يبرز قيمة صاحب الكتاب وأن يؤكد فضلـه على العربية ، فإنه قد يكون أيضا مما يشجع الحاسدين على الطعن في نزاهة صاحبه وجعل الشكوك تحوم حول نسبته أو نسبة بعض جوانبه إليه (4) . ففقدان الآثــار السابقة للكتاب يحرم الدارس من كل وسائل المقارنة ، ويحول دونـه ودون إرجاع الأمور إلى نصابها . وإذا كان الطاعنون في سيبويه والذائدون عنه على حدّ سواء في افتقارهم إلى الحجة التاريخية والوثائق المكتوبة التي تثبت طرافة سيبويه أو عدم طرافته ، فأولئك يكفيهم أن يشكوا في نزاهة محسودهم ، بينما هؤلاء لا يقر قرارهم إلا إذا قضوا على الشكوك واستأصلوا الظنون .

ولكن ما هو الموقف الذي ينبغـي أن يتوخاه الباحث اليوم من الكتـاب ؟ لا شك أنه يستطيع أن يستغل الاخبار الواردة عن هذا التصنيف في كتب التراجم فيخضعها للتمحيص والنقد ، ويخرج من كل ذلك برأى في هذه القضية ؛ وهذه الاخبار قد استغلها فعلا جل من اعتنى بإمام البصريين وكتابه ، وحالوا أن يستنطقوها لينصفوا سيبويه وسلفه (5) ؛ ويمكن له أيضا أن يكتفـي بإجماع كبار النحاة على نسبة مادّة الكتاب إلى تلميذ الخليل . والرأى عندنا أنه يجدر بالباحث ألا يدرس هذه القضية بالاقتصار على عناصر خارجية فحسب ، بل لعله يمكن أن يجد في النّص — نص الكتاب — ما يساعد على تقدير مجهود

(3) انظر الفهرست : مطبعة الاستقامة بمصر ص 82 .

(4) انظر : القفطي : إنباه الرواة ج 2 ص 346 . الفهرست ص 82 .

(5) انظر على سبيل المثال سيبويه أمام النحاة لعلى النجدى ناصف (القاهـرة 1372–1953) وكتاب سيبويه وشروحـه لخديجـة الحديثي ومقدمة الكتاب لعبد السلام هارون : دار القلم : 1385–1966 .

سيبويه فيه . وغرضنا هنا أن نقترح بعض العناصر لطريقة قد تساعد بالاعتماد على نص الكتاب من تحديد دور سيبويه فيه .

إن مادّة الكتاب متشعبة ؛ متنوعة الجوانب ، كثيرة الجزئيات ، ولا مجال هنا لاستقرائها كاملة واستنطاق جميع جوانبها ، وإنما سنقتصر على بعض النواحي ونختار عددا من الامثلة نرجو أن نكون وفقنا في اختيارها . ومن الجوانب التي نراها مفيدة في هذا المضمار طريقة التبويب وتصنيف المعلومات ، ومنهج تقديم المفاهيم والحدود والاحكام ، ونوع المصطلحات .

ومن الجوانب التـي لا نتعرض لها — لا لقلة أهميتها وانما لانها يمكن أن تكون وحدها موضوع دراسة خاصة بها — هو ما يستشهد به سيبويه من آراء غيره من النحاة ، وبهذه المناسبة نشير إلى أن دراسة هذه الاراء ينبغـي أن تتجاوز مجرّد الإحصاء إلى الجمع والتبويب تبويبا يساعد على معرفة مـدى مشاغل النحاة قبل سيبويـه .

***

إن الذي يطالع كتاب سيبويـه ويمعن النظر في معطياته يلاحظ ضربا من عدم الانسجام ولربما اختلال التوازن بينها ؛ فليس في الكتاب طريقة واحـدة لتصنيف المسائل وتقديمها ، وتوضيح المواضيع ، وتعليل الاحكام ، وتسمية المفاهيم ؛ والشعور الذي يحصل له أنه تارة أمام عمل تأليفـي يغلب عليـه الإيجاز والأحكام العامة الجامعة لشتات المعطيات ، وطورا إزاء دراسة تحليلية مفصلة إلى أبعد حدود التفصيل — تستعرض فيها المعطيات واحدة واحدة بحثا عن الاستقصاء والشمول ؛ وهذا يؤدى بنا إلى القول بأن المؤلف يتردد بين ما نسميه التقعيد والوصف ، فهو تارة يدخل الباب من القاعدة أي من الحكم العام الذي يشمل كل مسائل الباب أو جلها ، وطورا يقف موقف الواصف لا يبادر إلى التقنين إلا بعد استقراء شتات الاستعمالات ، وهذا يمكن أن نلاحظه في كل جانب من الجوانب التـي ذكرناها .

1 ــ تبويب المادّة :

إذا كان التوازن حاصلا تقريبا بين موضوعـي الدراسة الكبيرين ــ أعني النحو والصرف (6) ــ فإنه يعسر أن نجزم بذلك في شأن أبواب المسائل وخاصة ما ينتمـي منها إلى قسم النحو . لا شكّ أن التبويب الذي توخـي في الكتاب لم يبلغ بعد في كل موضوع درجة الوضوح التـي ستكون له عند الخلف ، كما أن بعض جوانب المسألة الواحدة لا تَرِد دائما ضمن الباب الذي ننتظر أن نجدها فيه ، وبصفة عامة يمكن القول إن بعض المسائل استغرقت من الابواب ومن الصفحات في مختلف الطبعات ما لا يبدو لنا متناسبا مع أهميتها إذا مـا قيست مع مسائل أخرى . هذا هو ــ في نظرنا ــ شأن تلك الابواب العديـدة التي يخصصها سيبويه لدراسة أنواع من التراكيب المختصرة التي ينصب فيها المصدر أو ما كان شبيها بالمصدر ، فقد خصص لها في طبعة بولاق ما يقرب من سبعين صفحة ؛ هذا هو كذلك شأن الأبواب المخصصة للتصغير وقد استغرقت في طبعة بولاق ما يناهز الاربعين صفحة ، وشأن الابواب التـي درست فيهـا النسبة إذ درست فيما يقرب من عشرين صفحة في طبعة بولاق .

ليست هذه الملاحظات انتقادا لطريقة سيبويه ، فلا شك أن الإطالة في مثل هذه الابواب لها ما يبررها ، ويبدو لنا أن سببها هو أن سيبويه يقف هنا موقف المحلل أكثر منه موقف المقعّد ، ويمكن ــ من هذه الناحية ــ تقسيم أبواب الكتاب إلى قسمين : قسم بوّب على أساس الاحكام وقسم بوب على أساس الامثلة وتشعب الاستعمال .

فالقسم الاول يبدو أن أساسه نظرة عامة شاملة لجوانب الباب أو المسألة ، ولذا يبدأ عادة بتعداد تلك الجوانب قبل تحليل كل واحد منها ، ونذكر على سبيـل المثـال :

(6) يستغرق ما يدخل عادة في باب النحو 558 ص من ط. بولاق ويستغرق ما يدخل في باب الصرف 362 ص.

« باب مجارى أواخر الكلم من العربية وهـي تجرى على ثمانية (7) مجار على النصب والجر والرفع والجزم والضم والكسر والوقف » ونجد بعد هذه المقدمة تفصيلا لهذه المجارى وما يختص بها من أقسام الكلام .

هذا هو أيضا شأن باب الاستثناء اذ يبدأ المؤلف بذكر حروف الاستثناء وتعدادها (8) وبالاشارة إلى كيفية تناوله لجوانب هذه المسألـة .

وأحيانا يبدأ هذا النوع من الابواب بتوضيح بعض المفاهيم التـي لابد منها للباب المعنـي بالامر . نجد ذلك مثلا في باب مجرى نعت المعرفة عليها اذ يبدأ ببيان أنواع المعارف :

« فالمعرفة خمسة أشياء : الاسماء التـي هـي أعلام خاصة ، والمضاف إلى المعرفة إذا لم تُـرد معنى التنوين ، والألف واللام ، والأسماء المبهمـة ، والإضمـار » (9) .

ومرّة أخرى تفتتح هذه الأبواب بذكر حكم أو أحكام الظاهرة المدروسة حسب تنوع جوانبها كما فعل في باب النـداء اذ بدأه بقوله :

« إعلم أن النداء كل اسم مضاف فيه فهو نصب على اضمار الفعل المتروك اظهاره ، والمفرد رفع وهو في موضع اسم منصوب » (10) .

ويمكن أن نلحق بهذا الصنف ما بدىء من الابواب بتعريف المفهوم وتوضيحه كما هو الشأن في باب الندبة :

« إعلم أن المندوب مدعوّ ولكنه متفجّع عليه فإن شئت ألحقت في آخر الاسم الألف لأن الندبة يترنمون بها ، وإن شئت لم تلحق كما لم تلحق في النداء » (11) .

(7) الكتاب ط. ع. هارون ج 1 ص 17 .
(8) المصدر السابـق ج 2 ص 309 .
(9) المصدر السابـق ج 2 ص 5 .
(10) المصدر السابـق ج 2 ص 182 .
(11) المصدر السابـق ج 2 ص 220 .

وكذلك باب الترخيم : « والترخيم حذف أواخر الاسماء المفردة تخفيفا كما حذفوا غير ذلك من كلامهم تخفيفا » (12) .

نرى إذا أن المسائل التـي كانت موضوع هذه الأبواب قد كان للمؤلف عنها فكرة تأليفية تمكنه من الإشراف على جوانبها بسهولة أو من تقديمها أولا تقديما مجردا ، ويبدو لنا أن ذلك راجع إلى أنها حظيت بالدرس قبل سيبويه أكثر من غيرها ، وسبرت مختلف شعابها ، ووضحت معالمها ، فأصبحت مألوفة ، وسهلت السيطرة عليها . وليس معنى هذا ألاّ فضل لسيبويه في تقديمها ولكن معناه أن سبيل الوصول إليها والظفر بها ممهدة نسبيا ، فتسنّى تقديمها بالانطلاق من العام إلى الخاص ومن النظرى إلى التطبيقـيّ .

ولكن بجانب هذا الصنف من الابواب توجد أبواب عديدة أخرى ينطلق فيها المؤلف من الاستعمال وتشعبه . فالمفاهيم هنا لا تُوضح في بداية الباب ، والاحكام لا يُبادر إلى وضعها من أول وهلة ، وإنما ترد جزئية أو يستنبطها القارىء باجتهاده أو يجمع شتاتها من الوجوه المعروضة . هذا ما نجده عادة في أبواب لا تتضمن عناوينها تسميته للظاهرة المدروسة تسمية تمكّن من تصنيفها ضمن وظيفة من الوظائف النحويـة كالفاعـل والمفعول والحال ... من هذه العناوين نذكر على سبيل المثـال :

– باب ما يضمر فيه الفعل المستعمل إظهاره في غير الأمر والنهـي (ج 1 ص 257) .

– باب ما ينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره استغناء عنه (ج 1 ص 273) .

– باب ما جرى من الأسماء مجرى المصادر التـي يدعى بها (ج 1 ص 314) .

(12) المصدر السابـق ج 2 ص 239 .

وهذه الابواب لا تعدو أن تكون عادة مجموعة من الامثلة والاستعمالات يقارن المؤلف بعضهـا ببعـض ويقـرب بينها ، ويتثبت من تشابه أحكـامهـا الإعرابية ؛ ويلوح فيها سيبويـه مستقرئا أكثر منه عارضا للاحكـام والقواعـد وجامعا لشتات المعطيات تحت قاعدة مضبوطة واضحة ، وكأنه في عمله ذلك يمر بمختلف أطوار العملية القياسية المفضية إلى الاحكـام العامـة .

وهذا ما يفسر في نظرنا تعدد الأبواب المذكورة وكثرة الأمثلة والاستعمالات الموصوفة ؛ وتعددُ الابواب هنا ليس سببه تعدد الأحكام ولكن مرجعه ــ حسب ما يبدو ــ أن المادة المعالجة لم تندرج بعد نهائيا في سياق الابواب التي استقرت أحكامها، واتضحت قواعدها، وتبوأت مكانها الطبيعي في تسلسل الفصول . وصاحب الكتاب يبدو واصفا سابرا لجوانب اللغة وشعابها لا مصنفا للمادة على أساس ما استنبطه السلف وأقروا أسسه وبلوروا أحكامـه .

2 ــ تقديـم المفاهيم والاحكـام :

أما الظاهرة الثانية التـي تلوح لنا مترجمة عن مدى ما استفاده سيبويه مـن أعمال سلفه ومدى ما أضافه هو إلى المادة النحوية فهو ما سميناه بتقديم المفاهيم والاحكـــام .

هذه الظاهرة تابعة في نهاية الامر لطريقة التبويب ونجد أيضا نوعين من المناهج : المنهج المتمثل في الانطلاق من المفهوم المجرد والذي لا يعتمد عـلى المثال الا لتجسيم ذلك المفهوم ، والمنهج القائم على الانطلاق من المثال للبحث عن كيفية معاملة المتكلم له من حيث البنية والإعراب .

ولنا في الأبواب الاولى من الكتاب أحسن مثال للصنف الاول ومنها مثلا باب « مجارى أواخر الكلم العربية » (13) فهو مثال للعرض التقريري القائم

(13) المصدر السابـق 1 ص 13–23 .

على نظرة تأليفية للمعطيات ، فهو استعراض للاحكام النحوية مـن إعـراب وبناء ورفع ونصب وجر وجزم يصنفها المؤلف حسب أقسام الكلام تصنيفا لا يخلو من إحكام ، ولا شك أن عرضا من هذا القبيل لا يتسنّى ما لم توجـد تحت تصرف المؤلف مادة بلغت من التبلور والتجرّد ما يمكّن من فصلها عن الاستعمالات التي استمدت منها وترتيبها ترتيبا نظريـا .

هذا أيضا هو شأن مجموعة الأبواب التي كتناول فيها عمل الفعل أو ما شابهه كاسمـي الفاعل والمفعول والتـي افتتحت بهذه المقدمة التـي تذكر عادة مثالا لتعقد كلام سيبويه (14) :

« باب الفاعل الذي لم يتعد فعله إلى مفعول ، والمفعول الذي لم يتعد إليه فعل فاعل ، ولا يتعدى فعله إلى مفعول آخر ، وما يعمل من أسماء الفاعلين والمفعولين عمل الفعل الذي يتعدى إلى مفعول ، وما يعمل من المصادر ذلك العمل وما يجري من الصفات التـي لم تبلغ أن تكون في القوة كأسماء الفاعلين والمفعولين التـي تجري مجرى الفعل المتعدّى إلى مفعول مجراها ، وما أجري مجرى الفعل وليس بفعل ولم يقو قوته ، وما جرى من الاسماء التـي ليست بأسماء الفاعلين التـي ذكرت لك ، ولا الصفات التـي هـي من لفظ أحداث الاسمـاء وتكون لاحداثها أمثلة لما مضى ولما لم يمض ، وهـي التـي لم تبلغ أن تكون في القوة كأسماء الفاعلين والمفعولين التـي تريد بها ما تريد بالفعل المتعدي إلى مفعول مجراها ، وليست لها قوة أسماء الفاعلين التـي ذكرت لك ولا هذه الصفات كما أنها لا يقوى قوة الفعل ما جرى مجراها وليس بفعل » .

إن ذكّرنا بهذه المقدمة المعروفة فلنشعر عند قراءتها بعدد النواحي التـي تشير إليها وبحرص المؤلف على استقصاء تلك النواحي مع التحرّي لتمييز بعضها عن بعض ، وتشعب التركيب إلى حد الغموض يدل ــ حسب ما

---

(14) المصدر السابـق ج 1 ص 14 .

نعتقد ـ على رغبة سيبويه في تقديم مقتضب لكل ما يتعلق بعمل الفعل أو ما جرى مجراه ، ولم يكن ذلك ليتسنّى لو لم تكن عناصر المادة متبلورة في ذهنه نتيجة نضجها بفضل جهود السلف .

ويمكن أن نذكر أيضا دليلا على هذه الطريقة في العرض الأبواب الخاصة بالابتداء وبعمل إن وأخواتها (15) ، إن هذه الأبواب المذكورة على سبيل المثال تبدأ عادة إما بذكر القاعدة المتضمنة للحكم الإعرابي وتعليله :

« هذا باب الفاعل الذي لم يتعد فعله إلى مفعول والمفعول الذي لم يتعد إليه فعل فاعل ولم يتعداه فعله إلى مفعول آخر والفاعل والمفعول في هذا سواء يرتفع المفعول كما يرتفع الفاعل لانك لم تشغل الفعل بغيره وفرغته له كما فعلت ذلك بالفاعل » (16)

أو بتحديد الظاهرة المدروسة وبيان عناصرها وشروطها وحكمها :

« هذا باب الابتداء فالمبتدأ كل اسم ابتدىء ليبنى عليه الكلام ، والمبتدأ والمبنيّ عليه رفع ، فالابتداء لا يكون الا بمبني عليه ، فالمبتدأ الاول والمبني ما بعده ، فهو مسند ومسند إليه . واعلم أن المبتدأ لابد له من أن يكون المبني عليه شيئا هو هو ، أو يكون في مكان أو زمان وهذه الثلاثة يذكر كل واحد منها بعدما يبتدأ » (17) .

ولابد أن نشير في هذا الموضع من كلامنا إلى أن الكثير من المبادىء التي يعلل بها سيبويه الظواهر المدروسة أو ستصبح عللا عند الخلف من النحاة قد ورد ضمن هذه الابواب التي نعتبر مادّتها متبلورة أكثر من غيرها لما حظيت

(15) المصدر السابق ج 2 ص 126–156 .
(16) المصدر السابق 1 ص 126–127 .
(17) المصدر السابق ج 2 ص 126–127 .

به من عناية المتقدمين . وهذه مثلا بعض العلل التي نجدها في الصفحات الاولى مـن الكتـاب :

« وليس في الأسماء جزم لتمكنها وللحاق التنوين ، فإذا ذهب التنوين لم يجمعوا على الاسم ذهابه وذهاب الحركة ، وليس في الافعال المضارعة جر كما أنه ليس في الاسماء جزم لان المجرور داخل في المضاف إليه معـاقـب للتنوين وليس ذلك في هذه الافعـال (1 ص 14) .

« واعلم أن بعض الكلام أثقل من بعض فالافعال أثقل من الأسماء لأن الاسماء هـي الاولى وهـي أشد تمكنا ... » (1 ص 20) .

« واعلم أن النكرة أخف عليهم من المعرفة وهـي أشد تمكنا لان النكرة أول ... » (1 ص 22) .

« واعلم أن الاسم أول أحواله الابتداء ... » (1 ص 23) .

ولكن بجانب هذه المفاهيم التي يبدو أنها قد استقرت والظواهر التـي قد صنفت واتضحت أحكامها وسهل إرجاعها إلى المسألة ، نجد مفاهيم وظواهر لا نظنها درست قبل سيبويه درسا كافيا وحددت تحديدا محكما لتتسنى السيطرة عليها بسهولة . فترى المؤلف لا يقدم للظاهرة المدروسة تعريفا مجردا ليقربه إلى الاذهان ، ولا يسكت عنها باعتبارها معروفة واضحة ، وانما يحاول أن يحدد خصائصها ويوحـي بدورها بواسطة المقارنة . ومن الظواهر التـي كـان هذا شأنها الحال ، فسيبويه لم يعرفه كما فعل للمبتدإ والابتداء مثلا ، ولا سكت عنه واعتبره في غير حاجة إلى التعريف كالفاعل ، وانما سعى إلى ضبطه حتى لا يختلط بمنصوب آخر مقربا بين الامثلة مستغلا المعنى اللغوي لكلمة الحال :

« هذا باب ما يعمل فيه الفعل فينتصب وهو حال وقع فيه الفعل وليـس بمفعول كالثوب في قولك كسوت الثوب وفي قولك كسوت زيدا الثوب لأن الثوب ليس بحال وقع فيه الفعل ولكنه مفعول كالأوّل ، ألا ترى أنه يكـون

معرفة ويكون معناه ثانيا كمعناه أولا إذا قلت كسوت الثوب وكمعناه إذا كان بمنزلة الفاعل إذا قلت كُسِيَ الثوب » (18) .

فمنهج تقديم هذا العنصر من عناصر الجملة في هذا الباب يعتمد التنقل من التركيب المتضمن لمفعول أو مفعولين الى التركيب المتضمن لحال والمقارنة بينهما لابراز ما بينهما من فروق شكلية ومعنوية ، وهذه طريقة من طرف الملاحظة والوصف وهي أبعد ما يكون عن تقديم المفاهيم تقديما يعتمد التجريد والتصور الذهني للأمور .

وطريقة المقارنة هذه كثيرا ما يلجأ إليها سيبويه عندما تتشابه الظواهر المدروسة في شكلها وخاصة إعرابها وتختلف في دورها ، فيخشى أن تكون مصدر التباس . وهو يعتمدها أيضا عندما لا يكون التقديم النظري كافيا لإبراز طرافة الظاهرة المدروسة كما فعل عندما تحدث عن كان ومعموليها :

« هذا باب الفعل الذي يتعدى اسم الفاعل إلى اسم المفعول واسم الفاعل والمفعول فيه لشيء واحد فمن ثم ذكر على حدته ولم يذكر مع الاول ولا يجوز فيه الاقتصار على الفاعل كما لم يجز في ظننت الاقتصار على المفعول الاول ، لأن حالك في الاحتياج إلى الآخر ههنا كحالك في الإحتياج إليه ثمة وسنبين ذلك إن شاء الله » (19) .

والغالب على الظن أن تقديم هذه الظواهر لم يكن في حاجة إلى مثل هذه المقارنة لو كان المفهوم قد اتضح واستقرت خصائصه في أذهان أهل الذكر وتبلور في مصطلح شاع بين الناس . ولنلاحظ هنا أن اسم كان وخبرها أشير إليهما باسم الفاعل واسم المفعول أي الاسم الذي يجري مجرى الفاعل والاسم الذي يجري مجرى المفعول . فالمصطلحان نفسهما يعتمدان في اختيارهما

(18) المصدر السابق ج 1 ص 44 .
(19) المصدر السابق ج 1 ص 45 .

طريقة المقارنة ، مقارنة جملة كان بالجملة الفعلية لإبراز ما بينهما من شبه في البنية واختلاف في المعنـى .

3 ـ المصطلحـات :

وهكذا ننتقل إلى الناحية الثالثة من دراستنا أعنـي المصطلحات ومـدى دلالتها على دور سيبويه في بناء صرح النحو العربـي . ولعل المصطلحات من أحسن المقاييس التـي تقاس بهـا درجـة اكتمـال هذا الصرح ، فوجود المصطلح يـدل على أن المفهـوم المسمـى قد استرعى الانتباه ، وحظي بدراسة يمكن اعتبارها عميقة بقدر ما بدا المصطلح متبلورا مكتفيا بذاته لا يحتاج إلى توضيح أو تعليق . أما إذا انعدم المصطلح واضطر المتكلم إلى وصف الظاهرة بـدون تسميتها باسم خاص بها فأقل ما يقال في الظاهرة المعنية بالأمر أنها لم تحظ بما يكفـي من العناية . والحقيقة هنا أن قضية المصطلحات لا تمكن دراستهـا بالمقابلة بين حالتين مختلفتين اذ أن الطرق المستعملة في الكتاب لتسمية المفاهيم متنوعة ومستويات الاصطلاح عديدة تتراوح بين المصطلح الواضح التام التبلور الذي لا إلتباس فيه وانعدام التسمية الاصطلاحية .

فالكتاب يتضمن عددا كبيرا من المصطلحات التـي يمكن اعتبارها قـد استقرت واصبحت شفافة تعكس مفهـومها بصورة لا تحتـاج معها إلى توضيح أو تعليـل . ومن هذا النـوع المصطلحات الخاصـة بالبناء والإعراب وأحكامه ، وبما يمكن أن نسميـة المقولات النحويـة من جنس وعـدد وتعريف وتنكير ، وببعض الوظائف كالفاعل والمبتدإ والنعت والبدل ، وأخيرا ببعض المفاهيم الصرفية والصوتيـة . وهنا لا نظن أننـا نجازف إن قلنـا إن سيبويه وجد هذه المصطلحات قد شاعت نتيجة لما حظيت به مفاهيمها من عناية ولكثرة تداولها على الالسن ، فما كان عليه إلا أن يستعملها واثقا بتأديتها لما يحمّلها اياه مـن معـان .

ولكن بجانب هذا نجد حالات لا يبدو أن وضع المصطلحات فيها قد استقر وبلغ حد الوضوح . ومن ذلك مجموعة من الأسماء يكثر استعمالها في الكتاب ولكنها تبدو لنا متأرجحة بين معناها اللغوي ومعناها الاصطلاحي ، وهذا في نظرنا ، شأن كلمة «حال» فهي في أغلب الاحيان جاءت مقرونة بجملة نعتية توضح معناها مما يدل على عدم اكتمال الصبغة الاصطلاحية فيها . وهكذا نجد مثلا :

« وهو حال وقع فيه الفعل » (1 ص 44) «لانه حال وقع فيه الامر» (1 ص 370) .

« ما ينتصب أنه حال يقع فيه الامر » (1 ص 376) .

« لانه حال صار فيه المذكور » (1 ص 384) .

« لانه حال يقع فيه السعر » (1 ص 395) .

« لانها أحوال تقع فيها الامور » (1 ص 400) .

وكذلك الشأن بالنسبة إلى كلمة مفعول ، فلا يبدو لنا أن حدودها الاصطلاحية قد اتضحت في كل استعمالات سيبويه لها ، فنحن نجده مثلا يستعملها في تراكيب من هذا النوع :

« لانه حال يقع فيه الامر لانه مفعول به » (1 ص 391) .

« فكلاهما مفعول ومفعول منه » (1 ص 274) .

فالجمع بين الحال والمفعول به من ناحية ، وطريقة استعمال حرف الجر بعد « المفعول » من ناحية أخرى يجعلنا نشك في اعتبار سيبويه لها مصطلحا ، ونرجح أن ما يهمه منها هو قبل كل شيء معناها اللغوي .

أما الحالة الثالثة فهي حالة المفاهيم التي عبر عنها سيبويه بجملة كاملة أو عبارة تنبيء بالمصطلح أو تحمل بذوره بدون أن تكون قد تضمنت صيغته النهائية : مثال ذلك قوله عند الحديث عن اسم الفعل : « باب من

الفعل سمـي الفعل فيـه بأسماء لم تؤخذ من أمثلة الفعل الحادث » (20) أو تسميته للنعت السببـي : « نعت ما كـان من سببها » .

ويمكن الإشـارة أيضا إلى مصطلحات لا يبدو أنها قد تبلور فيها مفهوم واحد فاستعملت في أبواب مختلفة للدلالة على ظاهرتين مختلفتين ومنها « اسم الفاعل » و« اسم المفعـول » لتسميته اسم كان وخبرها من ناحية ، والصيغتين الصرفيتين المشتقتين من الفعل من ناحية أخرى ، وكذلك شأن كلمة « خبـر » فهـي « خبر » للمبتدإ وحال . إلى جانب هذا لم يجـد سيبويه لبعض المفاهيم تسميات اصطلاحية فاكتفـى بتحليل معناها كما فعل بالنسبة إلى المفعول لاجله اذ أشـار إليـه في عنـوان البـاب بعبـارة « عذر لوقـوع الامر » ولئن سمـاه في غضون الباب « مفعولا لـه » فاستعماله لكلمة مفعول لا تبدو فيهـا القيمـة الاصطلاحية ؛ كذلك الشأن بالنسبة إلى إسم الآلة اذ عبر عنـه بجملـة « مـا عالجـت بـه » .

إن طريقة تسمية المفاهيم والظواهر النحوية في الكتاب تتأرجح هـي أيضا بين المنهج التأليفـي والمنهج التحليلـي الوصفـي . هـي تأليفية كلما كان المصطلح جاهزا قد صقله السلف فاكتفـى بذاته اذ طُمس المعنـى اللغـوي بالمعنـى الاصطلاحـي . وهـي تحليلية وصفية كلما لم يتحقق التطابق التام بين الاسم والمسمـى من أجل حداثة العنـاية بالظاهرة المسمـاة أو استعصائها على الدارسين لتشعبهـا أو عـدم الانتبـاه إليها . أمـام هـذه الحالة لا يمكـن لصاحب الكتاب أن يكتفـي بالمصطلح إن وجد ، بـل عليـه أن يشيـر إلى الظاهـرة بابراز خصائصها ، وحاجتـه إلى وصف تلك الخصائص ملحـة بقـدر ما تقـل ملاءمة المصطلح للمفهوم ، والوصف يعـوض التسميـة تعويضا تاما إذا لم يسبق أن سميت الظاهـرة المدروسـة .

(20) المصـدر السابـق ج 1 ص 241 .

وخلاصة القول إن الامعان في مادة الكتاب يكشف – كما رأينا من خلال بعض النماذج – تفاوتا في توزيع المسائل على مختلف الأبواب ، وتنوعا في طرق المفاهيم وتقديمها واستنباط الاحكام وتعميمها واستعمال المصطلحات . ولذا نرى أن دراسة الكتاب من النواحي التي ذكرنا بعضها تساعد على تصور مساهمة سيبويه في بناء صرح النحو العربي وتحديد المواضيع التي لم تتناول قبله أو لم تحظ عند المتقدمين على سيبويه بالعناية الكافية وتمكن من التمييز بين شخصية المقعد الذي وجد أحكاما جاهزة فألف بينها وبوبها تبويبا تغلب عليه الصبغة النظرية ، وشخصية الواصف الذي استنطق بعض جوانب المادة اللغوية وحللها واستنبط منها أحكاما تقتضي تبويبها على حدة أو ضمها إلى الأبواب الحاصلة بعد .

عبد القادر المهيري

النظريــات الصوتية في كتاب سيبويــه (*)

بقلم : الطيب البكوش

عندما نطالع كتبا تبحث في تاريخ العلوم اللسانية ، ولا سيّما العلوم الصوتية منها ، فاننا لا نكاد نعثر فيها على أثر لما خلفته الحضارة العربية الاسلامية مـن تراث في هذا المجـال ، في حيـن أنه تراث يكـون من الانصاف إبراز قيمته العلميـة والتاريخيـة .

واذ تذكر جل الكتب (1) ان اشهر النصوص المعروفة في مجال الوصف الصوتـي ، وربمـا أقدمهـا أيضا ، ترجع إلى بانينـي (Panini) الهندي (ق 5. ق م) ، وهو الذي ضبط في كتابه الثمانـي نحو السنسكريتية وخصائصهـا الصوتية بدقة كبرى ، باعتبارها اللغة التـي ضمت كتب « الفيدا » المقدسة ، فان هذه المؤلفات الغربية تذكر بعد ذلك ما خلفه اليونـان والرومـان ، وقـد يتخلل ذلك إشارة إلى التفكير اللغوي العبري (2) ، الا أنها تقفز بعد ذلك قفزة رائعة إلى العصور الحديثة ، مبرزة بذلك فراغا يدوم قرونا ، والحال ان الحضارة

(*) هذا البحث التي في مهرجان سيبويه العالمـي الذي انعقد بشيراز (ايران) من 27 أفريل إلى 2 ماي 1974 احتفالاً بمرور اثنـي عشر قرنا على وفاتـه .

(1) نكتفـي بـذكر كتاب حديث نسبيا على سبيـل المثـال : G. Mounin, Histoire de la linguistique, PUF, Coll. Sup, le linguiste, Paris 1970, 226 p. p 67-68.

(2) نفس المصدر ص 85 وان كان الوحيد ، فيما نعلم ، الذي خص العرب ببعض الفقرات : ص 109 – 110 ، 116 ، 117 .

العربية الاسلامية قد ملأت ذلك الفراغ بـآثار زاخـرة وتفكير لغوي ثـري عميـق .

وإذا كان العذر الاساسي – بغض الطرف عن الدوافع الذاتية المتباينة – هو الجهـل بهذا التراث ، فان ما يلفت الانتباه ويدعو إلى الاستغراب هـو أن مؤرخـي اللسانيات لم يستغلوا بتاتا الاعمـال الهامـة التـي خلفها في هذا الصدد عدد كبير من المستشرقين ، ولا سيما الألمـان منذ القرن التاسع عشر ، نذكـر منهم على سبيل المثـال دون الحصر (3) « فالين Wallin » ، و« فـولارس Vollers » ، ثم خاصة في بدايـة القـرن العشريـن « شـاده Schaade » صاحب كتاب « علم الاصوات عند سيبويه » Sibaweyhi's lautlehre (1911)

ومن الطبيعي ان يكون اهتمام المستشرقين قد اتجه اولا إلى سيبويه ، فكتابه أول كتاب (4) مصنف في وصف قواعد اللغة العربية حسب ما وصلنا .

ولئن كنا نعلم أنه أخذ عن أيمة كبار ولا سيما عن الخليل بن أحمد الذي يذكره في الكتـاب أكثر من خمسمائة مرة ، فانه يبقـى صاحب الفضل في تنظيم قواعد العربية في كتاب مبوب ضخم ، بقـي إلى اليوم مرجعا أساسيـا رغـم تقـادم العهـد .

ولئن تعرض سيبويه إلى بعض النواحـي الصوتية في غضون الكتاب ، مثل حديثه عن الهمز (2/190—199) ، فانه قد خصص قسمـا من الكتاب (30 صفحة تقريبا) للمسائل الصوتية . وإن علاقة هذا القسم بسائر الكتاب ليست ظاهرة كل الظهور ، فسيبويه لم يقدم لهذا القسم وانما استهله مباشرة بقوله :

---

(3) انظر عرضا مفصلا في مقدمة كتاب كنتنو J. Cantineau, Cours de phonétique arabe. Paris 1960.

تعريب صالح القرمادي « دروس في علم اصوات العربية » ، نشريات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية ، الجامعة التونسيـة 1966 .

(4) الطبعة العربية التـي اعتمدناها في هذه الدراسة هـي طبعة بيروت الثانية 1967 التـي تقـع في جزءين (1 = 582 ص. — 2 = 526ص.) .

« هذا باب عدد الحروف العربية ومخارجها ومهموسها ومجهورها وأحوال مجهورها ومهموسها واختلافها » (488/2) ثم بعد استعراض كل ذلك ختمه بعبارة هامة سبقت استعراضه لأوجه الادغام وهي قوله « وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الادغام وما يجوز فيه ، وما لا يحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه ، وما تبدله استثقالا كما تدغم ، وما تخفيه وهو بزنة المتحرك » (491/2) .

فهذه العبارة تدل بوضوح على أن محور هذا القسم من الكتاب إنما هو الادغام ، وأن كل ما قيل في الحروف إنما الهدف منه توضيح ظاهرة الادغام التي تشغل أعظم جزء من هذا القسم الأخير من الكتاب .

واذا لاحظنا أن لفظ « الادغام » وعدة مظاهر من هذه الظاهرة الصوتية قد ذكرت في مواطن عدة من الكتاب ، ولا سيّما إدغام المتصلين ، فاننا نتساءل عن أسباب تخصيص قسم كبير في آخر الكتاب للادغام .

أغلب الظن أن سيبويه لم يفكر في ذلك من الاول ، ولم يضع هذا القسم في تخطيطه للكتاب فتعرض إلى الادغام بصفة طبيعية عندما استعرض الحالات التي يلتقي فيها حرفان متماثلان أولهما ساكن ، ولا سيما في نطاق الافعال المضاعفة (مثل مدّ ، يمدّ) ، وسائر حالات التضعيف (مثل افعلّ وفعّل وتفعّل الخ ...) .

ولكن سيبويه قد لاحظ أن ظاهرة الادغام تقع في مواطن أعقد كما في المنفصلين (مثل جعل لّك) ، وكذلك بالخصوص في حالات إدغام الحروف غير المتماثلة ، والتي تكون في الغالب متقاربة ، سواء اتحدت مخارجها أو تقاربت أيضا (مثل من لّك) . وإن هاتين الحالتين هما اللتان جعلتا سيبويه يشعر بالحاجة إلى إفراد قسم للادغام في نهاية الكتاب ؛ كما أن نوع العلاقة التي تربط الحروف بعضها ببعض هي التي جعلته يبدأ هذا القسم ببيان مخارج الحروف وصفاتها .

وهكذا فان الخوض في هذه المسائل الصوتية قد كان أمرا طارئا عرضا وقع وعي الحاجة إليه شيئا فشيئا بتقدم الدراسة النحوية ولا سيما الصرفية منها وبتعمق الكاتب في تحليل أصولها وفروعها . ولم يحد الذين أتوا بعد سيبويه عن منهجه كثيرا وان حاولوا تنظيم المادة أكثر مثلما فعل الزمخشري (538هـ.) في « المفصل » الذي اختصر فيه كتاب سيبويه ونظمه . فقد تعرّض إلى المسائل الصوتية في قسم خاص في آخر الكتاب سماه « المشترك » أي ما اشترك فيه الاسم والفعل والحرف أو اثنان منهما . وليس في إيرادها في آخر الكتاب ما يجعلها ثانوية القيمة ، فهذا ابن يعيش (643هـ.) يؤكد في شرحه (5) للمفصّل ان « هذا القسم الرابع آخر أقسام الكتاب ، وهو أعلاها وأشرفها اذ كان مشتملا على نكت هذا العلم وتصريفه ، وأكثر الناس يضعف عن الاحاطة به لغموضه ، والمنفعة به عامة » (53/9) . فهذا العلم ليس اذا ذيلا هامشيا وإنما هو قمة هرم تقوم على ركائز ثلاث ، فلا تكون بداية وإنما تكون نهاية .

ويمكن أن نقسم المسائل الصوتية التي عالجها « الكتاب » إلى قسمين كبيرين إذا نحن شئنا تناولها بمنهجية ومصطلحات حديثة دون أن يكون في ذلك مطلقا تحميل الكتاب ما لا يحتمل .

المجموعة الاولى من المسائل تدور حول **وصف النظام الصوتي العربي .**

والمجموعة الثانية تدور حول **وصف تعامل الاصوات العربية .**

ففي القسم الاول الخاص بالنظام الصوتي العربي ، نجد في كتاب سيبويه مجموعة من المسائل الهامة التي يثيرها سيبويه بكامل الدقة والايجاز والتي يمكن أن نرتبها كما يلي مقتصرين على أهمها .

---

(5) نشر ادارة الطباعة المنيرية بمصر — بدون تاريخ .

1 ـ عدد الحـروف العربيـة :

يذكر سيبويه أن « اصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفا : الهمزة والالف ...... والواو » (488/2) .

ولا يشير الكتاب هنا إلى أي رأي آخر في الموضوع في حين أن ابن يعيش يذكر في شرحه (126/10) اختلافات بعض النحاة ، من ذلك أن ابا العبـاس المبرد يعدها 28 حرفا بالغاء الهمزة منها .

ونكتفـي هنا في تحليل هذه القضية بلفت النظر إلى أن المبرّد ، لئن كـان محقا في العدد ، فانه اخطأ التعليل والحجة ، لان الهمزة حرف ، ولكن سيبويه أيضا قد أخطأ ، فكانت حجج جماعته في تفنيد رأي المبرّد أوهـى . ونلخص هنا أهم أسباب هذا الخطا في النقط التالية :

ـ إطلاق لفظ « الف » في نفس الوقت على الالف الحرف ، وهـي الهمزة ، وعلى الالف الحركة ، وهـي الف المدّ واللين ، أي الحركة الطويلة . و« الف » هو اسمها تاريخيا في الارامية وكذلك في النبطية التـي أخذ العـرب الخـط عنهـا .

ـ رسم الهمزة الفا ، بصفة تاريخية اذا ، دون تمييز في العادة بين الصوتين أي الحرف والحركـة .

ـ إطلاق لفظ « حرف » على علامات المدّ في حين أنها حركات لا حروف وذلك لان مدلول الحرف يشمل الحركات ولا سيما أن النحاة العرب يعتبرون الحركات « أبعاض الحروف » كما حلل ذلك جيّدا ابن جنـي (ق 10/4) في « سر صناعة الاعراب » (6) (19/1) .

(6) ط. 1 مصر 1954 . انظر تحليل نظريـات ابن جنـي في A. Méhiri, les théories grammaticales d'Ibn Ginni, Tunis 1973, 450 p.

وإن التناقض الذي وقع فيه سيبويه هنا ، يتمثل في زيادة الالف دون الواو والياء وهما أيضا من علامات المدّ ، فكان يجب اعتبار حروف العربية 28 بدون الالف أو 31 بزيادة الواو والياء إذا كانتا مدّا ، وإن كانت هذه الأصوات الثلاثة من النظام الحركي لا الحرفي .

2 — مخارج الحروف العربية وصفاتها :

ذكر سيبويه للحروف العربية 16 مخرجا . وهذه المخارج مرتبة من الحلق إلى الشفتين (7) . واذا كان الوصف الصوتي اليوم يبدأ من الشفتين إلى الحلق انطلاقا مما يكون أسهل في الرؤية ، فان القدامى جميعا منذ الخليل وسيبويه قد اتبعوا هذا الترتيب تماشيا ولاشك مع اتجاه مجرى النفس اذ يعبر جهاز التصويت .

والغريب في ترتيب سيبويه للحروف أنه يخالف أستاذه الخليل كثيرا دون أن يشير ولو بكلمة إلى ذلك . فقد كان الخليل يخرج الهمزة من حسابه لوضعه إياها في مرتبة الالف والواو والياء . ويبدأ بالعين ثم الحاء ثم الهاء . وهو على كل حال ترتيب خاطىء أصلحه سيبويه اصلاحا موفقا جدّا لا يختلف عما يقدّمه علم الأصوات الحديث من ترتيب في الجملة .

ثم عدد سيبويه صفات الحروف العربية ، فذكر منها 12 صفة ويمكننا أن نرجع هذه الصفات إلى مجموعتين كبريين :

— المجموعة الأولى تتعلق بصفات تدخل في علاقات ثنائية تقابلية تجعل من هذه الصفات في الغالب أزواجا تربطها علاقة تلازم وتكون أحداهما صفة إيجابية تسِمُ الصوت ، والثانية صفة سلبية تمثل انعدام السمة . من ذلك خاصة الجهر والهمس والاطباق والانفتاح ، ويمكن أن نضيف إليهما الشدة والرخاوة

(7) ـء، هـ، ا، ع، ح، غ، خ، ق، ك، ج، ش، ي، ض، ل، ن، ر، ط، د، ت، ز، س، ص، ظ، ذ، ث، ف، ب، م، و، 2/488—489 .

وما بينهما ، وان تميّزت هذه الصفات الاخيرة بدرجة انفتاح الحاجز القائم في جهـاز التصويت .

على اننا نلاحظ في محاولة سيبويه تحديد الجهر والهمس والشدة والرخاوة وتحليل العلاقة بينهـا جميعا ، غموضا واضحا وتداخلا يجعل تعريفه للمجهور بانه « حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجرى معه » (489/2) انسب إلى الشديد الذي عرّفه بانه « الذي يمنع الصوت أن يجرى فيه » (490/2). وهذان التعريفان المتقاربان ينطبقان أكثر على الشـدة لا على الجهر رغم محاولته المقابلة بين النفس والصوت . ولعل عجزه عن تعريف الجهر يرجع إلى جهل القدامـى بدور الوترين الصوتيين في ظاهرة الجهر . ولكن ذلك لم يمنع سيبويه من تمييز المجموعتين بكامل الدقة باستثناء الهمزة المهموسة اذ عدّها مجهورة لاختلاطها في ذهنه بالالف المجهورة ، فالحركات جميعا مجهورة .

أما ما يوجد من اختلاف في وصفه بالنسبة إلى ما نعرفه اليوم من خصائص هذه الحروف كالقاف والطاء فان ذلك ولا شك لا يرجع إلى خطإ وإنما إلى تطوّر في نطق هذين الحرفين (8) ، وكذلك الامر بالنسبة إلى الجيم (9) التـي تطورت أيضا كثيرا تطورا متنوعا حسب الجهـات .

أما وصفه للاطباق فانه من أدق ما يوجد في هذه الصفحات ، وإن عبارته المشهورة « ولولا الاطباق لصارت الطاء دالا والصاد سينا والظاء ذالا ولخرجت الضادّ من الكلام لانه ليس شيء من موضعها غيرها » (491/2) ، لتبرز بوضوح شعوره بوظيفة هذه الصفات التمييزية وبالعلاقة التقابلية التـي تربطها ، وهو ما أصبح اليوم من مشمولات علم الفونولوجيا أي علم وظائف الاصوات.

(8) فالقاف وصفها بانها اقصى حنكية ، شديدة مجهورة . وهي اليوم لهوية شديدة مهموسة في جل اللهجات الحضرية . ولم تبق مجهورة الا في اللهجات البدوية التـي تبدو أقرب إلى النطـق القديم . والطـاء وصفها بأنها مجهورة . أي دال مفخمة بينما هـي اليوم مهموسة أي تاء مفخمة.

(9) انظر مناقشة قضية الجيم في كتاب كنتنو المذكور آنفا . الترجمة ص 88 وما بعدهـا .

اما بقية الصفات كالانحراف للام والتكرير للراء والغنة للميم والنون ، واللين للواو والياء الخ ... فهي ثانوية تخص الاصوات البينية ، وهي التي وصفها سيبويه بأنها بين الرخوة والشديدة (10) .

3 — الحروف الفرعيـة :

وهذه الحروف التي ضبط مخارجها وصفاتها هي الاصل . الا أنه يذكر حروفا فروعا ، ستة منها مستحسنة (11) لانها « يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والاشعار » (488/2) . وثمانية غير مستحسنة (12) أو مستهجنة ، مسترذلة كما عبر عنها الزمخشري وابن يعيش (126/10) .

وأبرز ما نستنتجه من تحليلنا لهاتين المجموعتين من الاصوات دون دخول في التفاصيل ان المجموعة المستحسنة ترجع أساسا إلى اختلاف اللهجات العربية من ناحية وإلى التغييرات الصوتية الناتجة عن تأثير الجوار الصوتي في السلسلة الكلامية من ناحية أخرى ، مما يجعل كل صوت من هذه الاصوات الفرعيـة مجرد عوض تعاملي للصوت الاصلي .

أما المجموعة المستهجنة فانها ترجع أساسا إلى تأثير النطق الاعجمي والى اللهجات العاميـة التي بدأت تظهر منذ ذلك الوقت نتيجة تداخل اللغات وتفاعلها ، وهو ما يجعل هـذه الفقرات من كتاب سيبويه ذات قيمة تاريخية عظمى بالنسبة إلى من ينظر إلى اللغة نظرة تطورية زمانية لا نظرة تقعيديـة تقنينية ان لم نقـل توقيفيـة .

ولا يسعنا الا ان نلاحظ في نطاق وصف النظام الصوتي العربي نقصـا يتمثل في أهمال النظـام الحركي العربي . فلئن كانت الحركات العربيـة

---

(10) ع ، ل ، ن ، م ، ر ، و ، ي ، 490/2 .

(11) النون الخفيفة وهمزة بين بين والفا الامالة والتفخيم والشين التي كالجيم والصاد التي كالزاى .

(12) الكاف التي بين الجيم والكاف والجيم التي كالكاف والجيم التي كالشين والضاد الضعيفة والصاد التي كالسين والطاء التي كالتاء والظاء التي كالثاء والباب التي كالفاء .

الوظيفية ثلاثا فحسب بالنسبة إلى ما يقارب الثلاثين حرفا (أي بنسبة العشر) فان أهميتها التوزعية تفوق الاربعين في المائة في العربية .

ويجب انتظار القرن الرابع مع ابن جني لنجد اهتماما أوسع بالحركات من حيث جروسها ووظائفها في سر الصناعة وفي الخصائص .

ولاشك ان طبيعةَ اللغةِ العربية الاشتقاقية ، والخطّ العربي الحرفي ، والفرقَ الكبير بين عدد الحروف والحركات ، إلى جانب النظرية التي تعتبر الحركات متفرعة عن الواو والياء والالف ، من الاسباب التي جعلت سيبويه يهمل الحركات في وصفه الصوتي الذي امتاز في ما عدا ذلك بالدقة والايجاز في نفس الوقت .

أما المجموعة الثانية من المسائل التي تدور حول تعامل الاصوات في العربية ، فقد تعرض سيبويه إلى الكثير منها في غضون الكتاب ولا سيما في الجزء الثاني منه أثناء حديثه عن الامالة والحذف والقلب وكذلك التضعيف والادغام لارتباط الظاهرتين في الافعال المضاعفة . ولكن سيبويه قد عاد إلى الادغام في القسم الاخير من الكتاب ليستوفي تعريفه وتحديده ويستكمل جوانبه المختلفة .

ولعله لا توجد ظاهرة حللها سيبويه بتفصيل ودقة مثل الادغام ، حتى انه ليبدو محور دراسته الصوتية الذي تلتقي عنده بقية الظواهر . وإن تحليل كل التفاصيل الهامة التي تعرض إليها سيبويه ليطول في هذا المقام بين إدغام المتماثلة والمتقاربة ، والمتصلة والمنفصلة ، وما يمتنع من ذلك وما يجوز ، وما يستحسن وما يستكره ، وما عمّ قياسا وما شذ استعمالا .

وان الفقرات العديدة التي خص بها سيبويه الادغام ، لتزخر بالاراء والملاحظات الهامة التي تحتاج إلى تحليل عميق . ونقتصر هنا على الاشارة إلى بعضها ، مثل شعوره الواضح بان الاصوات تتعاقب بصفة خطية بما في ذلك الحركات التي تتبع الحروف صوتيا ولست فوقها أو تحتها أو معها فتمثل

حواجز بين الحروف في حالات الادغام . ومن ذلك أيضا الحاحه على تفاوت الحروف في القوة مما يجعل بعض الحروف لا تدغم في غيرها وانما يدغم فيها لان لها « فضلا » ينتج عن فقدانه بالادغام « إجحاف » بها . وهذه نظريـة تحتـاج إلى تحليل طويل في ضوء علم الاصوات الحديث ولا سيما قانون قرامـــون Grammont

كما نجد عبارات هامة جدا لا تخلو من الغرابة مثل قوله « لان حرف المدّ بمنزلة متحرك في الادغام» 491/2 ، في حين أن النظرية العامة عند القدامى هي أن حروف المد ساكنـة لانهـا لا تحمـل الحركات . وفي هـذا تأثر بالخـط العربـي (13) وغفلة عن ان المـد حركـة قبل كـل شـيء . لهذا ، تـدل عبارة سيبويه على شعوره بعلاقة المـد بالحركات وإن بقـي المفهوم لديـه غامضا .

وإن مثل هذه الاراء والعبارات كثير في الكتاب ولا يتسع المجال لتعديدها فضلا عن تحليلهـا .

الا اننا نريـد أن نركز الحديث في تحليل هذا القسم الثانـي على محـوره الاساسـي وهـو الادغام باعتباره أهم الظواهر التعاملية في كتاب سيبويـه ، وان نحاول تحديد الادغام كما يبدو لنا في الكتاب مع مقارنته بمفهوم الادغام عنـد علمـاء الاصوات المحدثيـن .

لا يعرّف سيبويه الادغام كمصطلح ولكنـه يذكر من العبارات ومـن الانواع ما يكفـي لفهم المقصود به عنـده .

من ذلك أنه يقابل دائما بين الادغام والبيان أو الاظهـار ، مما يجعل الادغام ضربا من الاخفاء الصوتـي .

---

(13) انظر تحليل هـذه النظرية في :
الطيب البكـوش « التصريف العربـي من خلال علم الاصوات الحديث » تونس 1973–200 ص. المقدمـة .

كما أنه يخصص فصلا لادغام « الحرفين الذين تضع لسانك لهما موضعا واحدا لا يزول عنه » . 491/2 .

وهو ما يجعلنا نستنتج أن الادغام عملية عضوية نطقية قبل كل شيء فيها اقتصاد في المجهود ، وهـي أن لا يرتفع الحاجز في جهاز التصويت وينخفض مرتين ، وإنما يرتفع مرة واحدة أطول وأشدّ ثم ينخفض ، ولا يكون ذلك الا في الحرفين المثلين أي في حالة التضعيف . فإذا كان الحرفان مختلفين سبقت عمليةَ الادغام عمليةُ قلب ليحصل التماثل بين الحرفين ، وبذلك يبقى الادغام عملية نطقية قائمة على التماثل .

وقد بقـي الذين أتوا بعد سيبويه على تعليمه ، وان ضبطوا المفهوم أكثر كما فعل « ابن يعيش » عندما عرف الادغام اصطلاحا بأنه « ان تصل حرفا ساكنا بحرف مثله متحرك من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف ، فيصيران لشدة اتصالهما كحرف واحد يرتفع اللسان عنهما رفعة واحدة شديدة » 14/10. فمن حيث تعامل الاصوات نلاحظ أن الادغام عند سيبويه والجماعة يقـوم أساسا على تماثل أصلي وهو التضعيف ، أو على تماثل ناتج عن قلب .

ويحسن هنا ان نقابل هذا التحديد بتعريف المفهوم الصوتـي المقابل في علم الاصوات العـام وهو Assimilation والذي يعـرف بـأنه نـزعـة صوتيـن إلى التقارب في المخارج أو الصفات سواء تماثلا أو لم يتماثلا (14) . وواضح ان الفرق بين المفهومين جوهرى :

ففـي حين يدل المفهوم العصري على **ظاهرة تعاملية** تقرب بين الاصوات المختلفة ، يدل المفهوم العربـي على **ظاهرة نطقية** تدمج الاصوات المتماثلة . ولا يلتقـي المفهومان الا في الحالة التـي يصل فيها التقريب إلى التماثل . الا انهما يتشاركان في الهدف وهو اجتناب الثقل وفي اختصار المجهود أي في الاقتصاد .

---

(14) B. Malmberg, la phonétique. P.U.F. — 1962 — Que sais-je ? 637, p. 69.

وهذه الفوارق هي التـي جعلت الادغام العربـي مقصورا على الحروف بينمـا تشمـل Assimilation الحـركات أيضـا . ولاشـك ان هـذا مـن الاسباب التـي دفعت بعض الالسنيين العرب المعاصرين إلى اختيـار مصطلح آخر لترجمة Assimilation مثل لفظ مماثلة (15) .

فاتساع مفهوم الادغام من ناحية اذ يشمل التضعيف ، وضيقه من ناحية أخـرى بـالنسبـة إلى Assimilation فـلا يشمل التقـريب في الحـروف والحركات ، يجعله مصطلحا غير صالح للتعبير عن الظاهرة التعاملية وانما هو صالح للتعبير عن الظاهرة النطقية . على أن هذه المسألة في حاجة إلى تحليل أطول .

وفي ختام هذا العرض الموجز لبعض النظريات الصوتية الواردة في كتاب سيبويه يحسن الالحاح على أهمية كتاب سيبويه التاريخية وذلك من ناحيتين :

— تتمثل الاولى في أنه أقدم نص وصلنا ، يدل على المستوى الذي بلغـه علم الاصوات في عهده ، بفضله هو وبفضل من سبقه من اللغويين . فلو لم يزد سيبويه على الجمع فالتبويب لما أخذه عن شيوخه لكفاه فضلا ، ولكنـه ولاشك قد زاد من عنده بما يدل على تضلّعه وعبقريته . فالكتاب حلقة هامة في تاريخ علم الاصوات عند أهل العربية وعند سائر الامم .

— والناحية الثانية هـي أن الكتاب وثيقة تاريخية لا تضاهى في وصف ما كانت عليه اللغة العربية منذ أكثر من ألف عام ، من حيث خصائصهـا الصوتية العامة واختلاف لهجاتها وأشكال استعمالها ، وهو ما لا غنى لنا عنه اليوم لنتبين مـدى تطور هذه اللغة عبر الزمن ، في مستواها الرسمـي « الفصيح » ومستوياتها العاميـة الحيـة المتنـوعـة .

الطيب البكوش

---

(15) ابراهيم انيس : الاصوات اللغويـة . مصر : ط : 4 — 1971 .

اضـافـات وتنقيحات على بعض اشعار اللزوميات

بقلم : محمد الهادي الطرابلسي

أشرنا في بحث سابق تناول دراسة شعر ابن حزم (384ه/994م — 456ه/1064م) ، وعرّفنا فيه بقطعة من شعره كانت مجهولة ، ونشرناها إثره بحوليات الجامعة التونسيّة (1) ، إلى أنّنا عثرنا على هذه القطعة ضمن شعر كثير مجموع تحت عنوان : « ديوان ابن حزم » ، وبيّنّا أنّ هذا المجموع لا يتضمّن ممّا نرجّح أنّه لابن حزم إلاّ الجزء الذي نشره احسان عبّاس وتلك القطعة التي نشرناها ، أمّا البقيّة فأشعار لأبي العلاء المعرّي (363ه/973م — 449ه/1058م) من اللّزوميّات ، معروفة .

لكنّنا لاحظنا — عند عودتنا إلى هذه القطعة من شعر المعرّي وبعد مقارنتها بما هو مطبوع منها — أنّ بين المطبوعة والمخطوطة اختلافات طفيفة غالبا ولكنّها كبيرة أحيانا وربّما أضرّت بالمعنى . وسنعتني إثر هذا البحث بنشر جداول تبرز ما وفّقنا إلى ملاحظة الاختلاف الجوهريّ فيه ، غاضّين الطّرف عن الاختلافات الجزئيّة ، وهذه — لو أثبتت — لأوجبت وقتا طويلا ومجالا واسعا ، لأن هذه الاختلافات طرأت على ما يقرب من ألفي بيت ممّا بين أيدينا من أشعار ، ولا نعتقد أنّ عملا مثل هذا يكون ذا فائدة كبيرة الآن ،

(1) العدد التاسع ، سنة 1972 .

على أنّ فائدته تظهر عند العزم على إعادة طبع اللزّوميّات ، فعندئذ يكون من المستحسن الإشارة إلى كلّ الاختلافات في الرّواية ، لا لتعيين الحقّ فيها والجزم بالوجه الصّحيح الذي أراده لها أبو العلاء ، لأن ذلك عسير بل مستحيل ، وإنما لتوفير كلّ الموادّ للقاريء كي يتحمّل وحده مسؤوليّة التّأويل .

فمن الاختلافات التي أهملنا ذكرها : استعمال حرف عطف مكان آخر ، أو كلمة مكان أخرى (اسم : قوم/ناس ، فعل : قتل/فتك) أو إبدال كلمة بأخرى في التّركيب (قذّى وأذّى/أذّى وقذّى) أو استعمال كلمة لها معنى مقارب لمعنى كلمة أخرى (يَغْمُرُ/يَعْمُرُ) أو بعض التّحريف في المعنى (سَمَّيْتَ نَفْسَكَ مَسْعُوداً/سَمَّيْتَ نَجْلَكَ مَسْعُوداً) وغير ذلك كثير ...

وقد سبق وصف النّسخة التي بين أيدينا بما فيه الكفاية ، نضيف إلى ذلك فقط أنّ رويّ جلّ أشعار هذا القسم من أشعار المعرّي هو الدّال والرّاء ، وأنّ ترتيب القصائد والقطع والأبيات يختلف عن ترتيبها في المطبوعة اختلافا كبيرا ، فقلّما نجد في المخطوطة القصيدة كاملة بل نجدها مبتورة أو مقسومة على قطعتين أو بعض أبياتها متّصلا بقصيدة أخرى ، وهذا لا نجده فقط بين الأشعار التي تتّحد في الرّويّ وفي نوع العناصر الملتزمة معه بل نجده حتّى بين القصائد المتباعدة ، وقَدْ يتبع ذلك تغيير في الرّويّ أوبعض عناصره ، يناسب رويّ القطعة الموصولة وقد لا يناسبه .

والغالب على الظّنّ أنّ المطبوعة أشمل وأحكم ترتيبا للأبيات والقصائد ولكنّها ليست أصحّ رواية على الأرجح ولا أقرب من الأصل – وإن ظهر خلل كبير في النّسخة التي بين أيدينا وأخطاء في النّصّ أحيانا فادحة – وذلك أنّ المقارنة مكّنتنا من الاهتداء إلى اختلافات نرجّح أنّ الوجه الصّحيح فيها هو ما ورد في المخطوطة التي بين أيدينا وإلى اختلافات أخرى لم نتمكّن من

تعيين أيّ الرّوايتين أصحّ فيها ، كما عثرنا على أبيات في المخطوطة لم نجد لها أثرا بالمطبوعة ، سنحقّقها ، وسننشر كلّ ذلك في جداول ثلاثة .

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ النّسخة التي بين أيدينا تتضمّن في الطرّة بعض التّصحيحات والتّصويبات ، وذلك يدلّ على أنّها – على كلّ حال – روجعت فأصلح بعض أخطائها ، وكان هذا الإصلاح بنفس خطّ نسخها ممّا يدلّ على أنّ ناسخها هو الذي تولّى بنفسه مراجعتها .

وإنّنا في الحقيقة لم نضبط في الجداول إلاّ ما اهتدينا إلى تحقيقه من المخطوطة وأهملنا كثيرا من الاختلافات الظّاهرة التي غمضت أو هكذا خيّل إلينا ، وإنّنا نرمي من هذا العمل إلى تصويب بعض التّحريف في المعاني ومن ثمّ إلى تدقيق بعض آراء أبي العلاء ، وإتمام النّقص الذي بدا بفقدان بعض الأبيات من قصائد اللّزوميّات في المطبوعة .

وإنّا كنّا نقف أحيانا أمام بعض أشعار أبي العلاء في اللّزوميّات متسائلين عن معنى لفظة أو صورة فكرة ، وكثيرا ما كنّا نلجأ إلى التّأويل أو تحميل أبي العلاء مسؤوليّة الغموض ، على أنّنا عندما علمنا اليوم أنّ التحريف وصل ، في قافيتي الدّال والرّاء ، إلى الحدّ الذي بيّنّا ، لم يبق لنا إلاّ أن نتساءل : ما بالنا بكامل اللّزوميّات ؟ لم لا نقول إنّ التّحريف طرأ على كثير من أشعارها الأخرى ، وأنّه وجب التّحرّي فيها بأكثر ممّا يجب ؟ إنّ ما لوحظ من اختلاف وتحريف يسمح بهذا الافتراض (2) ، وهذه الجداول بين أيدينا دالّة على ذلك .

---

(2) إن هذا الافتراض أصبح اليوم حقيقة إذ ظهر الآن ما يثبته وذلك أن مركز تحقيق التراث بوزارة الثقافة المصرية أصدر ، أخيرا ، القسم الأول من كتاب بعنوان (شرح المختار من لزوميات أبي العلاء) لأبي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي (444هـ. = 1052م./ 521هـ. = 1127م.) بتحقيق حامد عبد المجيد (ط. دار الكتب 1970) . وبلغنا هذا الكتاب عندما كنا بصدد مراجعة بحثنا هذا قبل تقديمه نهائيا إلى الطبع ، والجدير بالملاحظة هنا هو أن هذا الكتاب يؤيدنا في النقطلين التاليتين على الأقل :

أ) طبعات اللزوميات المتداولة إلى حد الآن ناقصة .

ب) رواية الأشعار فيها ليست صحيحة دائما .

وقد أخذنا ، كمرجع للتّحقيق ، آخر طبعة من اللّزوميّات وأكثرها تداولا وقد ظهرت بـ(دار صادر — دار بيروت) في جزءين ، سنة 1381هـ/1961م ، ورمزنا إليها بكلمة (المطبوعة) .

والملاحظ أنّها لا تختلف في النّصّ عن الطّبعتين المتقدّمتين عليها في التّاريخ واللّتين راجعنا وهما :

أ — (لزوم ما لا يلزم) : تحقيق أمين عبد العزيز ، مصر ط. 2، 1342هـ/1923م. في مجلّد واحد : 2ج.

ب — (لزوم ما لا يلزم) : تحقيق إبراهيم الأعرابي ، ط. مكتبة دار صادر — دار بيروت ، 1952 في 4ج.

أمّا ما صدر من طبعة اللّزوميّات بتحقيق وشرح طه حسين وإبراهيم الأبياري ، فإنّه لا يفيدنا ، لأن الجزء الوحيد الذي خرج منها إلى النّاس إلى حدّ الآن لا يضمّ إلاّ قافية الهمزة وقسما من قافية الباء. وكذلك الشّأن بالنسبة إلى ما صدر من (شرح المختار من لزوميّات أبي العلاء) لأبي محمد عبد الله ابن محمد بن السيد البطليوسي (444هـ./1052م. — 521هـ./1127م.) ، بتحقيق حامد عبد المجيد . فهذا الكتاب لا يهمّنا في هذا التّحقيق إلاّ في بيت واحد اتّفقت فيه رواية المخطوطة مع رواية البطليوسي ، وسنذكره في محلّه من الجدول الثّاني .

وسنقسّم الجدول الأول الذي سنخصّصه للأشعار التي أثبتتها المخطوطة وسقطت من المطبوعة ، إلى واديين عموديين ، عيّنّا في الوادي الأول منهما المحلّ الذي كان ينبغي أن ترد فيه الأشعار السّاقطة من المطبوعة ، بذكر الجزء والصّفحة وعنوان القصيدة وعدد أبياتها ، وأوردنا في الوادي الثّاني نصّ الأشعار التي أثبتتها المخطوطة ، مسبوقة بأرقام عربيّة تشير إلى التّرتيب الذي كان ينبغي أن يكون لها في القصيدة .

وسنقسّم كلاً من الجدولين الأخيرين إلى واديين عموديين كذلك ، نشير في الوادي الأيمن منهما — بالاضافة إلى الجزء والصّفحة وعنوان القصيدة وعدد البيت فيها — إلى المصراع الذي بدا فيه الاختلاف مستعملين حرف (ص) للصّدر وحرف (ع) للعجز ، ونورد في الوادي الأيسر منهما الأشعار كما أثبتتها المخطوطة .

وسنسعى إلى تعليل القراءات المخالفة للدّيوان كلّما اقتضى الحال ، الاّ ما بدا لنا يتّضح بالسّياق ولا يحتاج إلى تعليل آخر .

1 – أشعار أثبتتها المخطوطة وسقطت من المطبوعة

المطبوعة		المخطوطة
الجزء والصفحة	عنوان القصيدة وعدد أبياتها	الأشعار التي أثبتتها المخطوطة
I 371	الجسد عذاب الرّوح (3)	04 – وَمَا تَشَابَهُ أَلْفَاظٌ وَلاَ صُوَرٌ بِنَافِعٍ (فِي) (3) تَنَافِي أُمَّةٍ فُسُدِ 05 – مُسْتَأْسِدُ النَّبْتِ لَمْ يُرْزَقْ به أسدٌ حَظًّا وَلَكِنْ صَبِيًّا مِنْ بَنِي أسَدِ
I 407	قدر ينادي الحتف (7)	05 – يَسْرُرْنَ غَيْرَ عَوَائِدٍ أبَدًا هَذًا لِكُلِّ حُشَاشَةٍ هَذًا
I 411	خبرت بني الدّنيا (13)	04 – تِلاَوَتُكُمْ لَيْسَتْ لِرُشْدٍ وَلاَ هُدًى وَلَكِنْ لَكُمْ فِيهَا التَّكَاثُرُ وَالكِبْرُ 04 – بِعَشْرِ رِوَايَاتٍ قَرَأْتُ وَصَاحِبِي بِعِشْرِينَ مَا فِيهَا ادّغَامٌ وَلاَ نَبْرُ (4)
I 446	قالوا : جهنم (4)	02 – كُنْ عَابِدًا لِلَّهِ دُونَ عَبِيدِهِ فَالشَّرْعُ يُعْبِدُ وَالقِيَاسُ يُحَرِّرُ
I 454	ضحك الاقدار (10)	10 – إنْ كَانَ دَوَّرَكُمْ يَرُدُّ قَدَارُكُمْ أَوْ كَانَ وَفَّقَكُمْ يَصُدُّ قَدَارُ

(3) في الاصل (من) .

(4) ورد صدر البيت الأول وعجز البيت الثاني في المطبوعة كبيت رابع من القصيدة وسقط الباقي

المطبوعة		المخطوطة
الجزء والصفحة	عنوان القصيد وعدد أبياتها	الاشعار التى أثبتتها المخطوطة
I 465	ليت آدم طلّق حوّاء (13)	08 ــ يَا لَيْتَ أنِّي لَمْ أكُنْ في ذِي الدُّنَى أوْ كَانَ لِي فِي الذَّاهِبِينَ قَرَارُ
I 473	خير النّاس كشرّهم (20)	20 ــ وَأحُوزُ فِي الشِّعْرَى العَبُورَ مَدىال.. ... مَوْمَاةِ مَا لِبِحَارِهَا عَبْرُ
I 498	يا ساكن الأرض (10)	09 ــ وَلاَ تَغَالَيْتُ فِي (سِرٍّ وَلاَ جَهَرٍ) (5) وَقَدْ لَبِسْتُ ثِيَابَ الصُّوفِ وَالوَبَرَا
II 125	مركز النفس (13)	07 ــ وَسِرُّ عَالَمِ هَذِي الأرْضِ يَعرِفُهُ أهْلُ المَعَارِفِ يَأوِي عِنْدَهُ الجَرَعُ
II 132	طبع الشرّ في بني الدّنيا (7)	08 ــ تَقِ اللَّهَ وَاتْرُكْ نَدْبَهَا إثْرَ نَازِحِ فَلَمْ (6) نَلْقَ إلاَّ فَالِقًا قَلْبَهُ سَبْعًا (7)

5) في الاصل غموض فنقص : (لبس ولا ...) .

6) في الاصل (فلن) .

7) شتما ، في الاصل (جزعا) ، الا أن أصواتها لا تناسب عناصر القافية الملتزمة في القصيد .

2 — أشعار نرجّح فيها رواية المخطوطة

الأشعار برواية المخطوطة	المطبوعة	
	عنوان القصيدة وعدد البيت فيها ونوع المصراع	الجزء والصفحة
فتَتَخْمُدُ والرِّيخُ فِي العَيْنِ واقِدُ (8)	موت الجسم والرّوح (2—ع)	I 312
رَوَاهِبُ خَيْطٍ ، وَالنَّهَارُ يَهُودُ (9)	الزّهد في المجد (3—ع)	I 314
رَيْبُ المَنُونِ فَلاَ حَبْلٌ وَلاَ مَسَدُ (10)	إلى أين تذهب الرّوح ؟ (3—ع)	I 319
فَمَا يُنَجِّيكَ مِنْهَا السَّابِحُ العَتَدُ (11)	أفضل عتاد (1—ع)	I 322
وَبِالكِرَامِ أَسَرُّوا الطَّعْنَ أَوْ صَلَدُوا	شقاء الولد والوالد (4—ع)	I 326

(8) واقد أوفق لمطابقتها (تخمد) .

(9) النهار يهود : يتقدم ببطء وفتور ، وهو أوفق لأنه سبق أن استعمل للنعام لفظ (خيط) . وبهذه الرواية ورد في (شرح المختار من لزوميات أبي العلاء) ، أنظره وشرحه : ص 137 .

(10) تلازم (الحبل والمسد) في الاستعمال عند العرب .

(11) الضمير يعود على الدنيا ، كما يفهم من السياق .

الجزء والصفحة	عنوان القصيدة وعدد البيت فيها ونوع المصراع	الأشعار برواية المخطوطة
	المطبوعة	
I 333	النّاس أتباع الأرض (5—)	وَاللَّيْلُ ضِدَّانِ قَوْمٌ فِي الدُّجَى سُهُرٌ يُهَجِّدُونَ وَقَوْمٌ فِيهِ هُجَّادُ
I 335	شرور الدهر (1—ص)	خَيَّرْتَ مِنَ الخُمَّارِ وَذَاكَ نَحْسُ (12)
I 335	لا يكسد الجود (2—ص)	فَخُذْ إنْ شِئْتَ مَرْبَحَةَ المَعَالِي (13)
I 339	لا كانت الدّنيا (8—ع)	فَمِنَ العَجَائِبِ أنْ يُرَمَّ عَمُودُهَا
I 339	ما في البريّة جيّد (5—ع)	وَفَقِيرُهُمْ بِصَلاَتِهِ مُتَصَيِّدُ
I 340	حبائل الأيام (2—ع)	شُفَعَاؤُهَا الجُمُعَاتُ وَالأعْيَادُ

(12) نحس تطابق (سعد) .
(13) في البيت تحضيض على الجود ، فخذ بمعنى اشتر : اشتر المعالي بجودك .
(14) فقيرهم يطابق أميرهم .

الجزء والصفحة	عنوان القصيدة وعدد البيت فيها ونوع المصراع	الأشعار برواية المخطوطة
المطبوعة		
I 342	غير الزمان (6)	لاَ تَحْمِلَنْ ثِقْلاً عَلَيَّ فَإِنَّ بِي وَهْنًا وَقُدَّامَ الرِّكَابِ صُعُودُ
I 353	لمن جنان الخلد ؟ (1ـص)	حُورِبْتُ فِي كُلِّ مَطْلُوبٍ هَمَمْتُ به
I 354	حديث الجنين (13ـص)	فَكَيْفَ أَحْمِلُ عَيْشًا إنْ جَرَى قَدَرُ
I 355	الصّبر أروح (1ـع)	تَزْجُو لَهُ الخَيْلَ وَالمَهْرِيَّةَ القُودَا
I 355	الصّبر أروح (2ـع)	حَتَّى يُعَدَّ مَعَ الأَمْوَاتِ مَفْقُودَا
I 358	لا تدن من الشّرور (4ـع)	غَيْرَ مُمَازِجٍ بِالمِطَالِ مَوَاعِدَا

(15) تزجو : من زجا زجوا : ساق ، وهذا أنسب للسياق .

الأشعار برواية المخطوطة	المطبوعة: عنوان القصيدة وعدد البيت فيها ونوع المصراع	المطبوعة: الجزء والصفحة
يَسْتَأسِدُ الرَّشَأُ الغَضِيضُ فَلاَ تَلُمْ	الدّين متجر المائتين (1ـص)	I 358
وَالنُّصْحُ مَتْجَرُ مَيِّتٍ فَلِذَاكَ لاَ (17) تَلْقَاهُ إلاَّ فِي البَرِيَّةِ كَاسِدَا	الدّين متجر المائتين (4ـ)	I 358
وَ آخَرُ يَدْخَرُ مَا جَاءَهُ	النّاس ضأن (3ـص)	I 359
كَمْ لاَبِثٍ فِي الأَرْضِ لَمْ يَدَّكِرْ (18)	النّاس ضأن (7ـص)	I 359
بَدَا شَرُّهُ لَمْ يُغْنِهِ عَنْ عُطَارِدِ	النّاسك المارد (6ـع)	I 363
إذَا وَقَعَ الأَعْرَاضُ فِي كَفِّ نَاقِدِ	كلّ مشتعل خامد (2ـع)	I 363

16) الرشأ : ولد الظبية ، وهو أبلغ في الصورة .
17) النصح أنسب للسياق .
18) لابث أنسب في رأينا ، لعدم استقامة المعنى بلابن .

المطبوعة: الجزء والصفحة	المطبوعة: عنوان القصيدة وعدد البيت فيها ونوع المصراع	الأشعار برواية المخطوطة
I 363	كلّ مشتعل خامد (4–ص)	فِرَاقُ دَدٍ أعْطَاكَ غَيْرَ مُقَصِّرٍ (19)
I 376	هل روح بلا جسد (5–ع)	فَهُنَّ يَفْسُدْنَ فِي أجْسَامِنَا الفُسُدِ
I 376	هل روح بلا جسد (7)	تَوَضَّأتْ بِنَبِيذِ التَّمْرِ طَائِفَةٌ وَقَدْ أجَازُوا طُهُوراً مِنْهُ لِلجَسَدِ
I 381	النّفس أمّارة بالسوء (1–ص)	مَحْمُودٌ اللَّهُ ، وَالمَطْعُودُ خَائِفُهُ (20)
I 391	راع الجار وتوقّة (1–ص)	أمَّا المُرَابِطُ فَارْعَهُ وَتَوَقَّهُ (21)
I 399	الاختلاف في الإلاه (1–ص)	وَجَدْنَا اخْتِلاَفاً بَيْنَنَا فِي زَمَانِنَا (22)

(19) الدد : اللهو واللعب .
(20) هذا الاستعمال أكثر ملاءمة للتركيب .
(21) المرابط تطابق الملحد .
(22) محور القطعة : الاختلاف بين الناس في شتى الأمور ، لا الاختلاف في الإلاه .

الجزء والصفحة	عنوان القصيدة وعدد البيت فيها ونوع المصراع	الأشعار برواية المخطوطة
المطبوعة		
I 402	ستر الوحدة (1ـع)	عَلَى خِزْيَةٍ فُضِحَا لِلأَبَدْ
I 413	نحن بنو الدّهر (5ـص)	وَحُبُّكَ هَذِي الدَّارَ رَاسٍ أَمَامَهُ (23)
I 413	نحن بنو الدّهر (6ـع)	وَجَيْشُ المَنَايَا مِنْ نُفوسِهِمُ قَتَرُ
I 414	الحمائم الهذرة (1ـص)	قِيَانٌ غَدَتْ خَمْسًا وَعشْرًا على غَضًا(24)
I 420	أشباه الذهب (2ـص)	وَفِي الحُرِّ أَشْبَاهٌ مِنَ الذّهبِ الذِي (25)
I 422	لا يدوم حرّ ولا برد (3ـص)	لَهِجْتَ بِفَرْعٍ لاَ ثَبَاتَ لأَصْلِهِ

23) الضمير في أمامه يعود على الإلاه .
24) الغضا : شجر من الأثل خشبه من أصلب الخشب وجمره يبقى زمنا طويلا لا ينطفىء .
25) الحر من كل شيء ، خياره وأعتقه .

المطبوعة		الأشعار برواية المخطوطة
الجزء والصفحة	عنوان القصيدة وعدد البيت فيها ونوع المصراع	
I 422	لا يدوم حرّ ولا برد (5–ص)	تَعَرَّضُ لِلطَّيْرِ السَّوَانِحِ زَاجِراً (26)
I 423	القدريّة والجبريّة (1)	أَرَى كُلَّ أَمَّ غُبْرُهَا مُبْطِىءٌ بِهَا وَمَا أَمَّ دُفْرٍ بِالَّتِي بَانَ غُبْرُهَا (27)
I 433	لا خير في الدّنيا (2–ع)	كَالبَحْرِ يَغْرَقُ فِي ضَحْضَاحِهِ السَّيَرُ
I 433	أنحن أفضل أم الجماد (1–ع)	قَدْ غَيَّرَتْهُمْ صُرُوفٌ بالفَتَى عُثُرُ
I 444	تغير الحال (2–ع)	أَيْضًا وَلِلأَمْلاَكِ فِيهِ تَحَيُّرُ
I 445	سفر يجد وجسر يعبر (8–ص)	وَكَأَنَّمَا دُنْيَاكَ رُؤْيَا نَائِمٍ
I 456	لو تترك الدنيا الفتى (3–ع)	لَوَجَدْتَهُ يَشْتَطُّ إِذْ يَخْتَارُ

(26) صيغة المخاطب المفرد المذكر أكثر ملاءمة للسياق .

(27) الغبر : البقية ، وهنا بقية الحيض ، كناية على النسل والتعمير .

الجزء والصفحة	عنوان القصيدة وعدد البيت فيها ونوع المصراع	الأشعار برواية المخطوطة
المطبوعة		
I 456	سجايا آل آدم (1)	لاَ تَصْحَبَنَّ مَدَى اللَيَالِي فَاجِراً فَالجَارُ يُوجَدُ إنْ تَغَيَّبَ جَارُ
I 460	صور تبدّل غيرها (10)	إنْ غَابَ بَيْتَ أمَنَا فِي لَيْلَةٍ وَإذَا يَعُودُ فَثَائِرٌ مِغْوَارُ
I 464	بين الغريزة والعقل (4–ص)	أقْفَرْتُ مِنْ جِهَتَيْنِ قَفْرَ مَفَازَةٍ
I 468	هل تعلم الطّير (3–ص)	مَا لِلْمَنِيَةِ مِنْ عَوَانٍ أنْكَرَتْ
I 470	الأعمار كآي الكتاب (6–ص)	إنِّي رَقَدتُّ فَقُمْتُ فِي الحَجِّ المُنَى
I 471	بم يختم العمر(2)	تُغْنِيكَ سَاعَاتٌ مُوَاكِسَةٌ (28) عَمَّا يَقُولُ البِيضُ وَالسُّمْرُ

(28) المواكسة : المنحوسة .

المطبوعة		الأشعار برواية المخطوطة
الجزء والصفحة	عنوان القصيدة وعدد البيت فيها ونوع المصراع	
I 478	الإنسان رهن الموت (1–ع)	لَيْسَ إلاَّ الحَدِيثُ قِيلٌ وَعِشْرُ
I 500	أطول الحين كأقصره (2)	وَكَمْ تَغَدَّتْ بِيَبِيسِ الأَرْضِ رَاعِيَةٌ مِنَ السَّوَامِ وَرَاعَتْ عَيْنُهَا الخُضَرَا
I 502	ما هو الدّين (4–ع)	إذَا أَلَمَّ يُصَافِي اللَّيْثَ وَالنَّمِرَا
I 504	كان أو صار (2)	وَمَا تُحَاوِلُ فِي قَوْمٍ إذَا صُحِبُوا أذْكَوْا لِزَعْمِكَ أَسْمَاعًا وَأَبْصَارَا
I 513	جسر الموت (6–ع)	فَشَمِّرُوا الآنَ لِكَيْ نَعْبُرَهْ

الجزء والصفحة	عنوان القصيدة وعدد البيت فيها ونوع المصراع	الأشعار برواية المخطوطة
المطبوعة		
I 513	إيّاك والأيمان (3ـص)	عِيسٌ تُبَارِي جُدْلَهَا بِالفَلاَ
I 555	أحبك أيها الدّنيا (2ـع)	بِعُشْرٍ فِي الزَّكَاةِ وَرُبْعِ عُشْرِ
II 21	الأرض النّجمة (4ـص)	أزْكَى مِنَ العَيْشِ فِي آزافِهَا شَمَمُ
II 23	أتسألون جهولا (3ـص)	يَبْتَغُونَ مِنِّيَ مَيْنًا لَسْتُ أحْسِنُهُ
II 34	الحمد لله (1ـع)	مُكَابِدًا مِنْ هُمُومِ البَحرِ قامُوسًا (29)

(29) هذا أبلغ ، لأن معنى القاموس يزيد على معنى البحر بتخصيص قسم منه وهو معظمه وأبعده غورا .

المطبوعة		الأشعار برواية المخطوطة
الجزء والصفحة	عنوان القصيدة وعدد البيت فيها ونوع المصراع	
II 34	الحمد لله (3)	وَإِنَّمَا جَعَلُوا الرَّحْمَانَ مَأْكَلَةً فَصَيَّرُوا دِينَهُمْ لِلْمُلْكِ نَامُوسَا
II 36	أين اليقين (4)	لاَ تَرْغَبَنَّ مِنَ الظِّبَاءِ عَوَاطِسًا وَلَوِ انْتَشَقْنَ مِنَ الصَّبَاحِ الْكُنْدُسَا
II 121	الزّرع الشرّير(2)	مُدَبَّرُونَ فَلاَ عَتْبٌ إذَا خَطَبُوا عَلَى المُسِيءِ وَلاَ حَمْدٌ إذا بَرَعُوا
II 125	مركز النّفس (6–ص)	مَا أكْثَرَ الوَرَعَ المَوْرُوثَ منْ جُبُنٍ
II 132	طبع الشرّ في بني الدّنيا (1–ص)	لَعَمْرُكَ مَا آسَى إذَا مَا تَبَايَنَتْ

3 — أشعار بروايتين مختلفتين يعسر ترجيح أيّهما أقرب الى الأصل

المطبوعة		الأشعار برواية المخطوطة
الجزء والصفحة	عنوان القصيدة وعدد البيت فيها ونوع المصراع	
I 311	مكره في مجيئه وذهابه (4—ع)	عَلَى الدخرِ ، طَاغٍ : كَافِرٌ وَمُعَاهِدُ
I 316	الشّقا لا يبيد (2—ع)	وَمَرْعَاهُ مَرْوٌ بِالفَلاَ وَهَبِيدُ
I 316	الأيام لا تعود (5—ص)	وَتِلْكَ نَعَمْ وَاللهِ أصْعَبُ خِطَّةٍ
I 317	ضلّ حلم النّاس (3—ص)	لَقَدْ ضَلَّ حُكْمُ النَّاسِ مُذْ حَكَمُوا الدُنى
I 319	إلى أين تذهب الرّوح (1)	الرُوحُ تَنْأى وَلاَ يُبْكَى لِفُرْقَتِهَا وَفِي التُرَابِ لَعَمْرِي يُرْقَبُ الجَسَدُ
I 319	إلى أين تذهب الرّوح (6—ص)	تَنَفَّقُوا بِالخَنَى جَهْلاً أوِ انْتَفَقُوا
I 321	التّنافس في الدّنيا (1)	لَوْلاَ التَنَاظُرُ فِي الدُنْيَا لَمَا وُضِعتْ كُتُبُ التَنَاظُرِ لاَ المُغْنِي وَلاَ العُمَدُ

المطبوعة		
الجزء والصفحة	عنوان القصيدة وعدد البيت فيها ونوع المصراع	الأشعار برواية المخطوطة
I 323	الجسم ربع الرّوح (1–ع)	وَبِيعَ بِالسِّلْكِ أَلْفٌ مِنْهُمُ كَسَدُوا
I 325	شقاء الولد والوالد (1–ع)	وَمَا تَحَدَّثَ عَنْهُ بِالرَّدَى خَلَدُ
I 325	الحوادث القانصة (4–ع)	فَصَادِرُونَ وَقَوْمٌ إِثْرَهُمْ وُرُدُ
I 325	الحوادث القانصة (5–ص)	وَمَدَّ عُمْرِي مِثْلَ القِصْرِ غَايَتُهُ
I 332	شأنكم جحد والحاد (2)	لَقَدْ عَرَضْنَا عَلَى الأَبْرَارِ لَهْوَكُمُ فَكُلُّهُمْ عَنْ دَنَايَا لَهْوِكُمْ حَادُوا
I 334	خوف الحساب (2–ع)	كَأَنَّ يَوْمَ المَمَاتِ عِيدُ
I 337	نكر الأيام (2–ص)	أُمَيَّةُ فِيكُمُ قَتَلُوا حُسَيْنَا

المطبوعة		الأشعار برواية المخطوطة
الجزء والصفحة	عنوان القصيدة وعدد البيت فيها ونوع المصراع	
I 340	حبائل الأيام (1)	قَدْ كَانَ قَبْلَكَ سَادَةٌ وَمَقَاوِلٌ ذَادُوا فَمَا صَرَفَ الخُطُوبَ ذِيَادُ
I 345	لا مفلت من الموت (13)	تَضْعُفُ بِالقُدْرَةِ رَضْوَى كَمَا يَضْعُفُ هَذَا الغُصُنُ المَائِدُ
I 345	لا تطرد الوحوش (1)	إنْ يَشْرَبُوا الرَّاحَ فَمَا شُرْبُنَا فِي الرَّاحِ إلاَّ الأَرْوَقُ البَارِدُ
I 348	الدّنيا غرور (6–ص)	فَإنَّ ابْنَ حَوَّاءَ الدَّفِينَ ابْنُ وَقْتِهِ
I 351	الخير والشرّ (7)	وَشَاعَ فِي النَّاسِ قَوْلٌ لَسْتُ أعرفُهُ وَذَاكَ أنَّ رِجَالاً ذَمَّتِ الصَّمَدَا
I 353	بيت السّرّ (2–ع)	فَكَمْ خَفِيّ خَفَاهُ كَاتِمٌ فَبَدَا

الجزء والصفحة	عنوان القصيدة وعدد البيت فيها ونوع المصراع	الأشعار برواية المخطوطة
	المطبوعة	
I 360	الخمول درع (1)	لَقَدْ غَادَرَ الدَّهْرُ هَذَا السَّوَادَ فَأَفْنَى مِنَ النَّاسِ بِيضًا وَسُودَا
I 361	لا عزّ إلاّ بعد شدّة (8)	وَكَيْفَ أُرَجِّي مِنْ زَمَانِي زِيَادَةً وَمِنْ صِفَةِ الأَصْلِيِّ حَذْفُ الزَّوَائِدِ
I 364	سرّالدّهر(5–ص)	وَإِنْ لَحِقَ الآمَالَ شَخْصٌ مُهَمَّمٌ
I 366	يا جاحد اشهد (2–ع)	وَأَعْلَمُ أَنَّ الأَمْرَ فِي يَدِ وَاحِدِ
I 366	يا جاحد اشهد (3–ص)	فَإِنِّي رَأَيْتُ الْمُلْحِدِينَ تَقُودُهُمْ
I 367	أعزّ بني الدنيا (6–ع)	وَلِينِي فَإِنِّي لاَ أَلِينُ لِرُودِ
I 373	الموت راحة الجسد (3)	العَيْنُ مِنْ أَرَقٍ وَالْقَلْبُ مِنْ قَلَقِ وَالنَّفْسُ مِنْ أَمَلٍ وَالذَّاتُ مِنْ حَسَدِ

الجزء والصفحة	عنوان القصيدة وعدد البيت فيها ونوع المصراع	الأشعار برواية المخطوطة
المطبوعة		
I 375	الخدر الدّاهي الفتّاك (2—ع)	عَلَيْكَ ، فَانْءَ عَنِ الأَضْغَانِ وَالحَسَدِ
I 376	هل روح بلا جسد (1—ص)	مَا آفَةُ الْمَرْءِ غَيْرُ الغِشِّ وَالحَسَدِ
I 376	الملل من العيش (1—ع)	وَذُقْتُ ذَا الدَّهْرَ مِنْ بُؤْسٍ وَمِنْ رَغَدِ
I 377	الانتقال من شرّ إلى شرّ (3—ع)	فَمَا انْتِقَالُكَ مِنْ أَدٍّ إِلَى أُدَدِ
I 378	وعظت قوما (1—ص)	وَعَظْتُ قَوْمًا فَلَمْ يُلْوُوا إِلَى عِظَتِي
I 384	طريق الدنيا (4)	وَمَا نَالَتْ أَمَانِيهَا قُرَيْشٌ وَأَرْغِمَ أَنْفُهَا إِلاَّ بِسَعْدِ
I 394	الامام العادل (1—ص)	لاَ شَكَّ لِلسُّلْطَانِ إِلاَّ أَنْ يَرَى

الجزء والصفحة	عنوان القصيدة وعدد البيت فيها ونوع المصراع	الأشعار برواية المخطوطة
I 401	المرء كالبائع (6–ع)	مَا تَجِدُ النَّفْسُ وَمَا تَعْتَقِدْ
I 406	يالهف نفسي (1)	يَا لَهْفَ (نَفْسِي) (30) عَلَى دَهْرٍ أقَمتُ بِهِ فِي ذِي الدِّيَارِ وَيَا شَوْقِي لِبَغْدَاذَا
I 410	يباذي ويهاذي (1–ع)	لَنَا فَتَنَتْكَ أمْ الدَّفْرِ هَذِي
I 418	الثراء الفقر (2–ع)	عَلَى وقْرِهِ إلاَّ وَعَسْكَرُهُ وَقْرُ
I 421	الصّالح نادر الوجود (1–ص)	حَوَيْنَا شُرُورًا لاَ صَلاَحَ لِمِثْلِهَا
I 427	العقول القليلة (3–ع)	بِكُوفَةَ قَبْرٌ لِلإِمَامِ يُزَارُ

(30) زيادة من المطبوعة .

الجزء والصفحة	المطبوعة: عنوان القصيدة وعدد البيت فيها ونوع المصراع	الأشعار برواية المخطوطة
I 447	عالم كالبهائم (1-ص)	أصْبَحْتُ غَيْرَ مُمَيَّزٍ مِنْ مَعْشَرٍ
I 462	التّنازع في القيامة (3-ع)	فَيَحُورُ فِيهَا دَهْرُنَا وَنَحَارُ
I 465	لَيْتَ آدم طلّق حوّاء (7-ع)	أعْمَالُ عَقْلٍ لاَ أقُولُ مِهَارُ
I 472	بم يختم العمر (12)	وَأرَى المَعَاشِرَ فِي طِبَاعِهِمْ سُوءُ الفِعَالِ : الخَتْلُ وَالقَمْرُ
I 503	وزن الإثم (8-ع)	ألاَ تَطِيرَ لِذِي الحَاجَاتِ أقْطَارَا
I 512	مثل الفتى (4-ص)	وَرَطَاءُ مُفْسِدَةٌ أهَانَتْ عِرْضَهَا

الجزء والصفحة	عنوان القصيدة وعدد البيت فيها ونوع المصراع	الأشعار برواية المخطوطة
المطبوعة		
I 517	بنو آدم في الدّنيا (5)	وَيَدْهَمُ نُسَّاكَهَا تُرْبُهَا كَمَا ظَلَّ يَدْهَمُ كُفَّارَهَا
I 435	هل صحّ القول (3-ص)	هَلْ صَحَّ نَقْلٌ مِنَ الحَاكِي فَنَقْبَلُهُ
I 459	تخالف الأهواء (2-ع)	بَلْ يَكْذِبُ الرُّهْبَانُ وَالأحْبَارُ
I 469	عرية الدّهر (1)	أيعَارُ عَتْبَكَ يَا ابْنَ أحْمَرَ ضِلَّةً وَيَدُومُ لَيْسَ بِبَارِحٍ وَيُعَارُ
I 499	إذا صحّ الجسم انتكس الدّين(1)	إذَا مَضَى لِبِحَارِ الْهِنْدِ قَائِدُهُ فَكُنْ مَعَ اللَّهِ بِالإخْلاَصِ مُتَّجِرَا
I 499	إذا صحّ الجسم انتكس الدين (7)	أتَى الزَّمَانُ مُطِيعًا أنْ يُوَلِّيَكُمْ خَيْرًا فَيَحْمَدَ غِبَّ الشَّأنِ مَنْ زَجَرَا

محمد الهادي الطرابلسي

خلافة عثمان وعلي

من كتاب » الكشف والبيان «

تأليف : أبي سعيد محمد بن سعيد الأزدي القلهاتي

تحقيق : محمد بن عبد الجليل

قائمة المصادر والمراجع

1 – الاصبهاني (أبو الفرج علي بن الحسين)

كتاب الأغاني طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية القاهرة بدون تاريخ وقد اضطررنا إلى الرجوع إلى طبعة دار الثقافة بيروت فنبهنا إلى ذلك في الهوامش .

2 – البخاري (محمد بن اسماعيل الجعفي)

صحيح البخاري

سلسلة كتاب الشعب القاهرة بدون تاريخ

3 – البرادي (أبو الفضل أبو القاسم بن ابراهيم)

كتاب الجواهر– القاهرة 1302هـ

4 — البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز)
كتاب معجم ما استعجم طبعة بتحقيق مصطفى السقا — القاهرة 1364—1371
1945—1951

5 — حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله المعروف ب)
كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون مطبعة المعارف — اسطنبول 1361—1362/1941—1943

6 — ابن حجر العسقلاني (احمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني المعروف ب —.)
الإصابة في تمييز الصحابة
مطبعة مصطفى محمد — القاهرة 1358—1939

7 — الحطيئة (أبو مليكة جرول بن أوس)
ديوان الحطيئة بشرح السكري
تصحيح أحمد بن الأمين الشنقيطي — القاهرة — بدون تاريخ

8 — الخالديان (أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد)
الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين
حققه وعلق عليه السيد محمد يوسف — القاهرة 1958 .

9 — الزركلي (خير الدين)
الأعلام
الطبعة الثانية القاهرة 1373—1378/1954—1959 .

10 — السالمي (نور الدين بن عبد الله بن حميد)
تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان
قام بطبعه وتصحيحه أبو اسحاق ابراهيم اطفيش الجزائري الميزابي
القاهرة 1373هـ .

11 ـ ابن سعد (محمد)
طبقات ابن سعد
طبعة ادوارد سخو ليدن 1322ـ1339هـ .

12 ـ السيوطي (جلال الدين عبد الرحمان)
الجامع الصغير المسمى بفيض الغدير شرح الجامع الصغير
الطبعة الأولى ـ القاهرة 1938/1356 .

13 ـ الشهرستاني (محمد بن عبد الكريم)
الملل والنحل على هامش الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم
القاهرة 1318هـ .

14 ـ الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير)
تاريخ الرسل والملوك
تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم الطبعة الثانية . سلسلة ذخائر العرب 30
دار المعارف القاهرة 1960ـ1969 .

15 ـ ابن عبد البر النمري (أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد)
الاستيعاب في معرفة الأصحاب على هامش الاصابة ـ القاهرة 1358ـ1939 .

16 ـ ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم)
المعارف تحقيق ثروت عكاشة
مطبعة دار الكتب القاهرة 1960 .

17 ـ ابن قتيبة
الشعر والشعراء
دار الثقافة بيروت 1964 .

18 ــ كحالة (عمر رضا)
معجم المؤلفين
مطبعة الترقي دمشق 1376ـ1957/1380ـ1961 .

19 ــ المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد)
الكامل في اللغة والأدب
تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم والسيد شحاتة ــ القاهرة 1376/1956 (وهو تاريخ مقدمة الجزء الاول) .

20 ــ مسلم (أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري)
صحيح مسلم
طبعة محمد فؤاد عبد الباقي ــ دار احياء الكتب العربية القاهرة 1375/1956 .

21 ــ ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري)
لسان العرب
طبعة مصورة عن طبعة بولاق .

22 ــ الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد)
مجمع الأمثال
تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ــ مطبعة السعادة القاهرة 1379ـ1959 .

23 ــ نصر بن مزاحم المنقري
وقعة صفين
تحقيق عبد السلام محمد هارون ــ الطبعة الثانية القاهرة 1382 .

24 – (ياقوت الحموي)

معجم البلدان

ليبزيغ 1866–1871 .

25. — Blachère (Régis) Histoire de la littérature arabe des origines jusqu'à la fin du XVe siècle de J. C. (3 vol. parus)
Paris Maisonneuve 1952-66

26. — C. Brokelmann : Geschichte der arabischen literatur (G.A.L) Leiden, Brill 1942-43

27. — Encyclopédie de l'Islam ancienne et nouvelle éditions

28. — Kafàfi (Muhammad) The rise of kharijitism according to 'Abū Saʿīd Muhammad B. Saʿīd al Azdi al Qalhati
dans Bulletin of the feculty of arts (B.F.A.) Cairo University 14 (I) 1952 pp. 29-48.

تقديم

لعل مسألة الخلافة وما يجب أن يتوفر في المترشحين لها من شروط أهم مصادر الخلاف بين المسلمين ذلك الخلاف الذي أدى إلى نشأة العديد من الفرق الإسلامية التي كانت تتحارب بالسيف مرة وباللسان والقلم مرة . وإذا كنا نعرف ما كتبه السنيون والشيعة في الدفاع عن مبادئهم والرد على مخالفيهم فإن معرفتنا بمؤلفات الإباضية في هذا الموضوع لا تزال ناقصة رغم وفرة ما ألفه علماء هذه الفرقة . فحاجتنا إلى نشر هذه المؤلفات ظاهرة ولعلنا لا نعرف إلى الآن رواية خارجية عن نشأة الخوارج إلا من خلال كتاب الجواهر للبرادي وهو مؤلف إباضي متأخر . طبع كتابه هذا طبعة غير علمية في القاهرة سنة 1302هـ فإذا كانت الحالة كما ذكرنا فإنه من المفيد إعادة طبع هذا الكتاب وأمثاله من المؤلفات التي تروي نشأة الخوارج وتاريخهم . وقد سار في هذا الدرب محمد الكفافي إذ عرفنا بكتاب « الكشف والبيان » لأبي سعيد محمد بن سعيد الأزدي القلهاتي نسبة إلى قلهات من مدن عمان فقد لخص وحلل من هذا الكتاب الجزء المتعلق بنشأة الخوارج وما جرى بينهم وبين علي من قتال وورد هذا التحليل في مقال بالإنكليزية نشر بمجلة Bulletin of the Faculty of Arts Cairo University 14 I, 1952 pp. 29-48.

المؤلف

أما المؤلف أبو سعيد محمد بن سعيد الأزدي القلهاتي فلم يرد له ذكر في أكثر كتب التراجم على أنه جاء في دائرة المعارف الإسلامية (1) أن الروايات المتعلقة بنشأة الخوارج معروضة عرضا مطولا في مصدرين هما كتاب الجواهر للبرادي المؤلّف في نهاية القرن الثامن للهجرة (XIV م) وأوائل القرن التاسع

(1) دائرة المعارف الإسلامية (ط ح) ج III ص 242 مادة حروراء .

للهجرة (XV م) وكتاب « الكشف والبيان » للقلهاتي المؤلف قبل سنة 1070هـ (1659م) كما احال بروكلمان (2) عندما ترجم لهذا المؤلف باختصار على مرجعين احدهما قاموس الشريعة الإسلامية للشيخ جميل بن خميس وهو مخطوط وثانيهما مطبوع (3) ولكننا لم نستطع الرجوع إليه فلا نعرف إذن عن حياة القلهاتي شيئا يذكر ولكن لا يفوتنا ان نشير إلى انه عاش في عهد كانت فيه إمارة عمان قوية نسبيا فقد الف القلهاتي هذا الكتاب في عهد ثاني الأئمة اليعاربة وهو سلطان بن سيف بن مالك اليعربي (4) الذي رَدّ إلى سلطنة عمان بعض قوتها واسترجع من البرتغاليين مسقط ومواقع اخرى كانوا قد استولوا عليها .

الكتاب

أما الكتاب فيقع في خمسين بابا وينقسم إلى قسمين قسم تاريخي وقسم كلامي فالأول يقع في أربعة وعشرين بابا وموضوعه تاريخ الأنبياء منذ مبدإ الخليقة مع اهتمام خاصّ بالبعثة المحمدية ثم تاريخ الخلفاء إلى استتباب الأمر للأمويين ويهتم اهتماما خاصا بخلافة عثمان وأحداثها ويبرر قتله كما يفرد خمسة أبواب (18—22) من هذا القسم لخلافة علي وما وقع فيها من الفتن ويتحدث عن نشأة الخوارج مدافعا عن وجهة نظرهم وينقل مناظرة طويلة دارت بينهم وبين ابن عباس انتهت باقتناعه بوجهة نظرهم ؛

أما القسم الثاني (26 بابا) فقد استعرض فيه مقالات الفرق غير الإسلامية ثم انتقل إلى الفرق الإسلامية وبيان مقالاتها والرد على بعضها معتمدا على

---

(2) GAL sup II ، 568

(3) هذا عنوانه History of the Imams and Seyyids of Oman by Salil b. Raziq translated by G.P. Badger London 1871

(4) اختلف في تاريخ ولايته فبينما يذكر الكفافي أنه ولي من سنة 1059هـ إلى سنة 1079هـ يذكر السالمي (تحفة الأعيان II 44 — 73) ؛ أنه حكم من سنة 1050هـ إلى 1059هـ .

الحديث المشهور المتعلق بانقسام المسلمين إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها ضالة ما عدا واحدة هي الإباضية في رأيه .

وتوجد من هذا الكتاب نسخة محفوظة في المتحف البريطاني رقمها 2606 ويقول الكناني في مقاله المشار إليه إنها وحيدة ولا يذكر بروكلمان سواها وتقع هذه النسخة في 232 ورقة مكتوبة من الجهتين ويتراوح عدد الأسطر في كل صفحة بين 13 و17 سطرا وقد فرغ من نسخها في الرابع من شوال سنة 1164هـ كتبها مبارك بن عبد الله الزوي للشيخ عبد الرحمان بن محمد (البطاشي)(5) وكانت كتابتها عن نسخة كثيرة التصحيف فاضطر الناسخ حسب ما قال في آخر النسخة التي بين أيدينا — إلى أن يكتب أحيانا حسب تخمينه أو حسب السياق فليست هذه النسخة إذن هي الأصلية ولا هي سليمة من الأخطاء وفيها كلمات وعبارات أثبتها في أسفل الصفحات مطموسة طمسا كليا أو جزئيا رغم وضوح الخط بصفة عامة كما كتب الناسخ على الهامش تعليقات قليلة لم نشر إليها لخلوّها من الفائدة . ولم نكن لنقدر على تلافي هذا النقص لولا أننا عثرنا بالمكتبة الوطنيه بتونس على نسخة من كتاب « كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة » برقم 3182 ويرجع تاريخ نسخها إلى سنة 1264هـ بيد عثمان بن عامر بن سليمان بن محمد بن خلف الأزكوي كتبها « لوالده ومحبّه الشاعر الفصيح حميد بن محمد بن رزيق النخلي » وهي اربعون بابا في 497 صفحة ويبدو أنها اختصار لكتاب « الكشف والبيان » فقد سقط من « كشف الغمة » أكثر ما ورد في « الكشف والبيان » عن تاريخ ما قبل البعثة المحمدية كما سَقَطَ من كشف الغمة ما يتعلق بالفرق غير الإسلامية والكتابان يتشابهان تشابها يكاد يكون تاما فيما عدا ذلك .

أما مؤلف « كشف الغمة » فمجهول ويرى بروكلمان (6) أنه ألف حوالي سنة 1140هـ (1724م) ويؤيد ذلك قول مؤلفه (7) :

---

(5) الكلمة غير واضحة .

(6) G.A.L. II p. 409

(7) كشف الغمة الباب 83 ص469 .

« ... ثم إنهم رجعوا بالسيد سيف بن سلطان إلى نزوى فأقامه القاضي إماما للمسلمين يوم الجمعة بعد زوال الشمس في العشر الأول من شعبان سنة اربعين ومائة وألف من الهجرة » .

وقد اعتمدنا في تحقيق هذه الأبواب الستة من « الكشف والبيان » على ميكرو فلم من نسخة المتحف البريطاني واعتبرناها الأصل وقارنا النص كلما دعت الحاجة لتصويب خطإ أو ضبط كلمة أو عبارة غير واضحة بما ورد في نسخة المكتبة الوطنية من كتاب « كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة » واعتبرناها أصلا ثانيا ورمزنا إليها بالحرف « ع » وبذلنا ما في وسعنا لتخريج الشعر والأحاديث وما إليها وعرّفنا بالأعلام إذا لم تكن مشهورة ورجعنا إلى ما أمكن الرجوع إليه من كتب الأدب والتاريخ وما أمكن الرجوع إليه من كتب الإباضية وكان بودنا أن نرجع إلى مثل « الجامع الصحيح أو مسند الربيع ابن حبيب (8) » ولكن لم يتهيأ لنا ذلك فعسى أن نعود إلى هذا المخطوط لتحقيق بعض ما بقي منه وتلافي ما في هذا العمل من نقص .

(8) من أيمة الإباضية عاش في البصرة في القرن الثاني للهجرة ومن مؤلفاته كتابه في الحديث « الجامع الصحيح أو مسند الربيع بن حبيب » راجع الأعلام III 38 .

الباب السابع عشر
في ذكر خلافة عثمان بن عفان بن أمية بن عبد شمس (1)

فقبل عثمان البيعة لما سبق في علم الله من وقوع الفتنة وقد حذّرهم الله إيّاها ولم يبرئهم منها إذ يقول على لسان نبيّه صلى الله عليه وسلم « واتقوا فتنة لا تُصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصّة (2)» يعني أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (وقال) (3) « واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب (4) » وقال عزّ من قائل «فهل عسيتم إن تولّيتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعُوا أرحامكم (5)» (وقال) (6) «اواولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم (7)» وقال سبحانه « آلمّ أحسب الناس أن يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون (8) » .

فعمل عثمان بالحق ما شاء الله ست سنين وهو في ذلك دون صاحبيه (9) والمسلمون له مجامعون ومؤازرون يعلمون ان طاعته عليهم واجبة حتى بُسِطت له الدنيا وفتحت له خزائن الارض 85ظ/ (ف)-أحدث (10) احداثا أنكرها المسلمون ولم يعرفوها من سيرة نبي الله صلى الله عليه وسلم ولا من سيرة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما (من) (11) تعطيل الحدود وإدالة المال بين الأغنياء واستعمال السفهاء من قرابته وتحريفه كتاب الله وتوليته للوليد بن

---

(1) كانت خلافته من سنة 644/23 إلى سنة 655/35 .
(2) سورة الأنفال 25 .
(3) زيادة اقتضاها السياق .
(4) البقرة 196 .
(5) سورة محمد 22 .
(6) في الاصل « فقال » وقد رأينا أن العطف بالواو أجود فأصلحنا .
(7) سورة محمد 23 .
(8) سورة العنكبوت 1 و2 .
(9) يعني أبا بكر وعمر .
(10) في الأصل أحدث بدون حرف العطف .
(11) كلمة غير واضحة في الأصل والتصحيح من ع ص 222 .

عقبة بن أبي معيط (12) على أهل الكوفة وارتقائه المنبر في موضع (13) رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمَى قطر السماء عن عباد الله وحمى البحر أن تجري فيه السفن وحمى سوق المدينة ورد (الحكم بن أبي العاص بن أميه) (14) وهو طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فوصله من بيت مال المسلمين بمائة ألف ووهب لمروان بن الحكم (15) خمُسَ إفريقية (16) (وآثر) (17) قرابته وبناته ونساءه وأنفق على صناعة دوره من مال الله ما لم يأذن الله به (وولى) (18) عبد الله بن أبي سرح (19) وهو عدو الله وقد أهدر نبي الله دمه لانه ارتد عن الإسلام إلى الشرك ونفى أبا ذر (20) رحمه الله إلى (الربذة) (21) وضرب

(12) أخو عثمان لأمه أسلم يوم فتح مكة وولاه النبي وأبو بكر وعمر بعض الأعمال ولي الكوفه لعثمان من سنة 25هـ إلى سنة 29هـ اعتزل الفتنة بعد مقتل عثمان وأقام بالجزيرة إلى أن توفي سنة 680/61 رويت عنه أخبار تدل على جوده ولهوه وورد اسمه في الأصل الوليد بن أبي معيط والإصلاح من كتب التراجم راجع الأعلام IX 143 .

(13) في الأصل وارتقائه منبر منزل رسول الله والاصلاح من ع ص 222 .

(14) في الأصل الحكم بن أمية والإصلاح من كتب التراجم والحكم بن أبي العاص بن أميه عم عثمان أسلم يوم الفتح ونفاه النبي إلى الطائف فلما استخلف عثمان رده إلى المدينة وكانت وفاته سنة 652/32 راجع الأعلام II – 295 .

(15) مروان بن الحكم (2–23/65–685) رابع الخلفاء الأمويين كتب لعثمان وحارب عليا في معركتي الجمل وصفين تولى الخلافة سنة 64هـ ومات بعد ذلك بتسعة أشهر ، راجع دائرة المعارف الإسلامية (ط ق) II –354–355 .

(16) كذا في الأصل وظاهرانه يقصد خمس غنائم إفريقية ، وإفريقية لم يتفق الجغرافيون على تحديدها فيرى بعضهم أنها تمتد من برقة إلى طنجة ومن البحر المتوسط إلى بلاد الزنج ، ويرى غيرهم أن طرابلس ليست من أرض افريقية – راجع دائرة المعارف الاسلامية (ط ح) III 1073–1076 .

(17) في الأصل و« ايثاره » والإصلاح من ع 222 .

(18) في الأصل توليته ولعل ما أثبتنا أكثر مطابقة للسياق .

(19) عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي العامري أخو عثمان من الرضاع ولي له مصر سنة 25هـ توفي سنة 657/37 – راجع دائرة المعارف الاسلامية (طح) I –53 .

(20) أبو ذر جندب بن جنادة بن سفيان من كبار الصحابة أقام بعد وفاة النبي ببادية الشام يحض الفقراء على مشاركة الأغنياء في أموالهم فشكوه إلى عثمان فاستقدمه إلى المدينة فواصل بها نشاطه فنفاه إلى الربذة فبقي بها إلى أن توفي سنة 652/32 – راجع دائرة المعارف الاسلامية (طح) I – 118 .

(21) في الأصل الرندة والإصلاح من الكتب التي ترجمت لأبي ذر ومن معاجم البلدان وهي من قرى المدينة تقع على ثلاثة أميال منها – راجع ياقوت معجم البلدان II 748–750 ومعجم ما استعجم للبكرى II – 633–637 .

عمار بن ياسر (22) رحمه الله إلى ان (فتق بطنه) (23) وضرب عبد الله بن مسعود (24) إلى (أن كسر أضلاعه) (25) ومات من ضربه ولما قتل عبيدُ الله (26) بن عمر الهرمزان (27) لم (28) يقده به وعطل الحدود وكتب إلى عامله بمصر يأمره بقتل المسلمين (ممن) (29) نقموا عليه فعله وأظهر لهم التوبة من ذنبه وكتب إلى عامله بقتالهم ثم بدَأهُمْ بالفتنة رمى رجل من اصحابه 86و/ رجلا من المسلمين يقال له دينار بْنُ عياض (30) فقتله فطلبوا (31) إليه أنْ يُقَيدَهُمْ بصاحبهم فامتنع وعزل خيار المسلمين وولى السّفهاء من قرابته ومنع كبار الصحابة أعطياتهم مثل ابن مسعود (وغيره) (32) وفي ذلك يقول عبد الرحمان (33) يعدد عليه مساوئه فقال (34) (المتقارب) :

(22) عمار بن ياسر (57 ق هـ/567—37/657) العنسي حليف بني زهرة من السابقين إلى الإسلام وكبار الصحابة كان من أشد الناس على عثمان وقتل مع علي في صفين — راجع دائرة المعارف الاسلامية (طح) I 461 .

(23) في الأصل إلى ان فتق الله بطنه والاصلاح من ع 223 .

(24) عبد الله بن مسعود من هذيل من كبار الصحابة وأولهم إسلاما وأغزرهم علما كان ممن أنكر على عثمان بعض فعله توفي سنة 32/653 — راجع دائرة المعارف الاسلامية (طح) III ، 897—899 .

(25) في الأصل إلى ان انكسر اضلاعه والتصحيح من ع ص 223 .

(26) عبيد الله بن عمر (قتل سنة 37/657) ولد في عهد النبي وأسلم بعد اسلام أبيه اتهم الهرمزان بأنه شارك في قتل أبيه عمر بن الخطاب فقتله ولم يقتص منه عثمان فلما ولي علي الخلافة أراد الاقتصاص منه ففر إلى الشام وقتل في صفين وهو يحارب مع معاوية — راجع الأعلام IV — 351 .

(27) الهرمزان من قواد الفرس حارب المسلمين في عهد عمر بن الخطاب ثم أسلم — راجع دائرة المعارف الاسلامية (طح) III ، 606—607 .

(28) في الأصل « فلم يقده » ويقتضي السياق حذف الفاء .

(29) في الأصل « مما » والإصلاح يقتضيه السياق .

(30) ورد في كتاب الجواهر للبرادي ص 91 أنه شيخ فاضل من تميم دعا عثمان وهو محاصر إلى أن يعتزل فبينما هو يكلمه رماه رجل من أصحاب عثمان بسهم فقتله أما الطبرى (تاريخ IV —382) فذكر أنه نيار بن عياض وأنه صحابي .

(31) في الأصل فطلبه إليه ان يقيدهم وفي ع ص 224 فطلبوا إليه ان يقيده لهم بصاحبهم .

(32) في الأصل وغير .

(33) الظاهر أنه عبد الرحمان بن حنبل بن مليل الجمحي وهو أخو صفوان بن أميه الجمحي لأمه وكان أبوه ممن سقط إلى مكة من اليمن وقال هذا الشعر عندما أعطى عثمان لمروان خمس مغنم إفريقية فسجن عثمان الشاعر فكلمه فيه على بن أبي طالب فأطلقه شهد الجمل وصفين مع علي وبها قتل سنة 37هـ/657 — راجع الاستيعاب II ، 406—407 والإصابة II ، 387 واسمه في هذا الكتاب عبد الرحمان بن حسل .

(34) ورد الشعر في الاغاني VI 268—269 في اخبار ابي ذؤيب الهذلي (7 ابيات) والمعارف 195 (5 ابيات) والاستيعاب II 407 (8 ابيات) والاصابة II 387 (6 ابيات) والبرادى 62 (11 بيتا) .

واحلف بالله جهد اليميـــن ما خلق الله امرا سدى(35)

ولكن جعلت لنا فتنة — لكي يبتلى بك من يبتلى (36)

دعوت الطريد (37) فأدنيته — خلافا لما سَنَّهُ المصطفى (38)

ووليت قرباك أمر العباد — خلافا لسنة من قد مضى (39)

وأعطيت مروان خمس الغنيـ — ـةَ آثرته وحَمَيْتَ الحمى (40)

ومالا أتاك به الأشعريّ — من الفيء أعطيته من دنا (41)

وإن (42) الأمينين(43)قد بيّنا — منار الطريق عليه الهدى (00)

فما أخذا درهما غيلة — ولا قسما درهما في هوى (44)

(اللهم إنا نسألك الثبات على طاعتك يا كريم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم) (45) واستعمل الوليد بن عقبة على الكوفة فجعل يلعب بالسَّحَرة

---

(35) في الأصل امرءا عوض امرا والاصلاح من المصادر المشار إليها وفي البرادى أقسم عوض أحلف في الإصابة « رب العباد » أما العجز فقد ورد فيه ترك عوض خلق في الأغاني والمعارف والاستيعاب وورد شيئا عوض « امرا » في المعارف والإصابة والبرادى .

(36) في الأغاني والمعارف والإصابة خلقت عوض جعلت وورد لهم عوض لنا في البرادى وقد ورد العجز على هذه الصورة « لكي نبتلي بك أو تبتلي » في المعارف والاستيعاب والإصابة مع تعويض الباء بالفاء في الأغاني أما رواية البرادى فهي « لكي يبتلوا ولكي تبتلى » .

(37) يريد بالطريد الحكم بن العاص – راجع 15 .

(38) سقط هذا البيت من المعارف وكان عجزه عجز البيت الموالي في الأغاني والبرادى وفي صدر هذا البيت « دعيت اللعين » في رواية البرادى .

(39) سقط البيت كله من المعارف والإصابة أما صاحب الأغاني والبرادى فقد أوردا عجزه وجعلاه عجز البيت السابق كما بينا في (38) .

(40) سقط هذا البيت من الإصابة أما في الأغاني والبرادى فقد ورد البيت هكذا :

... مروان خمس العبا — د ظلما لهم ...

أما رواية المعارف للعجز فهي « فهيهات شاوك من سعى » .

(41) سقط البيت من المعارف وفي البرادى من قد مضى « عوض من دنا » .

(42) « فان » عوض « وان » في المعارف والاستيعاب والبرادى كذلك ورد « الامامين » عوض « الامينين » في البرادى .

(43) الأمينان هما ابو بكر وعمر .

(44) في المعارف « وما فعلا درهما في الهوى » أما رواية البرادى فهي « فلم ياخذا » ولا فعلا ...

(44م) وردت هذه العبارة في الهامش تعليقا على هذه الابيات « لم اعلم هذه العبارة فكتبتها على ما شبه لي والله اعلم بحقيقتها لانها مدمرة من قبل ضعف القرطاس » والكلمات من مدمرة إلى آخر العبارة غير واضحة .

(45) كتبت هذه العبارة بأحرف غليظة وبحبر مخالف .

والساحر (يريه) (46) أنه يقتل انسانا ويحييه فلما مرّ جندب بن زهير الأزدى(47) وهو يفعل ذلك 87ظ/ضربه بالسيف وقطع رأسه وقال له إن كنت كما تزعم فأحْيِ نفسك وفيه يقول سراقة الطائى (48) (الطويــل) :

ولا جندب إذ صال بالسيـف غـدوة على ساحر في حافة السُّوقِ لاعب (49)

وصلى الوليد بالناس وهو سكران وزاد في الصّلاة وفيه يقول علي بــن الهيثـم (50) (الوافــر) :

تكلم في الصلاة وزاد فيـها مُجـاهرة وغالى بالنفاق (51)

ومَجّ الخمر في سنن المصلى ونادى والجميع إلى افتراق(52)

أردتكم عـلى ان تحـمـدونـي فمالكم ومالي من خلاق (53)

وصلى في منى (54) أربع ركعات وإنما صلى نبي الله وأبو بكر وعمر ركعتين وحرم قراءة ابن مسعود وقراءة أبيّ بن كعب (55) وأمر الناس أن

---

(46) في الأصل بالسحرة والساحرية وقد استعنا في الإصلاح بما ورد في الأغاني V 142 (أخبار الوليد بن عقبة) وفيه أن الوليد بن عقبة كان عنده ساحر يريه .. » .

(47) اختلف في نسبه فالأغاني يذكر أن جندب بن كعب هو الذي قتل الساحر ويرجح صاحب الإصابة هذه الرواية ثم يذكر أن جندبا قتل يوم صفين أو توفي في خلافة معاوية ثم قال « واختلف في صحبته » وأشار إلى رواية تفيد أن قاتل الساحر هو جندب بن زهير انظر الأغاني V ،142 – 143 أخبار الوليد بن عقبة والإصابة I 249 – 250 والطبرى IV ، 274 – 275 وورد في الطبرى اسم جندب بن زهير الأزدى وأنه قتل مع علي في معركة صفين .

(48) لم نهتد إليه في المراجع التي بين أيدينا .

(49) ورد صدر هذا البيت في الأصل على النحو التالي « ولا جندب وجاك بالسيف ؟ » والإصلاح من البرادى 62 .

(50) علي بن الهيثم لم نهتد إلى شيء نطمئن إليه في شأنه وذكر ابن قتيبة في العور رجلا اسمه علي بن الهيثم السدوسي – راجع المعارف 587 وتهذيب التهذيب XII 347 ، أما الشعر فقد نسبه صاحب الأغاني للحطيئة V 125 أخبار الوليد بن عقبة وكذلك نسبها السكرى للحطيئة (ديوان الحطيئة برواية السكرى ص 119) .

(51) في الأغاني والسكرى ... علانية وجاهر بالنفاق » .

(52) ورد الصدر هكذا في الاغاني وديوان الحطيئة وفي الاصل أردت الخمر عن سنن المصلى » .

(53) ورد الصدر هكذا في الأغاني وديوان الحطيئة « أزيدكمو على أن تحمدوني ..و.. » .

(54) منى ضبطت بضم الميم وكسرها وفتح النون بلدة شرقي مكة على طريق عرفات – راجع دائرة المعارف الاسلامية (طق) III ، 566–567 .

(55) أبي بن كعب الأنصاري الخزرجي كان يدين باليهودية قبل أن يسلم وهو من كتاب الوحي وجامعي القرآن وقرائه توفي سنة 21/642 – راجع الاعلام I ، 78 .

يقرأوا على حرف واحد وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « ان القرآن انزل على سبعة احرف كلها شاف كاف » (56) وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (57) (من سره ان يقرأ القرآن غضا كيوم ما أنزل فليقرا قراءة ابن أم عبد (58)) وَحَرَّقَ المصاحف قال أبو ذر 20 « يا عثمان لا تحرق كتاب الله فيحرق الله جلدك ويهرق دمك » وفي ذلك يقول الحجاج ن عمرو الأنصاري (59) أحد بني مازن ابن النجار (وفي هذا المعنى) (60) (الطويل) :

أتيت بتحريق الكتاب عظيمة   تعرضت فيها للردى والمهالك
أتحرقه من بعدما قد أتى به   (من الله) جبرائيل خير الملائك

وقال بعض الصحابة (61) (الوافر) :

قَتَلْتَ الخَيْرَ عَبْدَ الله حتى   ثوى في قبره للترب ميتا (62)
وأحرقت المصاحف يا ابن أروى(63)   ووليت الجبابر واعتديتا

وأعطى ابن عامر (64) صدقة البحرين (65) وكتب إلى الحكم 14 بثلثمائة درهم إلى الحارث بن نوفل (66) عامل مكة وما يليها من القرى ومن العرب

---

(56) ورد في البخارى في « باب أنزل القرآن على سبعة احرف » ج VI ص 227–228 ، ونص الحديث « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه » (ص 228) .

(57) ورد هذا الحديث في الاستيعاب II 311 – 312 والإجابة II 361

(58) ابن أم عبد هو عبد الله بن مسعود .

(59) في الأصل ابن عمر والإصلاح من كتب التراجم وهو الحجاج بن عمرو بن ثعلبة من بني مازن بن النجار أنصاري ضرب مروان بن الحكم حتى سقط يوم الدار وشهد صفين مع علي – راجع طبقات ابن سعد V 197 والإصابة I 312 والاستيعاب I ، 345–345 .

(60) وردت هذه العبارة بحبر مخالف فلعل معناها أن الناسخ نسخ البيتين بمعناهما لا بلفظهما ولم نجد هذين البيتين في المصادر التي بين ادينا ما عدا البرادى 61 وع 223 .

(61) لم نهتد إلى صاحب هذا البيت .

(62) ورد البيت وفيه قلت .... قبر للترب ...

(63) ابن أروى هو عثمان بن عفان .

(64) عبد الله بن عامر (4/625–59/679) أموى ولاه عثمان البصرة سنة 29هـ ففتح كثيرا من البلدان حارب عليا في معركة الجمل وولاه معاوية البصرة أيضا راجع الاعلام IV 228 ودائرة المعارف الاسلامية (ط ح) I 44–45 .

(65) البحرين أعمال هذا الاسم في الجاهلية وأول الاسلام على الجزء الشرقي من جزيرة العرب وقد اتخذ نجدة ابن عامر الخارجي من البحرين قاعدة له . أما الآن فيطلق هذا الاسم على مجموعة الجزر الواقعة بين قطر والسعودية راجع دائرة المعارف الاسلامية رط ح I ، 969–973 .

(66) الحارث بن نوفل صحابي ولاه النبي بعض أعمال مكة وأقره أبو بكر وعمر وعثمان ثم أقام بالبصرة إلى أن مات سنة 35/655 – راجع الاعلام II ، 161 وطبقات ابن سعد IV ، 1 ص 38 والاستيعاب I –297 .

وغيرهم فتعدى بذلك حكم الله وحكم رسوله وحكم الخليفتين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وقد قال عزّ من قائل (ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون) (67) وبلغنا أن عثمان بن عفان دخل على عبد الله بن مسعود 24 رضي الله عنه حين حضره الموت فقال له عثمان أبعث إليك بالطبيب فقال ابن مسعود الطبيب أمرضني فقال ألا آمر لك بعطائك فقال منعتنيه وأنا إليه محتاج وتعطينيه وأنا قد استغنيت عنه فقال تدخره لولدك فقال لا أخاف على ولدي الفاقة والله حي لا يموت وبلغنا أن عبد الله بن مسعود قال له أذكرك الله يا عثمان هل سمعت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم (من رضي عنه ابن مسعود فأنا عنه راض ومن سخط عليه ابن مسعود فأنا عليه ساخط)(68) قال اللهم نعم فقال ابن مسعود إنسي أشهد الله ومن حضرني أنـي عليك ساخط وبلغنا أن عبد الله بن مسعود 24 رضي الله عنه ذكّره حديثا قاله النبي صلى الله عليه وسلم لقوم (69) 87ظ/وفيهم عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود 24 وكانوا يتذاكرون أمر الدجّال (70) فقال لهم (فيكم من هو أشد على أمتي من الدجّال وأعظم فتنة) (71) فذكر له ابن مسعود 24 أسماء الذين كانوا معهم فأثنى عليهم عثمان خيرا ولم يكن بقى من اولائك غير عثمان وعبد الله بن مسعود 24 فقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أما أنا فهذا آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة وأنت صاحبها يا عثمان أو كما قالت عائشة رضي الله عنها « بالله ما رأيت شيخا أقر على نفسه بمثل ما أقرّ به عثمان » وبلغنا أنه قال إن مات فلا تسبقوني بجنازته فلما انصرف عنه عثمان مات ابن

---

(67) سورة المائدة 47 * 68) .
لم نهتد إلى هذا الحديث في المصادر التي بين أيدينا .
(69) في الأصل « ولقوم » وظاهر أن الواو زائدة .
(70) شخص تذكر بعض الأحاديث أنه يظهر في آخر الزمان ويفسد في الأرض ويضل الناس يدوم بقاؤه في الأرض أربعين يوما أو أربعين سنة ثم يقتله المهدى المنتظر . ووردت الكلمة في الأصل بهذا الشكل « الرجال » والتصحيح من ع ص 224 راجع دائرة المعارف الاسلامية (ط ح) ج II — ص 77–78 .
(71) لم نهتد إلى هذا الحديث في المصادر التي بين أيدينا .

مسعود 24 رحمه الله فقاموا في جهازه ولم يعلموا به عثمان فبلغه ذلك (فأتى)(72) ليصلي عليه فوجدهم قد دفنوه فهم بنبشه ليصلي عليه فقال الزبير متمثلا (شعرا فتمال) (73) (البسيط) :

لاأعرفنك بعد الموت تندُبني وفي حياتي ما زوّدتني زادا (74)

(وقال فيه بعض) (75) الصحابة (76) (الطويل) :

تعاطى ابن مسعود لينبش قبره ألاشلتا كفاك من كف نابش (77)
تصلي عليه بعد ما قد قتلته فياشرذي نبل ويا شر رايش (78)
رويدك تلقى الله عن ذات قتله وتلقى ابن مسعود غداة التناوش (79)

ذكر من نفى عثمان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : نفى أبا ذر 20 ومسلما الجهني (80) ونافع بن الحطام (81) ومن أهل الكوفة كعب بن أبي نجدة (82) وعمر بن زرارة (83) وزيد بن صوحان (84) والأسود بن

(72) في الأصل « فابى » والتصحيح يقتضيه السياق .
(73) كتبت هذه العبارة بحبر مخالف .
(74) ورد هذا البيت في البرادي ص 74و77 ونسب إلى الحطيئة في الشعر والشعراء I 189 والاشباه والنظائر I 204 ونسب لعبيد في مختارات ابن الشجري (عن الاشباه والنظائر I 204 ذيل 4) ولم نجده في الطبعة التي بين أيدينا من ديوان الحطيئة .
(75) غير واضحة في الأصل .
(76) وردت هذه الأبيات غير منسوبة في ع ص 224 ولم نهتد إلى قائلها .
(77) ورد في العجز في الأصل « كفاه كمن كف نابش » والإصلاح من ع ص 224 .
(78) في الأصل « فياشرذى نيل وياشرنابش » والاصلاح من ع ص 224 .
(79) في الأصل « تلقى عن غد ذات قتله » وبياض مكان ابن مسعود .
(80) لم نهتد إليه في المراجع التي بين أيدينا .
(81) لم نهتد إليه في المراجع التي بين أيدينا .
(82) لم نهتد إليه في المراجع التي بين أيدينا .
(83) لم نهتد إليه في المراجع التي بين أيدثنا .
(84) زيد بن صوحان بن حجر العبدى من عبد القيس صحابي استوطن الكوفة كان شجاعا قطعت يده في إحدى المعارك وقاتل يوم الجمل مع علي حتى قتل الأعلام III 98 طبقات ابن سعد VI 84–86 ، والاصابة I 550 والاستيعاب I 539 .

صوحان (85) والأسود بن (دريج) (86) ويزيد بن قيس (87) وكردوس بن قيس (87) وكردوس بن الحضرمية (88) ومن أهل البصرة عمار بن عبد الله العنبرى (89) ومذعور العنبرى (90) في جماعة منهم تركت أسماءهم وقد قال الله تعالى (وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون . ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون) (91) وقال عزّ من قائل لمن يفعل ذلك (أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون) (92) ثم عمد عثمان إلى الصدقة فجعلها لنفسه ولأهل بيته من دون أهلها الذين جعلها الله لهم وأعطى مروان 15 منها مائة ألف وقد قال الله تعالى (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين 88ظ/وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) (93) فنقص أهل بدر أعطياتهم كل واحد ألفا عما فرضها لهم (94) أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكنز الذهب والفضة وقد قال الله تعالى (والذين يكنزون الذهب والفضّة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم

(85) لم نهتد إليه في المراجع التي بين أيدينا .

(86) هكذا ورد ولم نهتد إليه .

(87) في ع ص 224 زيد بن قيس ولم نهتد إليه في المراجع التي بين أيدينا .

(88) لم نهتد إليه في المراجع التي بين أيدينا .

(89) لم نهتد إليه في المراجع التي بين أيديينا .

(90) لم نهتد إليه في المراجع التي بين أيديينا .

(91) البقرة 85/84 .

(92) سورة البقرة 86 .

(93) سورة التوبة 60 .

(94) في الأصل فانقص اهل بدر من عطياتهم من كل واحد منهم الفا مما فرضها منهما لم امير .. والتصحيح من ع 224 .

يحمى عليها في نار جهنم فتكوى (95) بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) (96) ومنع أهل (عمان والبحرين أن يَبَيعُوا) (97) طعامهم حتى يباع طعام الإمارة والله سبحانه وتعالى يقول (واحل الله البيع وحرم الربا) (98) وخالف في جميع أموره ما أنزله الله وسنة نبيه و(الخليفتان) (99) من بعده والله يقول (ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون الفاسقون الظالمون) (100) وقال عز من قائل (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نُوَلِّهِ ما تولى وَنُصْلِهِ جهنم وساءت مصيرا (101) وقال عزمن قائل (ألالعنة الله على الظالمين) (102) وقال (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء) (103) وقال (أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا) (104) وقال سبحانه (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون) (105) 89و/ فلما رأى المسلمون ذلك لم يستعجلوا عليه ولم يغتنموا عثرته وَلاَ زَلَّتَهُ بل أعذروا إليه واحتجوا عليه والمسلمون (ناظرون لأعمال العباد) (106) شهود الله في أرضه يعرضون أعمال

(95) في الأصل فيكون وهو غلط .
(96) سورة التوبة 35 و36 .
(97) في الأصل ومنع أهل المدن طعامهم حتى ... « والإصلاح من ع 224
(98) سورة البقرة جزء من الاية 275 .
(99) في الأصل والخليفتين وظاهر انه خطأ .
(100) هي ثلاث آيات من سورة المائدة ومن لم يحكم .. الكافرون 44
الفاسقون 47
الظالمون 45
(101) سورة النساء 115 .
(102) سورة هود جزء من الآية 8 .
(103) سورة آل عمران بعض من الآية 28 .
(104) سورة النساء بعض من الآية 144 وقد كتبت الآية السابقة مرتين في الاصل وفي المرة الثانية وردت بعدها هذه الآية مباشرة بدون وقال .
(105) سورة هود 113 .
(106) في الأصل « والمسلمون لاعمال العباد شهود الله » والتصحيح من ع ص 225 .

الناس على القرآن فما وافق منها الحق أخذوا به وجامعوهم عليه وما خالف منها الحق (نبذوه وفارقوا صاحبه وأمروه بالرجوع إلى الحق فان رجع وإلا قاتلوه عليه) (107) كما قال عز من قائل (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستُردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) (108) فعلم المسلمون أن طاعته على أحْداثه لا تجوز ولزمهم (الإنكار) (109) عليه والتبيين فساروا إليه من اطراف البلاد مع من كانوا في المدينة وأزواج النبي يحرضن عليه وخرجت عائشة رضي الله عنها بمصحف كان معها وهي تقول « أشهد بالله أن عثمان كفر بما في هذا المصحف » فلما اجتمعوا دخلوا عليه فذكروه بآيات الله وعددوا عليه صنيعه والذي ارتكب من المعاصي فزعم أنه يعرف ما يقولون وأنه يتوب إلى الله ويرجع إلى الحق فرضي المسلمون بقوله واعترافه وتوبته وقبلوا منه وكان حقا عليهم أن يقبلوا منه إذا رجع إلى الحق ويجامعوه ويقبلوا عُذْره وتوبته ويؤازروه إذا استقام على منهج الحق وكذلك يلزمهم أن لا يردوا التوبة على أهلها ثم تفرق الناس من عنده على الذي أعطاهم من المراجعة إلى الحق والتوبة من الذنوب (فألحقهم بريدا) (110) في آثارهم وكتب إلى عماله : أن اتوكم ليلا فلا يصبحوا وإن 89ظ/أتوكم نهارا فلا يمسوا فأظهر الله على كتابه بيد خادمه وعليه ختمه بخاتمه فرجعوا إليه وقالوا إنه كان من جورك وفعلك وظلمك قبل اليوم ما قد عرفت وأقررت به على نفسك وزعمت أنك تتوب منه فقبلنا منك ذلك وكنا نتهمك قبل ذلك في دين الله فصار من أمرك وأمرنا أن صرنا نتهمك في دين الله وفي دمائنا فاعتزل أمرنا لنستعمل على أنفسنا من يعدل علينا ونأمنه على ديننا ودمائنا

(107) في الأصل « خالفوهم فيه وفارقوهم عليه » وما أوردناه من ع ص 225 ومعناه أقرب إلى روح الإباضية .

(108) سورة التوبة 105 .

(109) قبل هذه الكلمة واو في الأصل وقد أسقطناها إذ لا موجب لها ولعل الإنكار معطوفة على كلمة سقطت ولم نهتد إليها ...

(110) في الأصل فالحقهم يريد وفي لسان العرب مادة (برد) ان البريد الرسول .

فأبى عليهم (وزعم أنه) (111) لا يخلع سربالا سربله الله إياه يعني الملك فاتخذ (مال الله وملكه مأكلةً كفعل الـ...يراث) (112) واستجاش بأحبابه وأهل بيته ولم تكن من المسلمين عجلة ولا بطر عليه فجعلوا يناشدونه بالله ويذكّرونه (113) فأبى إلا عُتوا وجورا وكره المسلمون أن يبدأوه بالقتال حتى بدأ رجل من أصحابه فرمى رجلا من المسلمين يقال له دينار ابن عياض 30
فقتله فطلبوا إليه أن (يقيدهم) (114) بقتيلهم فأبى وامتنع وقال لا أقتل لكم رجلا ينصرني وأنتم تريدون قتلي (فلما علموا أنه قد امتنع وبغى ببغيه وأبى أن يقيدهم بصاحبهم) (115) حملوا عليه وقاتلوه عند ذلك .

ذكر وقعة الدار وحصار عثمان وأهل الدار

فلما حمل المسلمون على الدار خرج عليهم مروان بن الحكم (15) من الدار في عصابة وخرج سعيد بن العاص (116) في عصابة وخرج المغيرة بن الأخنس الثقفي (117) في عصابة وخرج عبد الله بن الزبير (118) في عصابة فاقتتلوا

(111) في الأصل وقال لا يخلع والإصلاح من ع ص 225 .

(112) هكذا وردت هذه العبارة ولم نهتد إلى الصواب فيها .

(113) في الأصل يذاكر منه والإصلاح من ع ص 225 .

(114) في الأصل « ان يقيد لهم » وفي لسان العرب أن أقاد يتعدى بنفسه انظر لسان العرب مادة (قود)

(115) في الأصل فلما امتنع قاتلوه وعلموا أنه قد امتنع وبقي بقية وأبى أن لا يقيدهم بصاحبه حملوا عليه .

(116) سعيد بن العاص (3/624–59/679) من رجال بني أمية ولاه عثمان الكوفة بعد عزل الوليد بن عقبة فشكاه أهلها إلى عثمان فعزله فرجع إلى المدينة واعتزل الفتنة وأقام بمكة حتى توفي – راجع دائرة المعارف الاسلامية (ط ق) IV 68–69 .

(117) المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة قتل يوم الدار مع عثمان – راجع الاستيعاب III، 367–368 والإصابة III 430 ترجمة 8177 وقد أحال صاحبها على معجم الشعراء للمرزباني إلا أننا لم نعثر على ترجمته فيما طبع من هذا الكتاب .

(118) عبد الله بن الزبير (2هـ/624–73–692) من مشاهير أولاد الصحابة شارك في عدة غزوات منها غزو إفريقية واشتهر بثورته على الأمويين سنة 61هـ 681 وامتد سلطانه إلى العراق وغيره وانتهت ثورته بقتله بعد حصار مكة أكثر من ستة أشهر راجع دائرة المعارف الإسلامية (ط ح) I 56–57 .

قتالا 90و/شديدا وكان بلغ عثمان أن مدده من البصرة (قد أقبلوا) (119) ونزلوا صرارا (120) وهي من المدينة على ليلة وأن أهل الشام قد توجهوا مقبلين فقاتلهم المسلمون قتالا شديدا على باب الدار فجعل المغيرة بن الأخنس يحمل على المسلمين وهو يرتجز ويقول شعرا (الرجز) (121) :

قد علمت جارية عطبول لها وشاح ولها حجول (122)
أني بنصل السيف خنشليل أحمي وأرمي أول الرعيل (123
بصارم ليس بذى فلول

فحمل عليه عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي (124) (وهو يقول في ذلك شعرا) (125) (الرجز) :

إن كنت بالسيف كما تقول فاثبت لقرن ماجد يصول
وصارم في كفه مصقول

---

(119) في الأصل وقد أقبلوا وقد وفقنا بين الروايتين .

(120) هي في الأصل بالضاد المعجمة وضبطت بالصاد المهملة في الطبري ومعجم البلدان ومعجم ما استعجم وفيه أنها بئر قديمة على ثلاثة أميال من المدينة أما ياقوت فيذكر أنه سمي بهذا الاسم جبل وموضع على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق وماء أو بئر قديمة — راجع معجم ما استعجم للبكرى ج III ص 830 وياقوت معجم البلدان ج III (1) ص 377 والطبرى IV 369 و382 .

(121) ورد البيت الأول ونصف البيت الاخير في الطبرى IV ، 382 وورد الرجز كله في ص388 من نفس الجزء مع اختلاف يسير ، وفي اللسان مادة خنشل بيت يتركب من صدر الأول وصدر الثاني هكذا :

قد علمت غانية عطبول انى بنصل السيف خنشليل

(122) هكذا ورد البيت في الطبريج IV ص 382 أما في ص388 من نفس الجزء فقد ورد كما يلي :

قد علمت .... عطبول ذات وشاح ولها جديل

(123) ورد العجز في الطبرى هكذا « لأ منعن منكم خليلي » (الطبرى تاريخ IV 388) .

(124) عبد الله بن بديل بن ورقاء صحابي أسلم يوم الفتح كان سيد خزاعة ومن الدهاة الفصحاء وكان قائد الرجالة في صفين وبها قتل مع علي سنة 657/37 — راجع الأعلام IV 200 الاستيعاب II 259—261 .

(125) ورد هذا الرجز في الطبرى IV ، 382 وفيه « ان تك » عوض ان كنت و« وأما العجز فورد هكذا «بمشرفي حده مصقول» .

وحمل رفاعة بن رافع الأنصارى (126) على مروان بن الحكم 15 فضربه فصرع (ورجع) (127) عنه وهو يرى أنه قد قتله وجرح عبد الله بن الـزبيـر جراحات وانهزم القوم حتى (التجأوا) (1128) إلى القصر فأقاموا ببابه واقتتلوا قتالا شديدا فقتل في المعركة زياد بن نعيم (الفهري) (129) في أناس من أصحاب عثمان وعلي بن أبي طالب في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه السلاح وهو يحرض الناس على القتال وطلحة بن عبيد الله في جماعة من الناس وعليه السلاح عند باب القصر وهو يحث المسلمين على الدخول عليه ولم يـزل الناس يقتتلون حتى فتح عمرو بن حزم الأنصاري (130) 90ظ/ باب داره وهي التي جنب دار عثمان بعد ان حاصروه (ما) (131) يزيد على شهر وقيل (أربعين يوما) (132) ثم نادى عمرو بن حزم الناس وقال : يا معاشر المسلمين هلموا فادخلوا عليهم من داري فدخلوا عليهم من داره فقاتلوهم في جوف الدار حتى (انهزموا وخُلِّيَ) (133) بينهم وبين باب الدار فخرجوا هرابا في سكك المدينة فلم يغنموا لهم مالا (ولا) (134) سبوا لهم ذرية .

---

(126) رفاعة بن رافع بن مالك بن عجلان الأنصاري صحابي بدرى اشترك في قتل عثمان وشهد الجمل وصفين مع علي – راجع الأعلام III ، 55 والأستيعاب I ، 489 و490 وطبقات ابن سعد II 3 ص 130 .

(127) في الأصل فصرع عنه والزيادة من ع ص 225 .

(128) في الأصل حتى الحوا والتصحيح من ع ص 226 .

(129) في الأصل زياد بن نعيم المهرى والإصلاح من الاستيعاب I (547) وفيه أن زياد بن عبد الله الفهري من الصحابة قتل يوم الدار .

(130) عمرو بن حزم بن زيد الأنصاري شهد عددا من غزوات النبي (الخندق وما بعدها) وولاه النبي نجران في تاريخ وفاته خلاف فصاحب الإصابة يذكر أنه توفي في خلافة عمر أو بعد الخمسين ويصحح الرأى الثاني (الإصابة II ، 525) وفي الاستيعاب II ، 510 أنه مات سنة 51هـ أو 53 و54 .

(131) سقطت من الأصل والتكملة من ع ص 226 .

(132) ورد في الأصل « اربعون يوما » بخط غير ظاهر والإصلاح من ع ص 226 .

(133) كلمتان غير ظاهرتين بوضوح في الأصل .

(134) هذان الحرفان غير واضحين .

ذكر قتل عثمان بن عفان والذين حاصروه وتولوا قتله (135)

منهم رفاعة بن رافع الانصارى (126) أحد بني (زريق) (136) وجبلة ابن عمرو الأنصاري (137) (احد) (138) بني ساعدة وعمرو بن حزم الأنصاري (130) أحد بني سلمة بن عوف ومحمد بن أبي بكر الصديق (139) وعبد الله 124 ومحمد ابنا بديل بن ورقاء الخزاعي (140) ومحمد بن أبي حذيفه ابن عتبة بن ربيعة (141) وعبد الرحمان بن عدس القضاعي (142) ونفر من العراق تركت أسماءهم وضربوه أكثر من عشر ضربات وأمسك المسلمون عن أصحابه لا أخذوا لهم مالا ولا سبوالهم ذرية عن داود بن الحصين (143) قال محمد بن مسلمة الانصارى (144) قال يوم قتل عثمان « ما رأيت يوما قط

---

(135) كلمة غير واضحة في الأصل .

(136) في الأصل « رويق » والاصلاح من ع ص 226 وكتب التراجم .

(137) صحابي أنصاري من الخزرج غزا إفريقية مع معاوية بن حديج ومنع الناس من دفن عثمان في البقيع – راجع الإصابة I (225) والاستيعاب I (241) .

(138) في الأصل « جد » والإصلاح من البرادى ص 94 والطبرى IV ، 365 و366 وفيه أنه جبلة ابن عمرو الساعدى .

(139) ولد قبل وفاة النبي بعام وهو ربيب علي وقد رباه كان من أنشط المحرضين على عثمان واتهم بالمشاركة في قتله ولاه علي مصر فقتله ابن حديج سنة 658/38 – راجع دائرة المعارف الاسلامية (ط ق) III —714 .

(140) محمد بن بديل بن ورقاء لم نهتد إليه في المصادر التي بين أيدينا .

(141) محمد بن أبي حذيفة بن عقبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف صحابي ولد في الحبشة وقتل أبوه في معركة اليمامة ودعا إلى خلاف عثمان وخلعه وأرسل إلى المدينة رجالا من مصر كان له ولهم يد في قتل عثمان أقره علي على مصر فحاربه معاوية وصالحه ولم يلبث أن قبض عليه وقتله سنة 657/36 – راجع الأعلام IV ، 368 .

(142) عبد الرحمان بن عدس الأنصاري وهو في الإصابة ابن عديس بالتصغير صحابي شهد فتح مصر وقاد المصريين الذين حاصروا عثمان وساهموا في قتله وعاد إلى مصر بعد مقتل عثمان فطلبه معاوية وقبض عليه وسجنه وأمر بقتله سنة 657/36 – راجع الأعلام IV ، 88 الإصابة IV ، 403—404 .

(143) داود بن الحصين لم نهتد إليه في المصادر التي بين أيدينا وذكره ابن سعد ولم يترجم له في الطبقات III (2) ص 23 .

(144) محمد بن مسلمة 35ق‍ه 589—43ه‍/663 صحابي بدري ولاه عمر بعض الاعمال واعتزل الفتنة الواقعة بين علي ومعاوية راجع الإصابة III ، 363—364 والاستيعاب III ، 315—317 وطبقات ابن سعد II (2) ص 18—20 .

أقر للعيون ولا أشبه بيوم بدر (145) من هذا اليوم (146) وقتل صبيحة يوم الاثنين لثماني عشرة ليلة مضت من ذى الحجة سنة خمس وعشرين من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن أبي حذيفة 141 (مرتجلا) (147) أبياتا من الشعر (147) 91و/(الطويل) :

لقيت رجالا انكروا الجور خشية ... الا لا بحق الله ما أنت صانع
وقالوا كتاب الله غيرت بدعة ... وهذا كتاب الله والنور ساطع
وسنة مهديه النبي مُبِينَةٌ ... فرائضه فيها وفيها الشرائع
فأبطلتها كفرا وسرت بغيرها ... (أشارت) (148) بهاطرا إليك الأصابع
فجاؤوا إليه واستتابوا (وبيّنوا ... وقالوا له) (149) عثمان ماذي البدائع
ألست ترى الإسلام والعدل والهدى ... وتعلم أن الله راء وسامع
فإن له فيها شفاء (149) ونعمة ... وانك مقبوض إليه وراجع
وإنك لاقيه ولاق حسابه ... يقينا وقارٍ كل ما أنت جامع
فما زال عن جور ولا خاف ربه ... عتوا ومن لا يحفظ الله ضائع

وقال محمد بن سمرة القرشي (150) فقال شعرا (الطويل) :

جزى الله شرا نعثلا وفعاله ... وأعْقبه خزيا بما كان يصنع
رأينا ابن عفان أبى الله نصره ... (وخذل) (151) عنه كل من يتورع
وأعوانه أهل البصائر والتقى ... وارماحهم في وجه نعثل شرع

---

(145) بدر بلدة على مسيرة ليلة من المدينة اشتهرت بالغزوة الواقعة فيها سنة 2هـ/624 – راجع دائرة المعارف الاسلامية (ط ح) ج I ص 892–893 .

(146) لم نتمكن من تخريج هذا الكلام .

(147) في الأصل مرتجزا والإصلاح من ع ص 226 ولم نجد هذه الأبيات إلا في ع ص 226 و227 .

(148) كلمة غير واضحة بالأصل والتكملة من ع ص 226 .

(149) في الأصل ووينوا عوض وبينوا وما بقى مكتوب كتابه غير واضحة والتكملة من المصدر السابق وفيه ووئبوا

(150) لم نهتد إليه في المصادر التي بين أيدينا على أن اسمه في ع ص 227 محمد بن أبي سمرة .

(151) في الأصل « وخدل » والتصحيح من ع ص 227 .

وقال عمرو بن (حزم) (152) الانصارى شعرا (153) (الطويل) :

ولما أبى عثمان الا تماديا وجاهدنا بالجور غير المخاتل
وفرّق مال المسلمين وفيئهم وضيّعه في كل غيّ وباطل 91ظ/
وحرف للكفر (المصاحف) (154) عاديا وأسقط منها محكمات الفواصل (154)
دلفنا إليه حمية بجموعنا لندفعه عن جوره بالمناصل ؟
فصرْنا إلى ذى نخوة في حجابه مكبّ على السؤات للحق جاهل (155)
فلم يعطنا للحق خطة تائب ولم يعطنا للحق خطة عادل (156)
ولما تمادى في الغواية والهوى وزال إلى رأي من الرأي زائل
شددنا احتسابا والقلوب ضغينة (157) على تارك للحق بادى المقاتل
فأسلمه أنصاره وتفرقوا فغودر مذبوحا رقيب الحلايل

وقال الحجاج بن (عمرو) (158) الأنصاري أحد بني مازن بن النجار (الرجز) (159) :

إنا استتبنا بعثلا فلم يتب ودسس السوءات في سر الكتب
فظل نسوان عليه تنتحب وظلت الأوداج منه تنشخب

(152) في الأصل عمر بن حازم والإصلاح من كتب التراجم .
(153) لم نهتد إلى هذا الشعر في المصادر التي بين أيدينا ما عدا ع ص 227 وفيه في البيت الأول كما أثبتنا « في كل غي » وفي الأصل كل غاو .
(154) ورد في الأصل المصحف ولا يستقيم به الوزن فأصلحنا أما « الفواصل » فورد في الأصل الفواضل بالضاد وتصحيح الكلمتين من ع ص 227 .
(155) ورد في الأصل بعيدا عن السوءات وما أثبتنا رواية ع ص 227 وفيه فضلنا كما في الأصل ولعل السياق يقتضي ما أثبتنا .
(156) في الأصل « ولم يعطنا ما الحق خطة عادل » ولعل الصواب ما أثبتنا .
(157) في الأصل طغينة والإصلاح من ع ص 227 .
(158) في الأصل الحجاج بن عمر والإصلاح من ع ص 227 .
(159) لم نهتد إلى هذين البيتين في المراجع التي بين أيدينا .

ثم رمي بجثته على مزبلة بالمدينة ثلاثة أيام لم تدفن ثم إن حكيم بن حازم القرشي (160) أحد بني أسد بن عبد العزى وجبير بن مطعم بن نوفل بن عبد مناف (161) كلما عليا في دفنه وطلبا إليه أن يأذن لأهله في ذلك ففعل فأذن لهم (علي) (162) ألا يدفن مع المسلمين في مقابرهم فلما (سمع الناس ذلك) (163) قعدوا له في الطريق بالحجارة فلما خرج به أهله يحملونه وهم يريدون به حسرية حائطا في المدينة يقال له حش كوكب (164) كانت اليهود تدفن فيه موتاهم فلما خرجوا به الناس رجموه (في سريره) 92 و/ (165) وهموا بطرحه وهم يقولون نعثل نعثل فعلم علي بن أبي طالب فأرسل إلى الناس ومنعهم عنه حتى دفن في حش كوكب (فلما تولى معاوية أمر) (166) أهل المدينة أن يدفنوا موتاهم حوله حتى اتصل بمقابر المسلمين ودفن بين المغرب والعتمة ولم يحضر إلا ثلاثة من مواليه ومروان بن الحكم 15 وابنته الخامسة وكلما رفعت صوتها تندبه أخذ الناس الحجارة وقالوا نعثل نعثل فكادوا أن يرجموه .

---

(160) حكيم بن حازم القرشي صحابي أسلم يوم فتح مكة عمر طويلا وتوفي بالمدينة سنة 674/54 وقيل سنة 50 قيل او 58 او 60- راجع الأعلام II (298) وفيه أنه حكيم بن حزام وكذلك اسمه في الاستيعاب I ، 319-320 والطبرى تاريخ IV ، 412-413 .

(161) جبير بن مطعم بن نوفل صحابي من علماء قريش وساداتها عده الجاحظ من أنسب قريش وروى له البخاري ومسلم عدة أحاديث توفي بالمدينة سنة 679/60 - راجع الأعلام II 103 والاستيعاب I 232 .

(162) في الأصل : فأذن لهم الايدفن .. والتكملة من ص ع 227 .

(163) كلمات غير واضحة في الأصل والتكملة من ع ص 227 .

(164) في الأصل حسر كوكب وفي المعارف لابن قتيبة والطبرى أن عثمان دفن بحش كوكب وهي في المعارف أرض كانت اليهود تدفن فيه موتاها واشتراها عثمان وزادها إلى البقيع وأما الطبرى فيوافق كلامه كلام المؤلف- راجع معجم البلدان II (1) 273 ومعجم ما استعجم II 450-451 والمعارف لابن قتيبة ص 197 والطبرى تاريخ IV 412 .

(165) كلمة غير واضحة في الأصل وقد رجحنا أنها الكلمة التي أثبتنا اعتمادا على ما ورد في تاريخ الطبرى IV 412 ، في حديثه عن دفن عثمان إذ ورد «فلما خرج به على الناس رجموا سريره » .

(166) في الأصل « إلى ان تولى معاوية فامر » والإصلاح من ع ص 228 وفيه « فلما ولى الامر معاوية امر » .

ذكر من قتل من قريش مع عثمان

قتل من بني أسد بن عبد العزى عبد الله بن وهب بن ربيعة (167) وشيبة بن عبد شمس بن عبد مناف (168) وعبد الله بن عبد الرحمان بن العوام بن خويلد (169) ومن بني عبد الدار بن قصي عبد الله بن هبيرة بن عوف بن شيبان (170) ومن بني زهرة من (حلفائهم) (171) المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفي 117 هولاء من قريش وقتل معه عبده زياد (172) .

(مسألة)

فإن عارض معارض أن عليا لم يرض بقتل عثمان وكذلك المهاجرون والأنصار وإنما غُلِبوا عليه وأنه إنما قتل مظلوما .

(الجواب)

قيل له لو كان عثمان قتل مظلوما ما وسع علي بن أبي طالب ولا المهاجرين والأنصار وأهل المدينة أن لا يغضبوا لقتل (173) خليفتهم وهو بين أظهرهم ولو شاءوا لمنعوه بأطراف أرديتهم لأنهم يغضبون للأمر اليسير من معصية الله فكيف لا يغضبون (لقتل) (173) خليفتهم وكيف (يسع) (174) عليا والمسلمين ذلك وهم غير عاجزين فقد صح 92ظ/أنهم أنفذوا كلمة الحق في قتله فاجتمع

(167) عبد الله بن وهب بن زمعة بن الأسود الأسدى القرشي هكذا ورد اسمه في الأعلام صحابي أسلم يوم الفتح وقتل في المدينة يوم الدار ويسمى ابن وهب الأكبر تمييزا له عن عبد الله بن وهب بن زمعة التابعي – راجع الأعلام IV ص 288 .

(168) لم نهتد إليه وقد سمى في ع ص 228 شعبة بن عبد شمس .

(169) لم نهتد إليه في المصادر التي بين أيدينا .

(170) لم نهتد إليه في المصادر التي بين أيدينا .

(171) في الأصل من خلفائهم والخطأ ظاهر .

(172) لم نهتد إليه في المصادر التي بين أيدينا .

(173) في الأصل على قتل خليفتهم وقد صححنا ذلك استنادا إلى أن المؤلف عدى (يغضبون) باللام في قوله (يغضبون للامر اليسير) وهو المعهود في مثل هذا السياق .

(174) في الأصل « سيع » والإصلاح من ع ص 228 .

الجميع على قتله فهم ما بين فاعل وراض وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (لا تجتمع أمتي على ضلال) (175) شعر لبعض المسلمين (176) (الخفيف) :

عجبا للمهاجرين وللأنصار في قتل قائد الأحزاب (177)
في ثلاثين راكبا أقبل القو م إليه من مصر فوق الركاب
يتعاطونه ثلاثة أيا م قتيلا معرضا للكلاب
وهم بضعة وعشرون ألفا أو يزيدون من رواة الكتاب
لو أرادوا (178) ان يمنعوه حموه كلهم بالنعال أو بالثياب
فليتكم توقعوا قاتلوه للذي كان منهم للصواب (179)
إن للخاذلين منهم لحظا علم الله من أليم العذاب (179م)

وقال الوليد بن عقبة يرثي عثمان وكان يذكر إبلا وسلاحا قبضها علي منه وكان عثمان (أخذها) (179) من إبل الصدقة (180) (طويل) :

1. بني هاشم ردوا سلاح ابن أختكم ولا تنهبوه لا تحل مناهبه
بني هاشم لا تعجلونا فإننا سواء لدينا قاتلاه وسالبه (181)
فإنا وإياكم وما كان بيننا كصدع الصفا لا يرأب الصدع شاعبه (182)
قتلتم أمير المؤمنين خيانة كما غدرت يوما بكسرى مرازبه (183)

---

(175) انظر الشهرستاني II 37 .
(176) لم نهتد إلى هذه الابيات ولا إلى قائلها في المصادر التي بين أيدينا سوى ع ص 228 .
(177) ورد البيت وفي وزنه خلل إذ جاء للمهاجرين والأنصار فأصلحنا .
(178) في الاصل لو ارادوه ولا يستقيم به المعنى .
(179) هكذا ورد هذان البيتان ولم نهتد إلى معناهما أو إصلاحهما ..
(179م) في الأصل أنجدها وفي ع 228 اتخذها .
(180) ورد هذا الشعر في الاغاني (1 إلى 6 و9 و11) V ، 120والطبرى (البيت 4) مع اختلاف ج VIII ص 512 و513 والكامل (1 وعجز البيتين 4و6) III ، 28 والاستيعاب III 599–600 وع ص 229 .
(181) في الأغاني « لا تعجلوا بافاده » .
(182) في الأصل ساغبه والإصلاح من الأغاني وفيه وانا عوض فانا ومنكم عوض بيننا وهذا البيت ورد رابعا في الأغاني .
(183) في الأغاني والطبرى والكامل هم قتلوه كي يكونوا مكانه وهذا البيت ورد سابعا في الأغاني .

فقد يجبر العظم الكسير وينبرى ... لذي الحق يوما حقه فيطالبه
بنى هاشم كيف التعاذر بيننا ... وعند علي درعه ونجائبه (184) 93 و /
بني هاشم كيف الصلاح لديكم ... وعند علي سيفه وحرائبه
فإن لم تكونوا قاتليه فإننا ... سواء علينا ممسكاه وضاربه
لعمرك ما أنسى ابن أروى وقتله ... وهل ينسين الماء ما عاش شاربه(185)
هو الأنف والعينان مني فليس لي ... سوى الوجه والعينين وجه أعاتبه
وإني لمجتاب إليكم بجحفل ... يصم السميع جرسه وجلائبه

فأجابه عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب (186) (الطويل) :

بكت عين من يبكي ابن عفان بعده ... تنكب عن قصد المحجة جانبه
سعى جاهدا في نقض سنة أحمد ... وآثر بالمال الكثير أقاربه
أضاع الحدود في الوليد وغيب الـ ... ـشهود عن الحق المبين طالبه
فلا تسألونا عن سلاح ابن أختنا ... ولكن سلوا عنه الوليد وصاحبه(187)
ولا تسألونا سيفكم إن سيفكم ... أضيع فألقاه لدى الباب صاحبه
هما فسّدا عثمان ثم تغيبا ... (بشعبين من نعمان تعوى ثعالبه)(188)

---

(184) في الكامل « الهوادة » وفي الأغاني « التعاقد » وعجز هذا البيت في الاغاني هو عجز البيت الموالي في هذا الكتاب .

(185) في الأصل « وهل يتسنى » والإصلاح من الأغاني .

(186) عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب صحابي شاعر ومن الناس من ينكر صحبته قتل مع الحسين بن علي في كربلاء حسب ما جاء في الإصابة – راجع الإصابة II ، 32 والاستيعاب II ، 600 وقد وردت الابيات الثلاثة الاخيرة منسوبة إلى الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب وتختلف روايتها عن هذه الابيات (الاستيعاب600) III كما ورد ببيتان في الأغاني (V /121) منسوبان إلى نفس الرجل .

(187) في الاستيعاب والأغاني .

فلا تسالونا بالسلاح فإنه ... أضيع وألقاه لدى الباب صاحبه

(188) في الأصل « شعبين من نعما تقوى ثعالبه » وفي ع ص 229 « بشغفين من نعمان تعوى ثعالبه » وقد اصلحنا بالرجوع إلى رواية ع مع اعتبار ما يمكن ان يكون فيها من اخطاء .

البـاب الثامـن عشـر
في ذكر خلافة علي بن أبي طالب

فلما قتل عثمان اجتمع المسلمون في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعوا عليا على طاعة الله ورسوله وأن يتبع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسير بسيرة الخليفتين المرضيين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بعد أن ترددوا عليه أياما وهو يابى عليهم فلما بايعوه قام فصعد المنبر وعمار بن ياسر (22) 93ظ/عليه السلاح عن يمينه ومحمد بن أبي بكر الصديق عن يساره فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وطلب من الله الإعانة على ما (ولاّه) (189) من أمر الناس ودعا لنفسه بالعون وأمر النـاس بتقوى الله وحثهم على الاجتماع على طاعة الله والمعاونة على أمر الله ثم قال في آخر كلامه « ألا إن كل قطيعة قطعها عثمان ومال أعطاه من مال الله فهو مردود على المسلمين في بيت مالهم فإن الحق قديم ولا يبطله شيء والله لو وجدته قد تزوج عليه النساء وتفرق في البلدان لرددته فإن لكم في العدل سعة ومن ضاق عليه العدل فإن الجور عليه أضيق » ثم أمر بكل سلاح كان في دار عثمان أو مال تقوى به على قتال المسلمين من مال الله (فقبضه) (190) وأمر بقبض نجائب كان اتخذها عثمان من إبل الصدقة فقبضت وقبض سيف عثمان ودرعه وترك لعثمان ما كان ميراثا بين ولده على كتاب الله وقبض ما كان عثمان قبضه (من الفيء) (191) والعقد التي كان اشتراها وقبض ما كان عثمان (حازه) (192) من مال الله وكان شرط المسلمين على علي بن أبي طالب أن يبايعوه على طاعة الله وطاعة رسوله والعمل بكتاب الله وسنة نبيه والأخذ

(189) في الأصل « اولاه » والاصلاح من ع ص 229 .
(190) في الأصل « الاقبضه » والاصلاح من ع ص 230 .
(191) في الأصل « ومن الفيء » والاصلاح من ع ص 230 .
(192) في الأصل « قبضه حازه » والاصلاح من ع ص 230 .

بسيرة الخليفتين من بعد النبي صلى الله عليه وسلم وعلى قتال الفئة (الباغية)(193) وكل فرقة امتنعت عن الحق طاغية (وكل من نقض) (194) 94و/عهد الله وغير سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكم بغير ما أنزل الله حتى يظهر نور الله وتطفى كلمة (الجوروالجبروت) (195) أهل البدع والفجور أو تفنى على ذلك أرواحهم فأعطاهم على ذلك العهد والميثاق وعلى أنه (إن) (196) خالف من ذلك شيئا أو نقض منه شيئا فلا (بيعة) (197) له عليهم فرضي علي بذلك وبايعهم وبايعه طلحة بن (عبيد الله) (198) والزبير بن العوام فيمن بايعه من المهاجرين والأنصار فقام بأمر الله وأمر المسلمين (وولى) (199) في الأمصار والمسلمون له مؤازرون ولحكمه طائعون وحَذَّرَهُ بعض المسلمين أحداث عثمان فقال (200) (الرجز) :

خذها إليك واحذرن أبا حسن   إنا نُمِرّ الحق إمرار الرسن

(مسالة)

فإن زعم أهل الشك والريب أن المسلمين من المهاجرين والأنصار والتابعين لم يرضوا بقتل عثمان وإنما قتله محمد بن أبي بكر 139 في نفر معه وعامة المسلمين كارهون لقتله (قيل) لهم فلم لا يؤازرونه وينصرونه وهو بين أظهرهم لم يقتل غيلة وإنما هو حوصر شهرا أو دونه أم كيف يجعلون عليا أميرا على أنفسهم ولم يشهد بذلك ولم يرض به أم كيف يجوز لعلي أن يصحب قتلة عثمان ولا يقيم عليهم حد الله ورسوله ام كيف جاز له ان يحارب ويمنع من طلب

(193) في الأصل التاغية وهو تصحيف ظاهر .
(194) في الأصل « وكان علي من نقض » والإصلاح من ع ص 230 .
(195) في الأصل « كلمة الخوف وامانه .. » والإصلاح من ع ص 230 .
(196) في الأصل « من » والإصلاح من ع ص 230 .
(197) في الأصل « فلاتبعة » والإصلاح من ع ص 230 .
(198) في الأصل طلحة بن عبد الله والخطا ظاهر .
(199) في الأصل « فولى » والإصلاح من ع ص 230 .
(200) ورد هذا البيت مع أبيات أخرى منسوبة إلى السبئيه في الطبرى IV ، 436و437 .

بدمه بل قد علم أهل البصائر وأولوا الألباب أن المسلمين (201) 94ظ/اجتمع رأيهم على قتله بما استوجب عندهم من بغيه وإحداثه الأحداث ووضعه الأمور في غير مواضعها وقد علم أهل البصائر وأولوا الألباب أن أبا بكر وعمر لم يكونا أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من عثمان (202) وعلي ولم يكن لهما مع المسلمين فضل منزلة إلا بتقوى الله وطاعته (واتباع) (203) أمره فلما خالفا هذين وتركا حكم كتاب الله وخالفا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم خالفهما المسلمون وشهدوا عليهما بما شهد به عليهما كتاب الله وأنزلاهما حيث أنزلا أنفسهما فليتق الله أهل الشك والضلال لا يقذفون المسلمين (بالفرى) (204) والبهتان وقد استبان لكل ذى لب صنيعهما .

(مسألة)

فان زعم أهل الشك أنهم يمنعهم من الشهادة عليهما بفعلهما سابقتهما ومنزلتهما وقربهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنهما في الجنة وأتباعهما في النار (قيل) لهم أن عليا او عثمان قادا الناس إلى طاعتهما فسمع الناس لهما وأطاعوهما وقتل من اتبعهما على مثل دينهما ومنهاجهما ورأيهما فكيف (يكونان) (205) هما في الجنة والأتباع في النار لو كان هذا من حكم البشر لكان جورا فكيف يفترون على ربهم هذا والله أعدل من ذلك بل الأتباع مع القادة والقادة مع أتباعهم ويحمل القادة من أوزارهم وأوزار الذين يضلونهم بغير علم الأساء ما يزرون فليتق الله أهل الشك (ولا يتولوا) (206) على الله95و/ ولا على كتابه ولا على المسلمين إلا حقا .

---

(201) تكررت هذه الكلمة مرتين .
(202) تزوج عثمان بنتي النبي .
(203) في الأصل واتباع اتباع أمره .
(204) وردت في الأصل بالفرا وفي لسان العرب (ف ر و) الفرى جمع فرية وهي الكذبة .
(205) في الأصل فكيف يكونا ووجه الخطأ ظاهر .
(206) في الأصل ولا يقولون والخطأ ظاهر .

الباب التاسع عشر

في خروج طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهما

ولما استقام الناس على علي بن أبي طالب خرج طلحة والزبير مخالفين مشاقين مفارقين للمسلمين بعد أن بايعاه وأعطياه صفقة أيديهما فأتيا عائشة أم المؤمنين (وهي) (207) بمكة فقالا لها إن عليا إستأثر (بهذا الأمر من غير راي) (208) المسلمين ولامشورتهم وإن عثمان قتل مظلوما بعد أن تاب وخدعاها عن رأيها وبصيرتها في عثمان بعد ما كانت تخرج المصحف من حجرها وتقول أشهد بالله لقد كفر عثمان بما في هذا المصحف فلم يزالا بها حتى أخرجاها من بيتها وقالا لها (يجب عليك) (209) أن تقومي وتردي الأمر إلى عامة المسلمين (فيختاروا) (210) لأنفسهم من شاءوا فنحب أن (تسيرى) (211) معنا إلى العراق (وتصلحي بين المسلمين وتَكُفّي بعضهم عن بعض) (212) ويصلح الله أمر هذه الأمة على يديك (ويوفيك الله أجر) (213) ذلك فسارا بها إلى البصرة يطلبان أمر الدنيا وقد شهدا قتل عثمان وبايعا عليا ودخلا فيما دخل فيه المسلمون فلما دخلا البصرة (ومعهما غواة الناس والسواد) (214) وأهل الفتنه وهم (قليلو الفقه والمعرفة بالدين جاهلون) (215) بأمور المسلمين ولحطام الدنيا (طالبون) (216) فلما قدموا البصرة التقتهم طائفة من المسلمين (فناشدوهم

---

(207) غير واضحة بالأصل والتصحيح من ع ص 230 .

(208) في الأصل استاثر هذا الامر من خير .. الإصلاح من ع ص 230 .

(209) في الأصل الا يجب عليك وما اثبتناه من ع ص 230 .

(210) في الأصل فيخارون والإصلاح من ع ص 230 .

(211) في الأصل « تسيرين » والإصلاح من ع ص 230 .

(212) في الأصل « وتصلحين بين الناس وتكفي بعضهم عن بعض » وفوق كلمة بعضهم كلمة أخرى هي بغيهم والتصحيح من ع ص 230 .

(213) في الأصل « يوليك الله أمر ذلك » والتصحيح من ع ص 230 .

(214) في الأصل « ومعها » ولا يصح ثم الشواد والتصحيح من ع ص 230 .

(215) في الأصل وهم قليل الفقه والمعرفة في الدين جاهلين والتصحيح من ع ص 230 .

(216) في الأصل طالبين والخطأ فيه ظاهر .

الله فمال عليهم طلحة 95ظو/الزبير ، وأشياعهما فقتلوا منهم جماعة) (217) فيهم حكيم بن جبلة العبدى (218) مع جماعة من أصحابه ونتفوا لحية عثمان ابن حنيف (219) وكان واليا على البصرة .

ذكر وقعة الجمل

فلما بلغ علي بن أبي طالب ومن معه من المسلمين بالمدينة فعالهما لم يسع علي بن أبي طالب ومن معه من المسلمين الا الخروج إليهم (220) والقيام لله بحقه وإن من نكث فلا دين له فخرج علي ومن معه من المسلمين فلما قدم الكوفة وخرج معه من شاء من الكوفة حتى قدم البصرة (فزحف إليهم الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله في المعركة ومن اتبعهما وبرزوا بأم المؤمنين)(221) على جمل وحمل بعضهم على بعض أعان الله المسلمين فقتل (طلحة بن عبيد الله) (222) في المعركة وقيل تولى قتله مروان بن الحكم 15 وهرب الزبير فقتله عمرو بن جرموز التميمي ثم السعدي (223) من بني مُجاشع بوادي السباع (224) وعقر بأم المؤمنين جملها وقيل عقر بأم المؤمنين جملها رجل من

(217) تكررت هذه الجمل مرتين في الأصل وورد « اشباعهم » عوض أشياعهما وكانت هذه الكلمة غير واضحة في المرة الاولى .

(218) حكيم بن جبلة العبدى عبد القيس صحابي شجاع كان شريفا مطاعا ولاه عثمان السند فلم يستطع دخولها اشترك في الفتنة أيام عثمان وقتل مع علي يوم الجمل (36هـ/656) على أن صاحب الإصابة ينقل كلاما يفيد الشك في صحبته – راجع الأعلام II ،298 الأصابة I ، 379 والاستيعاب I ، 323–326 .

(219) عثمان بن حنيف بن وهب الأنصاري الأوسي ولاه عمر السواد وولاه على البصرة فقدم عليها وقد غلب عليها أصحاب طلحه والزبير وعائشة وفعلوا به ما ذكر فلحق بعلي وشهد معه وقعة الجمل توفي في خلافة معاوية – راجع الأعلام IV ، 365 .

(220) وردت في الاصل عليهم وهو غلط .

(221) في الاصل « فرجف إليهم الزبير » بن العوام وطلحة بن عبد الله في المعركة ومن اتبعهم وبرزوا بأم المؤمنين مع ملاحظة ان « بام » غير واضحة والتصحيح من ع ص 231 .

(222) في الأصل طلحة بن عبد الله .

(223) لم نهتد إلى أكثر مما ذكر عنه .

(224) وادى السباع قال البكرى إنه مكان معروف بالبصره قتل فيه الزبير وقال ياقوت إنه على طريق مكة – راجع معجم ما استعجم III ،715–716 ومعجم البلدان III (8) ص 39 .

بني تميم يقال له عين بن حكيم (225) وأعطى الله المسلمين الظفر على عدوهم فنادى منادي علي وأصحابه ألا من أغلق بابه فهو آمن واستتيب الناس يومئذ من ولاية عثمان وطلحة والزبير ورجعت عائشة تائبة نادمة ولما دخل عليها عمار بن ياسر 22 رحمه الله قال لها أخبرينا عن القتال الذي تقاتلينا أعهد عهد إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم أم رأي رأيتيه من نفسك 96و/فقالت بل رأي رأيته وأنا أستغفر الله وأتوب إليه فكبر المسلمون وقبلوا توبتها وكذلك واجب عليهم أن لا يردوا التوبة على أحد فأظهرت أم المؤمنين توبتها وندمت على ما كان منها ورجعت إلى بيتها فتقبل المسلمون منها وتولوها ولم يغنموا يومئذ مالا ولاسبوا ذرية إلا أن ضعفاء الناس من المسلمين أخذوا سلاحا أصابوه في المعركة فلما هزم الله عدوهم واستتام أمر المسلمين ردوا عليهم ما أخذوا منهم من السلاح وأصيب يومئذ زيد بن صوحان 84 رحمه الله الذي قال فيه نبي الله صلى الله عليه وسلم (تقطع يده في سبيل الله ثم يتبعها سائر جسده) (226) فاستشهد يومئذ رحمه الله ودخل أهل البصرة في طاعة علي بن أبي طالب واجتمع أمر الناس عليه .

---

(225) لم نهتد إليه في المصادر التي بين أيدينا .

(226) لم نهتد إلى هذا الحديث بنصه في المصادر التي بين أيدينا . على أنه ورد ما يفيد معناه في ترجمة زيد بن صوحان في الاستيعاب I ، 540–541 .

الباب العشرون
في خروج معاوية بن أبي سفيان

فلما استقر الأمر لعلي بن أبي طالب خرج معاوية بن أبي سفيان بن حرب (227) بأهل الشام يدعو الناس إلى قتال علي بن أبي طالب و(يزعم) (228) أنه يطالب بدم عثمان وأن عثمان قتل مظلوما وصحبه عمرو بن العاص (229) والتقاه علي يومئذ بالمهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان والتقوا بصفين (230) موضع بالشام فاقتتلوا قتالا شديدا إلى أن كثرت القتلى بينهم وقيل إنه بلغ عدد القتلى سبعين ألفا (وقتل) (231) في ليلة واحدة يقال لها ليلة (الهرير) (232) ثلاثون ألفا ولما كثر القتل في أهل الشام وخاف معاوية 96ظ/أن يستولى القتل على أصحابه استشار عمرو بن العاص في أمره فطلب الحيلة والخدعة (فقال) (233) له عمرو بن العاص علق المصاحف على اطراف أسنة الرماح وكاتب عليا سرا (أن بينك وبيننا حكم كتاب الله) (234) فكتب معاوية إلى علي سرا وطلب منه أن يجعلا حكمين فهما حكما به رضيا أنعم له بذلك فبلغ ذلك عمار بن ياسر 22 رحمه الله فقال جروا الخطام ما انجر (235) .

---

(227) تولى الخلافة من 661/40 إلى 680/60 .

(228) هذه الكلمة ساقطة من الأصل وورد مكانها « وزعم » في ع ص 232 .

(229) من الصحابة ومشاهير الدهاة العرب والقواد وقعت على يديه عدة فتوحات أشهرها فتح مصر كان أعظم رجال معاوية في حروبه ضد علي بن أبي طالب وهو الذي نصحه بالدعوة إلى التحكيم – راجع دائرة المعارف الاسلامية (ط ح) I ، 464 .

(230) صفين بلدة على الفرات بينها وبين النهر مدى رمية سهم اشتهرت بالمعركة الواقعة بها بين علي ومعاوية سنة 37هـ/657م – راجع دائرة المعارف الاسلامية (ط ق) ج IV ص 422–425 .

(231) في الأصل وقيل وظاهر أنه تصحيف .

(232) في الأصل الهزير بزاي وياء وظاهر أنه تصحيف .

(233) في الأصل قال والزيادة من ع ص 232 .

(234) تكررت هذه الجملة مرتين في لأصل .

(235) في مجمع الأمثال للميداني « جروا الخطير ما انجر » والخطير الزمام وذكر أن هذا المثل يروى عن عمار بن ياسر – راجع مجمع الأمثال I ، 159 المثل 24 وفي الأصل « اجروا الخطام ما اجتر »

مقتل عمار بن ياسر 22 رحمه الله

وبلغنا أن عمار بن ياسر 22 قال لعلي إنّ القوم سيقولون بيننا وبينك كتاب الله فقل على ترك كتاب الله قاتلناكم وسيقولون لك تجعل بيننا وبينك حكمين فهما حكما (به) (236) من شيء رضينا به فقل (ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) (237) فإن قالوا نجعل بيننا وبينك مدة نصطلح إلى تلك المدة فقل إن الله قال (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله) (238) وبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لعمار بن ياسر 22 (تقتلك الفئة الباغية وقاتلك وسالبك في النار) (239) وبلغنا أنه يوم بناء مسجد المدينة و(كان) (239م)المسلمون ينقلون حجرا وعمار 22 ينقل حجرين فوقع مغشيا عليه 97و/ وهوناقه من (مرض) (240) كان أصابه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه وجعل يمسح عن وجهه التراب (ويقول) (241) (ويح ابن سمية تقتله الفئة الباغية وقاتله وسالبه في النار) (242) وبلغنا أنه قال له (آخر عهدك بالدنيا شربة من ضياح)(243) وباغنا أنه صلى الله عليه وسلم مربعمار 22 والمشركون يعذّبونه فقال له (ابشر يا ابن ياسر بالجنة) (244) وبلغنا أنه قال لهم (مالكم ولعمار يدعوكم إلى الجنة وتدعونه

(236) ساقطة من الأصل والزيادة من ع ص 232 .
(237) سورة المائدة 50 .
(238) الحجرات 9 .
(239) ورد هذا الحديث مع تغيير يسير في الطبرى VI ، 39 و41 ووقعة صفين 341 و343 و344
(239م) سقطت هذه الكلمة من الأصل والسياق يقتضي زيادتها .
(240) في الأصل من المرض .
(241) هذه الكلمة ساقطة من الأصل والتكملة من ع ص 232 .
(242) ورد هذا الكلام مع اختلاف يسير في الطبرى IV ، 39 ووقعه صفين 341 و342 و343 .
(243) في اللسان الضياح لبن خاثر يصب فيه الماء ثم يخلط وفي حديث عمارأن « آخر شربه تشربها ضياح والضياح والضيح اللبن الخاثر يصب فيه الماء ثم يخلط» رواه يوم قتل بصفين وقد جيء بلبن فشربه لسان العرب مادة (ض ي ح) .
(244) في الإصابة II ، 505 أن النبي مر بآل ياسر وهم يعذبون فقال لهم صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة .

إلى النار) (245) وبلغنا أن حذيفة بن اليمان (246) خرج يوما (ومعه) (247) بعض من يتبعه ويتعلم منه فقال له حذيفة كيف أنت إذا اقتتل الشيطان والقرآن قال له تلميذه فما تأمرني به جعلني الله فداك ؟ قال حذيفة آمرك أن تتبع القرآن ثم سكت فقال حذيفة أما تسألني (بم تامرني) (248) إذا اقتتل أهل القرآن فقال له الرجل بم تأمرني جعلني الله فداك ؟ قال آمرك أن تتبع ابن سمية 22 فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (حشا الله قلبه وسمعه وبصره إيمانا فلا يعرض له حق إلا أخذ به ولا باطل إلا تركه) (249) وبلغنا أن حذيفة (246) كان يقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول (اقتدوا بالذين من بعدي وعليكم بهدي عمار وابن أم عبد) (250) يعني عبد الله بن مسعود 24 رحمه الله وبلغنا أن عليا بعث إلى عمار بن ياسر22 أن يقسم على 97ظ/ ربه أن يهزم عدوهم وقد شرب الشربة التي وعده رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها آخر (عهده بالدنيا) (251) فقال له عمار (252) (مجزوء الرجز) :

اليوم ألقى الأحبه محمدا وحزبه

هذا اليوم الذي وعدني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن القاه فيه وبلغنا أن عمارا قال لأصحابه أين الرائح إلى الجنة قبل تحكيم الحكمين اليوم تزينت الحور العين يا قوم ردوا الماء قبل الظماء فإني رأيت الجنة تحت البارقة لنضربنهم اليوم ضربا يرتاب منه المبطلون والذي نفس عمار بيده لو ضربونا حتى يبلغوا

(245) لم نهتد إلى هذا الحديث في المصادر التي بين أيديينا .

(246) حديفة بن اليمان صحابي كان صاحب سر النبي ولاه عمر المدائن فأحسن السيرة وغزا بعض المدن توفي سنة 36هـ/656م – راجع الأعلام II ، 180 والاستيعاب I ، 276–277 .

(247) سقطت من الأصل والتكملة من ع ص 233 .

(248) سقط هذا من الأصل وهي زيادة يقتضيها السياق .

(249) لم نعثر على هذا الحديث في المصادر التي بين أيدينا .

(250) ورد هذا الحديث في الجامع الصغير مع بعض الاختلاف الجامع الصغير II ص56 رقم 1318 وكذلك في الإصابة II 506 .

(251) في الاصل « عهد من الدنيا » .

(252) ورد هذا الرجز في الطبرى IV ، 39 .

بنا (سعفات) (253) هجر (254) لعلمنا أنا على الحق وأنهم على الباطل ثم قال هل من رائح إلى الجنة قبل تحكيم الحكمين وبلغنا أنه عاتب عليا وقال له (أشككنا في ديننا وارتددنا عن بصائرنا (255) لنحكم عدونا في ديننا ودمائنا فهلا كان ذلك قبل وضع السيف وقبل قتل طلحة والزبير (وهما يدعوانك إلى ذلك فأبيت وقلت إني على الحق (دونكما) (256) فإن كان القوم كفرة مشركين فليس لنا أن نرفع عنهم السيف حتى يعطو الجزية عن يد وهم صاغرون وإن كان القوم بغاة فليس لنا ان نرفع عنهم السيف حتى يفيئوا إلى أمر الله) ثم قال والله ما أسلموا ولا أدوا جزية ولا فاءوا إلى أمر الله ولا وضعت الحرب أوزارها ثم إن (عمارا) (257) خرج هو ومن معه من المسلمين إلى حرب معاوية فقاتل هو وأصحابه حتى استشهدوا رحمهم الله واستشهد معه كما بلغنا 98و/ خمسة وعشرون رجلا من المهاجرين والأنصار وفيهم ابنابديل (258) وخزيمة ابن ثابت الأنصاري (259) ذو الشهادتين رحمهم الله وغفر لهم .

---

(253) في الأصل شعفات والتصحيح من الطبرى V ص 38 ومن لسان العرب وقد جاء فيه «والسعف اغصان النخلة وقيل السعفة النخلة نفسها ومنه حديث عمار لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر ... » راجع لسان العرب مادة (س ع ف) في ج XI ص 52 .

(254) هجر مجموعة من الواحات تقع اليوم شرقي السعودية وتسمى اليوم بالاحساء وهي مشهورة بوفرة تمورها وجودتها – راجع دائرة المعارف الاسلامية (ط ح) ج III ص244–245 .

(255) في الأصل « وارددتنا عريضا » والتصحيح من ع ص 233 .

(256) في الأصل وهم يدعونك .. دونكم وهو خطأ ظاهر والنصحيح من ع ص 233 ما عدا «دونكما» وقد ورد عوضها دونهم في ع 233 .

(257) في الأصل عمار وهو خطأ ظاهر .

(258) يريد عبد الله ومحمد بني بديل بن ورقاء راجع 124و140 .

(259) خزيمة بن ثابت الأوسي الأنصاري من الأشراف في الجاهلية والإسلام قتل مع علي يوم صفين سنة 657/37 – راجع الأعلام III ،35 والاستيعاب I ، 416 و417 وطبقات ابن سعد IV (2) ص 90 و IV ، 33 .

فصل في شأن الحكمين أبي موسى الأشعري (260) وعمرو بن العاص 229

ولما (أتي) (261) برأس عمار 22 إلى معاوية عرف الناس أن قتاله على الملك والدنيا وأنه لا يقاتل على دين وقال له عمرو بن العاص يامعاوية أبعدَ رأس(261م) عمار (12) تقاتل أهل الدين لأفسدن عليك أمرك أو تجعل لي مصر مأكلة فبلغنا أن معاوية (استشار بعض أصحابه فيما طلب) (262) إليه عمرو بن العاص 229 فرد عليه شعرا فقال (الرمل) (263)

أعطه مصر وزده مثلها   إنما مصر لمن عز وبز
أن مصرا لعلى أولنا   يغلب الآن عليها من عجز

فزعموا إن معاوية جعلها له مأكلة ليس (له) (264) عليها سلطان ولا يملك منها شيئا وأعطاه على ذلك العهد ولما أصيب عمار ومن معه ارتاب المبطلون وأراد الله أن يمحص الذين آمنوا ويمحق الكافرين (وتفرق) (265) الناس وتراجعوا ورجع علي إلى الكوفة ومعاوية إلى الشام ولبثوا ما شاء الله أن يلبثوا ثم إن عليا جعل يكاتب معاوية سرا ومعاوية يكاتب عليا سرا من دون المسلمين فكتب (علي) (266) إلى معاوية « من علي أمير المؤمنين إلى معاوية » فكتب إليه

---

(260) أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري صحابي ولد سنة 8ق‌ه/614 وأسلم سنة 7ه/628 ولي الكوفة والبصرة لعمرو عثمان وساهم في فتح فارس والجزيرة وعينه علي نائبا عنه في التحكيم فكان من امره ما هو معروف واعتزل بعد ذلك السياسة وقد اشتهر بجودة قراءته ومصحفه راجع دائرة المعارف الاسلامية (ط ح) ج I ص 716–717 .

(261) في الأصل و لما اوتي وما أثبتنا أصح .

(261م) لم ترد في الأصل وبها يتم المعنى

(262) في الأصل أن معاوية أشار على بعض اصحابه بما طلب ولا يستقيم له معنى وقد استعنا في تصويب هذه العبارة بما ورد في ع ص 234 فبلغنا أن معاوية استشار بعض خواصه فأشار عليه أن يعطيه وقال سعد يشير عليه .

(263) لم نهتد إلى هذين البيتين وقد نسبا في ع ص 234 إلى سعد إذ قال وقال سعد يشير عليه .

(264) في الأصل لمعاوية وما أثبتناه من ع ص 234 .

(265) سقط حرف العطف من الأصل والتكملة من ع ص 234 .

(266) سقطت هذه الكلمة من الأصل والتكملة من ع ص 234 .

معاوية « لو أعلم أنك أمير المؤمنين لم أقاتلك فامح اسم أمير 98ظ/المؤمنين » ففعل علي ذلك فلما بلغ المسلمين ذلك قالوا له يا علي ما حملك أن تخلع نفسك من اسم سماك به المسلمون ألست أمير المؤمنين ومعاوية أمير الكافرين فتب مما صنعت فتاب من ذلك ثم أن معاوية جعل (يكاتبه سرا في تحكيم الحكمين فمهما حكما به رضياه حتى رضي) (267) علي واختار من جنده أبا موسى الأشعري (260) واختار معاوية عمرو بن العاص 229 شانيء رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن عمرا (كان هجا النبي صلى الله عليه وسلم بتسعين بيتا)(268) من الشعر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اللهم إني لا أحسن الشعر ولا ينبغي لي فالعنه بكل بيت لعنة) (269) فرضي علي بحكومته وترك حكم الله وكتابه فلعمري لئن كانت الحكومة عدلا وصوابا لقد هلك علي بسفكه الدماء قبلها وكان معاوية أحق بالعدل لأنه الداعي إليها ولئن كانت الحكومة خطأ وضلالا لقد هلك علي بدخوله فيها فأي الأمرين كان (فما) (270) لعلي مخرج وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (سيكون في أمتي حكمان ضالان مضلان يضلان ويضل من اتبعهما) (271) .

---

(267) في الأصل « يكاتب سرا في تحكيمهما الحكمين فمهما حكما رضياه ورضي به علي فمهما اختار .. » وفي ع ص 235 جعل يكاتبه سرا في تحكيم الحكمين حتى رضي بذلك وقد حاولنا التوفيق بين النصين .

(268) في الأصل « كان هجاء النبي صلى الله عليه وسلم بتسعين بيتا » وفي ع ص 235 انه هجا النبي بسبعين بيتا .

(269) لم نهتد إلى تخريج هذا الكلام المنسوب للنبي .

(270) في الأصل « فلا لعلي مخرج » والتصحيح من ع ص 235 .

(271) لم نهتد إلى هذا الحديث في المصادر التي بين أيدينا .

الباب الحادي والعشرون

في خروج أهل النهروان (272) رحمهم الله وغفر لهم

فلما علم بذلك المسلمون وتحققوا منه الحكومة وراجع إليها بعد التوبة فارقوه (وخرجوا) (273) محكمين الله تعالى وهم سيارة الله في 99و/الأرض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فخرجوا من عنده ونزلوا أرضا من أرض الكوفة يقال لها حرروا (274) فاجتمع فيها يومئذ عشرة آلاف من خيار الصحابة ورؤساء المسلمين (وفقهائهم وقرائهم وعلمائهم فيهم) (275) يومئذ عبد الله بن وهب الراسبي الأزدي (276) وهو أول إمام عقدوه وفيهم حرقوص بن زهير السعدى (277) وزيد بن حصن الطائي (278) وحمزة بن سنان الأزدي (279) وشريح بن أوفى العبدى (280) وعبد الله بن سرح الأزدي

---

(272) بلدة بين بغداد وواسط اشتهرت بالمعركة التي وقعت فيها بين علي والخوارج سنة 658/38 — راجع دائرة المعارف الاسلامية (ط ق) ج III ، 894 .

(273) في الأصل « وخرجوا منه » .

(274) بلدة قريبة من الكوفة تجمع بها الذين لم يرضوا بالتحكيم وبايعوا عبد الله بن الكوا اليشكري إمام صلاة وشبث بن ربعي التميمي ثم عبد الله بن وهب الراسبي إمام حرب — راجع دائرة المعارف الاسلامية (ط ح) ج III ص 242و243 .

(275) في الأصل « وفقهاءهم وقراؤهم وعلماؤهم فهم يومئذ » والتصحيح من ع ص 235 .

(276) عبد الله بن وهب الراسبي تابعي مشهور بتقواه — غزا تحت إمارة سعد بن أبي وقاص وحارب مع علي بصفين ثم انفصل عنه وبايعه الخوارج أميرا عليهم سنة 658/37 وقتل في معركة النهروان سنة 658/38 — راجع دائرة المعارف الاسلامية (ط ح) ج I ص 56 .

(277) حرقوص بن زهير السعدى صحابي كان على رأس البصريين الذين حاصروا عثمان ثم انحاز إلى الخوارج وقتل يوم النهروان ويرى بعض المترجمين أنه ذو الخويصرة أو ذو الثدية الوارد في شأنهما بعض الأحاديث التي تفيد أنهما يقتلان على الباطل وأنهما من أهل النار — راجع دائرة المعارف الاسلامية (ط ح) ج III ص 603—604 .

(278) ذكر ابن حجر في الإصابة عن الهيثم بن عدى أن حمزة كان عاملا لعمر بن الخطاب على حدود الكوفة ثم ذكر عن غيره أنه من الخوارج وعقب قائلا « وقد قدمت غير مرة أنهم كانوا لا يؤمرون إلا الصحابة » راجع الإصابة I ص 547 .

(279) لم نهتد إليه فيما بين أيدينا من المصادر .

(280) في الطبري IV .493و494 و V . 75و85و87 أنه شريح بن أوفى العبسي ويبدو أنه من ذوى الرأي في الخوارج .

السلمي (281) وجماعة من المهاجرين والأنصار (واجتمعوا) (282) في بيت عبد الله بن وهب الراسبي 276 فعرضوا الإمامة على حرقوص بن زهير 277 فأبى فعرضوها على عبد الله بن وهب الراسبي 276 بعد أن (تناجلوها) (283) بينهم فقال هاتوها أما والله لا آخذها رغبة في الدنيا ولا أدعها فرارا من الموت فبايعوه وجعل الموعد بينهم (النهروان ولما علم علي بنزولهم ذلك بعد اجتماع الحكمين بدومة الجندل (284) (بتسعة وأربعين) (285) يوما أرسل إليهم علي قوما يطلبون منهم الرجوع إليه وذلك أنهم لما فارقوه وخرجوا من عسكره فَقَدَهُم فقال مالي لا أسمع قراءة القرآن كما كنت أسمعها من قبل قيل له قد خرج أصحابها من عسكرك فلما بلغ معاوية خروج أهل النهروان 272 من عسكر علي كتب إلى علي « أنه قد بلغني أن طائفة من عسكرك خالفوك وخرجوا من عسكرك وقد تعلم أن (الأمر بيننا لا يتم إذا كان لنا منازع فإن كان 99ظ/ ذلك منهم عن غير رأيك وأحببت أن أكفيكهم) (286) فعلت فأراد علي أن (يولي ذلك معاوية فأشار عليه) (287) أهل رأيه وقالوا إن صار معاوية يدخل عليك في بلادك ويقتل اصحابك قوي عليك ولكن عاجل القوم وبادرهم قبل اجتماعهم من الأمصار .

---

(281) لم نهتد إليه في المصادر التي بين أيدينا .

(282) وردت هذه الكلمة مكتوبة مرتين في الأصل .

(283) هكذا وردت وفي اللسان مادة (ن ج ل) وقد تناجل القوم بينهم إذا تنازعوا .

(284) واحة على الطريق الرابطة بين دمشق والمدينة اجتمع بها الحكمان وتشير المصادر إلى أنهما اجتمعا في أذرح ولعلهما اجتمعا مرتين في دومة الجندل وأذرح – راجع دائرة المعارف الاسلامية (ط ح) ج II ص 640–641 .

(285) في الأصل « بعد اجتماع الحكمين تسعة واربعين يوما » بدون الباء وفي ع ص 235 « بسبعة واربعين يومـا » .

(286) في الأصل وقد تعلم ان الامور بيننا لا تتم إذا كان له منازع فان كان ذلك بينهم من غير رايك واحببت اكفيكهم » والإصلاح من ع ص 236 ما عدا قوله له منازع فقد رأينا ان السياق يقتضي ما أثبتنا .

(287) في الأصل واراد أن يولي ذلك بينهم معاوية وفي ع ص 236 فاراد علي أن يولي معاوية قتال أهل النهروان وقد وفقنا بين النصين للتصويب .

التقاء الحكمين : ثم إن الحكمين اجتمعا بدومة الجندل (فخلع) (288) أبو موسى الأشعري 260 صاحبه علي بن أبي طالب وثبت عمرو بن العاص 229 صاحبه معاوية بن أبي سفيان (فلما علم ذلك علي ندم على ما فعل) (289) وكتب إلى أهل النهروان (يطلبهم) (290) لحرب معاوية والرجوع إليه .

كتاب علي بن أبي طالب إلى أهل النهروان 272 :

بسم الله الرحمان الرحيم من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى زيد بن حصن 278 وعبد الله بن وهب 276 ومن معهما من المسلمين سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إلاه إلا هو أما بعد فإن الحكمين نبذا كتاب الله وراء ظهورهما وحكما بغير ما أنزل الله فبرىء الله منهما ورسوله (وأنا) (291) منهما برىء فهلموا نعطكم الرضا ونرجع إلى الأمر الأول الذي طلبتموه مني ونقاتل عدونا وعدوكم حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين والموعد بيننا وبينكم نجران (292) إن شاء الله .

فكتبوا إليه جوابه : وبدأوا في كتابهم بعبد الله بن وهب الراسبي 276 رحمه الله وهو :

بسم الله الرحمان الرحيم 100و/من إمام المسلمين عبد الله بن وهب الراسبي 276 وزيد بن حصن 278 ومن معهما من المسلمين إلى علي بن أبي طالب الخالع لنفسه سلام على من اتبع الهدى وتجنب متالف الردى أما بعد

(288) في الأصل فجعل فخلع .
(289) في الأصل فلما علم ذلك ندم علي على ما فعل .
(290) في الأصل وطلبهم لحرب معاوية وما اثبتناه من ع ص 236 .
(291) كلمة غير واضحة كل الوضوح في الأصل .
(292) اسم جهة ومدينة في شمال اليمن أو جنوب نجد وقد اشتهرت المدينة بأنها مركز نصراني في الجاهلية – ورودها في هذا السياق غريب – راجع دائرة المعارف الاسلامية (ط ق) ج III ص 880–882 .

فإنا نحمد الله الذي لا إلاه إلا هو وبلغنا كتابك تذكر فيه أن الحكمين نبذا كتاب الله وحكما بغير ما أنزل الله وقد علمنا فالحمد لله أن أمرهما كان مخالفا للحق من أوله وأنت بتحكيمك إياهما أعْظَمُ جرما منهما وذكرت أنك ترجع إلى الحق وتعطي الرضا وترجع إلى الأمر الأول فلسنا نرد عليك توبتك فإن كنت صادقا فادخل فيما دخل فيه المسلمون من طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة إمام المسلمين عبد الله بن وهب الراسبي 276 فقد بايعناه بعد خلعنا إياك لاستحقاقك منا أن نخلعك ولا يسعنا إلا ذلك والسلام .

الباب الثاني والعشرون

في مناظرة المسلمين مع ابن عباس رضي الله عنه وعنهم

فعند ذلك أرسل علي بن أبي طالب إليهم عبد الله بن عباس رضي الله (عنه) (293) وطلب منهم الرجوع فقالوا له إن صاحبك ترك اسم أمير المؤمنين وطلب الحكومة وخلع سربالا ألبسه الله إياه فقال ابن عباس رضي الله عنه (أما علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عاهد أهل مكة ومشركي العرب عام الحديبية 294 حين صده المشركون عن المسجد الحرام وبما حرم إلى المدة التي سماها فيما بينهم من ترك القتال والدماء) (295) فاما 100ظ/ما ذكرتم من خلعه نفسه من اسم أمير المؤمنين فقد فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كتب الكتاب لقريش وأملاها رسول الله صلى الله عليه وسلم «هذا ما قضى به (296) محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فقال المشركون لو علمنا أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خالفناك فابوا ذلك فكتب من محمد ابن عبد الله واما ما ذكرتموه من الحكومة وأنها لا تجوز له فقد قال عز من قائل (يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة) (297) وقال عز من قائل (فإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما) (298) قالوا يا ابن عباس قد سمعنا

---

(293) في الأصل عنهم .

(294) الحديبية قرية على مرحلة من مكة اشتهرت بالصلح الذي وقع فيها بين المسلمين وأهل مكة في ذي القعدة سنة 6ﻫ/628 — راجع دائرة المعارف الاسلامية (ط ح) ج III ص 557–558 .

(295) هكذا ورد هذا الكلام وهو غير تام ويمكن قراءته على الوجه الآتي : اما علمتم عن رسول الله ... وبحذف الواو في وبما حرم .

(296) هكذا ورد في الأصل وفي رواية في تاريخ الطبرى « هذا ما قاضى عليه محمد وهو اصح » راجع الطبرى II ص 636 وفي ع ص 237 هذا ما قاضى به ...

(297) سورة المائدة 95 (جزء منها) .

(298) سورة النساء 35 .

قولك والذي أرسلت به واحتجاجك فنذكرك الله لما سمعت حجتنا وفهمت عنا قولنا ثم كنت عدلا بيننا وبين من أرسلك قال اللهم نعم قالوا (أخبرنا) (299) عن قتل الصيد وهو (محرم هل) (300) يسعه أن يحكم في الصيد (من دينه) (301) استحلال قتل الصيد (وهو محرم ويستحل قتل الصيد في الحرم قال لا قالوا وكيف وسع عليا أن (302) يحكم في دين الله من يدين باستحلال (ما حرم)(303) الله من دماء المسلمين ويحرم ما أحل الله من قتال الفئة الباغية ومن يدين بولاية من عادى الله ورسوله وبعداوة أولياء الله ويدين بخلاف ما عليه 101و/المسلمون من الحق الذي هم عليه وفارقوهم على خلافه فوالله لو كانت الحكومة عدلا لكان علي قد ترك الحق بتحكيمه في دين الله من يدين بخلاف دين الله (فيما) (304) استحل من قتل المؤمنين وسفك دمائهم (وما حرم من قتال الفئة الباغية مع ما يدين به من) (305) ولاية من عادى الله ورسوله وعداوة أولياء الله على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والله سبحانه وتعالى يقول (ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) (306) ثم قالوا نذكرك الله يا ابن عباس هل تعلم أن أبا موسى 260 كان شاكا في قتال الفئة الباغية يحرم ما أحل الله من قتال الفئة الباغية (مع ولاية من يدين بتحريم قتال الفئة الباغية) (307) ويخذل الناس عن القتال قال اللهم نعم قالوا إن عليا حكم فيمن قتل الصيد وهو محرم من يعلم أنه لا يحرم قتل الصيد على من قتل الصيد

(299) في الأصل احبرنا .
(300) كلمتان غير واضحتين في الأصل .
(301) كلمة غير واضحة في الأصل .
(302) أكثر هذه الكلمات غير واضحة بالأصل .
(303) كلمة غير واضحة في الأصل .
(304) في الأصل فما استحل والتصحيح من ع ص 237 .
(305) في الاصل « وما حرم من قتل الفئة الباغية مع ولاية من يدين به من ولاية من عادى الله والتصحيح من ع ص 237 .
(306) في الأصل (ومن يتبع) والإصلاح من المصحف سورة النساء 115 وراجع أيضا 100 .
(307) في الأصل مع ولاية من يدين به يحرم ما احل الله من الفئة الباغية ... والتصحيح من ع ص 237و238 .

في الحرم ولا يحرم على من قتل الصيد وهو محرم (فكان تحكيمه من كان هذا أمره وصفته على هذا الوجه ضلالا وإذ حكم شاكا مرتابا فيما حكم الله به من تحريم قتل الصيد في الحرم إذا كان محرما ولو كانت الحكومة جائزة لضل بتحكيمه من هذا أمره وصفته ولو كانت الحكومة عدلا لكان بتحكيمه) (308) من يستحل قتل المؤمنين ويعاديهم ويكفر بدينهم (حرم ما أحل) (309) الله للمؤمنين من قتال من بغى عليهم واتبع سبيلا غير سبيلهم وأبى 101ظ/أن يقر بحكم القرآن فيما خالفوه فيه فنذكرك الله يا ابن عباس هل تعلم أن عمرو بن العاص 229 استحل ما حرم الله من دماء المؤمنين وحرم ما أحل الله من قتال من بغى على المسلمين وتولى من عادى الله وعادى المسلمين ومن دان بدينهم وما هم عليه من الحق (ومن) (310) قتال أهل البغي فقال اللهم نعم قد خصمتم عليا بهذا وقولكم الحق ثم قالوا أما ما ذكرت من قول الله (فإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما) فأخبرنا عن رجل من المسلمين عنده يهودية أو نصرانية فكان بينهما اختلاف ومنازعة هل ينبغي له ولمن حضره من المسلمين أن يدعوا اليهود والنصارى (وأن يحكموهم فيما هم) (311) كافرون به من أحكام المؤمنين قال لا قالوا كيف حكم علي عمرو بن العاص 229 وهو يكفر (بما حكمه فيه) (312) ويستحل ما حرم الله من دماء المسلمين (ويدين بغير دينهم ويوالي من عادوا

(308) في الأصل لكان بتحكيمه من هذا امره وصفته على هذا الوجه ضلالا إذ حكم شاكا مرتابا فيما حكم الله به من تحكيم قتل الصيد في الحرم إذا كان محرما لضل بتحكيمه من هذا أمره وصفته» وقد استعنا للإصلاح بما ورد في ع ص 238 وهو «كان بتحكيمه من هذا أمره وصفته على هذا الوجه ضلالا إذ احكم شاكا مرتابا فيما حكم الله من تحكيم قتل الصيد في الحرم إذا كان محرما فتحكيم من هذا أمره وصفته لو كانت الحكومة جائزة لكان بتحكيم من استحل قتل المسلمين

(309) في الأصل وحرم بحكومته ما حرم الله والتصحيح من ع ص 238 وفيه «وحرم بحكومته ما أحل إليه .

(310) في الأصل بدون حرف العطف والزيادة من ع ص 238 .

(311) كلمة غير واضحة بالأصل والتكملة من ع ص 238 مع زيادة الواو .

(312) هل المقصود أن عمرا كافر بما ورد في القرآن ؟

ويعادى من والوا) (313) فنذكرك الله هل يسع عليا هذا قال لا يجوز هذا لمن فعله ولا يسعه قالوا أما ما ذكرت من أمر الموادعة والقضية التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين فإنها كانت منازل ونقل عنها منزلة منزلة (وكل منزلة) (314) نقل الله نبيه عنها وأمره بغيرها حرم عليه الإقامة عليها وحرم على المسلمين أيضا أن يقيموا على ما نقله عنه من ذلك القبلة التي كانت إلى بيت الله المقدس نقل الله نبيه والمؤمنين 102 و/عنها باستقبال البيت الحرام ومثل الخمر كانت حلالا ثم حرمها الله نهى الله (عنها نهيين) (315) تأديبا ثم أتبعهما نهي تحريم وكل ذلك من نعمه وطوله ومنته على نبيه صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين وكذلك (أمر فداء أهل بدر) (316) وما كان من ذلك ففاداهم النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن في فداهم أمر ولا نهي ولا وعيد وقال الله فيما فعلوا من ذلك بغير أمر منه (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) (317) وقد كان سبق من الله العفو عنهم والمغفرة لهم فيما فعلوا وقال بعض المفسرين سبق من الله أن لا يعذب أحدا إلا بعد بيان وقالوا سبق من الله لهذه الإمة أن يحل لهم الغنائم من عدوهم إذا حاربوهم وقاتلوهم ثم أنزل الله على نبيه بعد ذلك في براءة تحريم معاهدة المشركين فقال (براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزى الله وأن الله مخزي الكافرين واذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم . إلا الذين عاهدتم من المشكين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم

(313) في الأصل وتدين بغير دينهم ونوالي من عادوا ونعادى من والوا ووقع الإصلاح بالاستعانة بما ورد في ع ص 238 .

(314) كلمتان ساقطتان من الاصل والتكملة من ع ص 238 .

(315) في الأصل عنها أول نهيين تأديبا .

(316) في الأصل وكذلك من فدا أهل بدر والتصحيح من ع ص 238 .

(317) الأنفال 68 .

يظاهروا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين .. فإذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم 102 ظ/ واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم وإن أحد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) (318) فجاءت براءة بنقض كل عهد وتحريم أمان المشركين وقتلهم حيثما وجدوا وحصرهم والقعود لهم بكل مرصد وتحريم الجنوح إليهم ولا يقبل منهم إلا الدخول في الإسلام والإقرار به والجزية (من أهل الكتاب) (318) ولم يحل لنبيه أمان أحد منهم إلا من استجار به حتى يسمع كلام الله فإذا سمع كلام الله ولم يؤمن أبلغه مأمنه ثم قال (يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) (319) فليس لأحد أن يقيم على ما نقل الله نبيه (عنه من) (320) معاهدة المشركين وحرم ذلك في براءة فما حجة صاحبك علينا فيما نقل (الله) (321) نبيه والمؤمنين عنه وحرم عليه ذلك في براءة فإن جوز في ذلك (فليرجع) (322) إلى قبلة بيت المقدس فليستقبله وإلى جميع ما وصفنا مما نقل النبي عنه (وقد) (323) علمتَهُ انت ثم قالوا يا ابن عباس نذكرك الله هل تعلم أن الذي احتج به صاحبك علينا منتقض أو غير جائز في الدين قال اللهم نعم ثم قالوا يا ابن عباس ألست تعلم أن الله قال في كتابه (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم 103و. بهما رأفة في

(318) التوبة 1–6 .

(318) سقطت هذه العبارة من الأصل والتكملة من ع ص 239 .

(319) سورة التوبة جزء من الآية 28 .

(320) في الأصل ما نقل الله نبيه من معاهدة المشركين وقد صححنا بالاعتماد على ما في ع ص 239 وفيه نبيه عنه فما حجة صاحبك .

(321) الكلمة غير واضحة بالأصل .

(322) الكلمة غير واضحة بالأصل والتصحيح من ع ص 239 .

(323) حرف العطف ساقط من الأصل وفي ع ص 229 « فقد علمته » .

دين الله) (324) ثم قال (السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله) (325) قال اللهم نعم (قالوا) (326) فهل تعلم أن قتال الفئة الباغية حد من حدود الله علمه عباده كما (علمهم) (327) جلد الزاني والزانية وقطع يد السارق والسارقة قال بلى قالوا فأخبرنا عن زان زنى وسارق سرق فقامت عليه بينة بسرقته فأراد إمام المسلمين أن يقيم ذلك الحد عليه وامتنع عن ذلك وأبى أن يقر بحكم الله وقامت(طائفة من الناس) (328) يمنعونه من إقامة ذلك الحد عليه وامتنع (بهم) (329) أليس قد أحل الله قتالهم قال بلى قالوا (329م) فإن المسلمين قاتلوهم حتى قتلت القتلى بينهم ثم (إنهم بعد ذلك) (330) دعوا المسلمين أن يبعثوا حكما منهم وحكما من المسلمين فما اجتمع عليه رأيهما (330م) أنفذوه وأمضوه وسلموا له أيسع المسلمين قبول ذلك ممن دعاهم إليه ، فان حكما بالظلم وتعطيل الحدود أكان على المسلمين قبول ذلك منهما والرضى به والتحريم لقتال من عطل الحدود ودان بتعطيلها قال اللهم (لا يسع) (331) ذلك من فعله قالوا كيف يسعنا أن نحكم في دين الله من يدين بتعطيل الحدود وبتحريم ما (أحل) (332) الله من قتال الفئة الباغية وإنما قتال الفئة الباغية حد من حدود الله كما حكم في السارق والزاني (وكل ما) (333) حكم الله فيه فليس للعباد التخيير فيه قال الله (وأن احكم بينهم بما أنزل الله إليك ولا تتبع اهواءهم

---

(324) سورة النور جزء من الآية 2 .
(225) سورة المائدة 38 .
(326) في الأصل قال .
(327) في الأصل كما علموا .
(328) في الأصل وقامت طائفة من المسلمين الناس .
(329) في الأصل بـه .
(329م) في الأصل قالوا والإصلاح من ع ص 239 .
(330) في الأصل ثم انه بعد ذلك دعوا .
(330م) في الأصل رأيهم
(331) في الأصل اللهم نعم لا يسع ذلك من فعله والتصحيح من ع ص 239 .
(332) في الأصل ما أخل بالخاء المعجمة .
(333) في الأصل وكلما بفتح اللام المشددة .

واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله إليك فان تولوا 103ظ/فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون أفحكم الجاهلة يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) (334) وقال (أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا) (335) وقال (إن الحكم إلا لله أمر ألاّ تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (336) (فأما ما جعل) (337) حكمه إلى الرجال ولم يكن منه حكم معلوم ولا من النبي صلى الله عليه وسلم سنة معروفة فالحكم في ذلك إلى من جعله الله إليه وهم عدلاء)(338) المسلمين وأما ما حكم الله به ولم يجعل لأحد فيه الخيرة كما قال الله تبارك وتعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) (339) وقال (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) (340) فكيف يحكم في دين الله من لم يحكم الله ورسوله ووجد في نفسه حرجا مما قضى الله ورسوله وأبى أن يسلم لحكم الله تسليما واستحل قتل من حكم الله ورسوله ولم يجد في نفسه حرجا مما قضى الله ورسوله (وسلم لحكمهما) (341) تسليما وان معاوية وعمرو بن العاص 229 أبيا أن يسلما لحكم الله ورسوله قال اللهم نعم قالوا يا ابن عباس إن كان 104 و/معاوية وعمرو بن العاص 229 (سلما لحكم الله ورسوله وما أنزل الله من القرآن) (342)

---

(334) سورة المائدة 49—50 وقد سقط من الأصل قوله «ولا تتبع .. اليك» والتصحيح من المصحف

(335) سورة الأنعام 114 (جزء من الآية) .

(336) سورة يوسف 40 (جزء من الآية) .

(337) في الأصل « فاما من ثم كلمة غير واضحة والتصحيح من ع ص 240 .

(338) ظاهر أنه يقصد بالعدلاء من المسلمين العدول منهم والذي في اللسان (مادة عدل) أن عدلاء جمع عدل وهو المثل .

(339) سورة الأحزاب 36 .

(340) سورة النساء 65 .

(341) سقط هذا من الأصل وفي ع ص 240 وسلم امرهما تسليما .

(342) في الأصل «ان كان معاويه وعمرو بن العاص ابيا ان يسلما لحكم الله ورسوله قال، للهم نعم وما أنزل الله من القرآن» مع شطب قوله «ورسوله قال اللهم نعم» والخطأ ظاهر والتصحيح من ع ص 240 .

ورجعا عما كانا عليه وفاءا إلى أمر الله ورجعا إلى دين المسلمين فالحق علينا أن نقبل (منهما ونتولاهما) (343) على ذلك لأن الله أمر بقتال الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله فإذا فاءوا إلى أمر الله قبل ذلك منهم ولم يسع أحدا رد ذلك عليهم فأما (أن نحكم الرجال) (344) فيما قد فرغ الله من الحكم فيه (ولو حكموا بنقض ما جاء من الله وأن ننتقل) (345) عما نحن عليه من البينات إلى الضلال والعمى والترك لحكم الله والإيمان الذي (نحن) (346) عليه حتى (نستحل ما حرم ونحرم ما أحل الله ونوالي من كنا نعاديه بدين وفريضة ونعادي من كنا (347) نواليه بدين الله وبحكم كتاب الله وما افترض علينا من ولاية من أقر بديننا فمعاذ الله أن نفعل ذلك إن شاء الله حتى تذهب أنفسنا أو نظهر على عدونا فقال ابن عباس اللهم (هذا) (348) هو الحق قالوا ألست تعلم أن فيما شرط علي ومعاوية كل واحد منهما على صاحبه أن أيما رجل أحدث حدثا من أصحاب علي ودخل في دين معاوية وحكمه فليس لعلي إقامة الحد عليه لدخوله في دين معاوية وكذلك ايما رجل (349) من اصحاب معاوية احدث حدثا ودخل (في دين علي وحكمه) فليس لمعاوية إقامة ذلك الحد عليه 104ظ/(350) فكيف (ندخل) (351) في دين قوم قد أقروا على أنفسهم بأن من أحدث حدثا منهم ففر من حكم الله عليه وكره إقامة الحد بأن يقول دخل في د ن معاوية وضع ذلك الحكم والحد عنه وكيف (ندخل) (352) في دين رجل وحكمه وقد خلع

(343) في الأصل ان نقبل منهم ونتولاهم والخطأ فيه ظاهر .
(344) في الأصل فاما بحكم الرجال .
(345) في الأصل « بان حكموا بنفض ما جاء من الله قبلنا وان انتقل عما نحن .
(346) ساقطة من الأصل .
(347) في الأصل يستحل ما حرم ويحرم ما احل الله ويوالي من كنانعاديه بدين وفريضة ويعادي من كنا نواليه والتصحيح من ع ص 240 .
(348) غير واضحة بالأصل والتكملة من ع ص 240 .
(349) في الاصل ايما رجل دخل من اصحاب معاوية وظاهر ان دخل زائده .
(350) بعدها في دين على حكمه وهي زائده .
(351) في الأصل فكيف يدخل وهو خطأ ظاهر .
(352) في الأصل وكيف يدخل .

نفسه من (إمارة) (353) المؤمنين ولم يرجع ولم يستغفر مما قد أتى مما وصفناه وذكرناه (من أمره)(354) فيما سوى (354)م ذلك قد استحق من الله البراءة والخلع حتى يتوب من ذلك ويستغفر ربّه ويراجع من ذنبه ألست تقول إن عليا قاتل طلحة والزبير بكتاب الله وبما افترض الله عليه فيه من قتال الفئة الباغية فقال (فقاتلوا التي تبغي حتى تفي إلى أمر الله) (355) وعلى ذلك الأمر قاتل معاوية قال اللهم نعم قالوا وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قاتل عمار بن ياسر 22 رحمه الله ومن معه بصفين 230 حتى قتل عمار بن ياسر 22 ومن معه من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين باحسان على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقتال الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله وبأمر الله وبإذنه قاتلوا قال اللهم نعم قالوا أخبرنا عن علي حين حكم الحكمين أليس قد حرم الذي قد أحله الله من قتال معاوية) (356) وجنده (حتى يحكم الحكمان ويأذنا به) (357) قال اللهم نعم قالوا أخبرنا عن علي أحرم دماءهم بتوبة من معاوية وجنوده ودخول منهم في الإسلام فقال بل حرم دماءهم بالعهد الذي 105و/ أعطاهم حتى يحكم الحكمان بغير توبة ولا دخول منهم في الإسلام قالوا أليس قد حرم علي منهم ما أحل الله من قتالهم بغير انتقال منهم عن الذي احل دماءهم واستحل دم من استحل دماءهم فهم على المنزلة التي أمر (358) الله بقتالهم فيها بغير أمر حدث من الله فحرم دماءهم فمن قام الآن بكتاب الله وسنة نبيه وبما قام به عمار 22 ومن معه من المسلمين فقاتل من قاتل عمارا 22 واستحل

(353) غير واضحة في الأصل .

(354) بياض بالاصل والتكملة من ع ص 240 .

(354م) هكذا وردت ولعلها «فيما دون»

(355) الحجرات 9 جزء من الآية .

(356) في الأصل اليس قد حرم القتال الذي قد احله الله من معاوية وجنده حتى يحكم الحكمان وياذن به والتصحيح من ع ص 240 .

(357) في الأصل فقال بل حرم دماءهم بغير توبة منهم ولا دخول في هذا فقال بل حرم دماءهم بالعهد والتكرار ظاهر والتصحيح من ع ص 240 .

(358) في الأصل أمرهم والتصحيح من ع 241 .

(دم) (359) من استحل عمار 22 دمه فهو من الكافرين عند صاحبك وكيف يكون عمار 22 من المهتدين المؤمنين ويضل من عمل عمله واقتدى بهداه من بعده (فإن كان قتال عمار 22 لهم هدى) (360) فقد اهتدى من اقتدى بهداه من بعده (وإن كان) (361) قتالهم ضلالا فقد ضل علي وأتباعه بولاية عمار 22 ومن معه من المسلمين لقتالهم لمعاوية (وكيف) (362) يكون القتال لمعاوية ضلالا اليوم ومعاوية على الدين الذي استحل عمار به (362م) قتال من معه ثم لم يتوبوا ولم يرجعوا عما هم عليه (إلى دين المسلمين وقولهم وكيف) (363) لم يكن القتال لطلحة والزبير على البغي ضلالا وقد كانا أفضل من معاوية ويكون القتال لمعاوية ومن معه ضلالا وهم على الدين الذي كان عليه طلحة والزبير فهذا ما نعرف من خطا علي (ورجعته) (364) عما كان عليه من الحق ورغبته عما مضى عليه خيار المسلمين وكيف يحل الله قتال قوم ويأمر به ثم يهتدي من حرمه وهم على ذلك الدين ويضل 105ظ/من استحله وكيف يحل الله قتال قوم ويأمر به ويأذن فيه ثم يكفر من استحله حتى (يأذن فيه) (365) من يستحل تحريمه من الحكمين وذلك أن عليا حرم القتال الذي أحله الله من معاوية وجنده حتى يأذن فيه عمرو بن العاص 229 وأبو موسى الأشعري 260 وزعم علي أن من قام بكتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ويستحل ما احل الله من قتال الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله فهو من الكافرين حتى يأذن فيه من يدين بتحريم ما أحل الله من قتال الفئة الباغية (وكيف يسعنا ان نحرم ما أحل الله من

(359) سقطت من الأصل .

(360) في الأصل فان كان قتالهم عمارا هدى ولا يستقيم به المعنى .

(361) في الأصل فان كان قتالهم ضلالا .

(362) سقط حرف العطف من الأصل .

(362م) في الأصل منه وما أثبتنا أصح

(363) في الأصل .. عما هم عليه من دين المسلمين وقولهم فكيف والتصحيح الذي اثبتناه من ع ص 241 .

(364) كلمة غير واضحة بالأصل .

(365) كلمتان غير واضحتين في الأصل وتصحيحهما من ع ص 241 .

قتال الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله بغير كتاب من الله حدث يحرم فيه ما أحل الله من قتالهم حتى يأذن فيه من يدين) (366) بتحريمه ويستحل ما حرم الله من دماء المسلمين ويحرم ما أحل الله من قتال الفئة الباغية ويعادي أولياء الله ويوالي أعداء الله فنذكرك الله يا ابن عباس هل يسع هذا من فعله ويهتدي به قال اللهم لا وانصرف من عندهم وهو مقر لهم ومعترف أنهم قد خصموه ونقضوا عليه ما جاء به مما احتج به عليهم فرجع ابن عباس إلى علي فلما رآه قام إليه فناجاه وكره أن يسمع أصحابه قولهم وحجتهم التي احتجوا بها فقال له علي ألا تعينني على قتالهم فقال له ابن عباس لا والله لا أقاتل قوما خصموني في الدنيا وإنهم يوم القيامة لي أخصم وعلي أقوى وإن لم أكن معهم لم أكن عليهم واعتزل عنه ابن عباس رضي الله عنه ثم فارقه فكتب إليه علي (يؤنبه) (367) بمال أخذه من البصرة من بيت المال فكتب إليه قد عرفت (وجه أخذي المال إنه كان نفقة دون حقي) (368) من بعد ما أعطيت كل ذى حق حقه وقد علمت 106و/(وجه) (369) أخذي المال من قبل قولي في أهل النهروان ولو كان أخذي المال باطلا كان أهون من أن أشرك في دم مؤمن فكف عن القوم فأبى .

ذكر مقتل أهل النهروان رحمهم الله ورضي عنهم

فلما افلجوه (370) زحف إليهم بمن شايعه من الرافضة وأهل الكوفة وسواد الناس وهم كافون عنه يناشدونه الله في دينهم ودمائهم وكرهوا

---

(366) في الأصل : من قتال الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله بغير كتاب من الله (بياض) يحرم فيه ما أحل الله من قتالهم وحتى يأذن فيه من بدين (الكلمة الاخيرة غير واضحة) والتصحيح من ع ص 241–242 .

(367) في الأصل لنوبته .

(368) في الأصل قد عرفت أخذي المال انه كان ثم تقيه دون حقي والتصحيح من ع ص 242 .

(369) سقطت هذه الكلمة من الأصل .

(370) في اللسان (ف ل ج) الفلج الفوز والظفر وقد فلج الرجل على خصمه وافلجه الله عليه .

أن يبدأوه بالقتال حتى بدأهم فقتل منهم يومئذ أربعة آلاف فيهم فيما بلغنا سبعون من أهل بدر وأربعمائة يقال لهم السواري (371) كانوا لا يفقدون من مسجد رسول (372) الله صلى الله عليه وسلم كأن جباههم وركبهم من شدة اجتهادهم ثفن الإبل خيار الناس وفقهاؤهم وأهل الشرف في الدين والرأي والقدم من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان وقتل فيهم حرقوص بن زهير 277 الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم كما بلغنا ثلاثة أيام (أول من يدخل عليكم من هذا الباب رجل فهو من أهل الجنة) (373) (وكل يوم هو أول من يدخل عليهم من ذلك الباب) (374) وهو الذي دفن دانيال الحكيم (375) (وكان دانيال الحكيم) (376) سأل ربه أن يدفنه رجل من أهل الجنة فلم يزل دانيال في تابوت في أيدي أهل الضلال من أهل الكتاب يستسقون به اذا أمسك عنهم القطر حتى فتح أبو موسى الأشعري 260 السوس (377) فوجده في تابوت (فكتب) (378) إلى عمر بن الخطاب رحمه الله فكتب عمر أن يدفنه (سرا ولا يشعر به أحد 106ظ/ وأنفذ إليه عمر) (379) حرقوصا حتى دفنه ووجد حلة فكساها عمر (حرقوصا) (380)

---

(371) لم نهتد إليهم في المصادر التي بين أيدينا .

(372) كلمتان غير واضحتين في الأصل .

(373) لم نهتد إلى هذا الحديث في المصادر التي بين أيدينا .

(374) في الأصل وكل ذلك دخل منه حرقوص والتصحيح من ع ص 242 .

(375) دانيال اسم لشخصين من حكماء بني اسرائيل ويخلط المسلمون بين القديم والحديث منهما وهو معاصر لتخريب بابل وينسب إليه المسلمون عدة تنبؤات تتعلق بالمستقبل وباليوم الآخر ويروون أن تابوته وجد عندما فتحت تستر وأمر عمر بن الخطاب بدفنه راجع دائرة المعارف الإسلامية (طح) II ج ص 115 .

(376) هذه العبارة زيادة من ع ص 242 .

(377) مدينة في خوزستان وكانت عاصمتها قبل الإسلام فتحها المسلمون سنة 17هـ/1638 و639 بقيادة أبي موسى الأشعري وظلت بعد ذلك مدينة مزدهرة راجع دائرة المعارف (طق) ج II ص 592 ، 596 .

(378) في الأصل وكتب والتصحيح من ع ص 242 .

(379) في الأصل ان يدفنه سرا ولا يشعر به أحد ويكون دفنه سرا ونفد اليه عمر حرقوصا والتصحيح من ع ص 242 .

(380) كلمة غير واضحة في الأصل .

وبلغنا أن أبا موسى سأل عن حرقوص فقيل له إنه أصيب في أهل النهروان 372 فقال والذي نفسي بيده لواجتمع على الرمح الذي طعن به حرقوص ما بين المشرق والمغرب لدخلوا النار كلهم وقتل فيهم (أبو كعب)(381) في نفر من بني حطامة وقتل فيهم ثومله (382) صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين من أهل بدر وبقيتهم من المهاجرين والأنصار فلما قتل علي بن أبي طالب أصحاب النهروان 272 وهم على الأمر الذي كانوا عليه معه بالأمس ندم على قتلهم وجعل يأتي على قتلاهم وهو يستغفر (لهم ويقول بئس ما صنعنا) (383) قتلنا خيارنا وفقهاءنا (ويوجد أنه قال له بعض أصحابه) (384) يا أمير المؤمنين قتلنا المشركين قال من الشرك فروا قال (فالمنافقين) (385) قال إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا وهؤلاء كانوا يذكرون الله كثيرا .

ثم اختلف عليه أصحابه ففارقوه منهم من ارتاب ومنهم من عرف فعله فجعلوا يظهرون التوبة من (فعلهم) (386) وبقي مخذولا ومنهم من أنكر (387) الحكومة ومنهم من رضي بما حكم عليه فخذله وكان (الواجب عليه أن تكن الحكومة) (388) حقا أن يقبل بما حكما عليه ويوفي بما عاهد عليه وان (تكن الحكومة ضلالا) (389) فقد كان ينبغي له أن لا يحكم فلا هو رضي ممن حكمه

(381) لم نهتد إلى التعريف به في المصادر التي بين أيدينا على أن هذا الاسم ساقط من الأصل والزيادة من ع ص 242 .

(382) لم نهتد إلى التعريف به في المصادر التي بين أيدينا .

(383) لهم بئس ما صنعنا : كلمات غير واضحة بالأصل والتصحيح من ع ص 243 مع إضافة « أصحابه » .

(384) هكذا وردت وكلمة بعض غير واضحة وقد ضبطناها من ع ص 243 .

(385) وردت هذه الكلمة في الأصل فمن المنافقين وفي ع ص 243 افمنافقين ولعل ما أثبتنا أقرب للصواب .

(386) في الأصل من قتلهم .

(387) وردت كلمة أنكر غير واضحة في الأصل والتصحيح من ع ص 243 .

(388) الكلمات التالية « الواجب عليه إن تكن الحكومة » غير واضحة في الأصل والتكملة من ع ص 243 .

(389) كلمات غير واضحة في الأصل والتكملة من ع ص 243 .

ولا هو اتبع من نصحه فانسلخ من الأمر 107و/ وبقى مخذولا حتى قتل وكانت خلافته ست سنين .

مقتل علي بن أبـي طالب ولما انسلخ من ألامر قَيَّضَ الله له عبد الرحمن بن ملجم المرادى (390) ضربه ضربة على باب داره وفيه يقول عمران (بـن حطـان) (391) (البسيـط) :

يـا ضربة من تقـي مـا أراد بهـا إلا ليبلغ من ذى العرش رضوانا(392)
إنـي لأذكـره يـوما فـأحسبـه أوفى البريـة عنـد الله ميزانـا (393)

---

(390) رجل من مراد ممن نجوا من معركة النهروان وهو قاتل علي راجع دائرة المعارف الاسلامية (ط ح) ج II - 911-914 .

(391) من مشاهير شعراء الخوارج كان سنيا ثم اعتنق مذهب الشراة الصفريه وهو من قعدتهم تحت تأثير زوجته واشتهر بالتقوى طلبه الحجاج بعد مقتل شبيب فتشرد في البلدان حتى مـات سنة 84/703 قريبا من الكوفة - راجع دائرة المعارف الإسلامية (ط ح) III ، 1024 وبلاشير ص 512-513 والبيتان مشهوران وردا في كثير من المؤلفـات مثل الأغاني XVIII ص 52-53ط دار الثقافة بيروت 1959 والكامل III ، 169 .

(392) روايـة الاغانـي من كريـم .

(393) رواية الأغاني « إني لأفكر فيه ثم أحسبه .

ورقـــــات
عن الحضارة العربية بافريقية التونسية

تأليف : حسن حسني عبد الـوهـاب
جمع واشراف : محمد العروسي المطوي
القسم الثـالث 545 ص (I/8 كبيـر)
ط . مكتبة المنار . تونس 1972

تقديم : الشاذلي بويحيى

برز هذا الجزء الثالث من « الورقات » لحسن حسني عبد الوهاب إلى الوجود بعد أربع سنوات من وفاة مؤلّفه . وهو كالجزأين السابقين يضمّ دراسات عن الحضارة التونسيّة شملت مظاهر من الحركة العلميّة ونظم الحياة الاجتماعيّة والخصائص اللّغويّة والعناصر البشريّة بهذه البلاد وبعض علاقاتها المثمرة سلميّة كانت أو حربيّة مع أجوارها من شعوب الحوض الغربيّ من البحر الأبيض المتوسّط كما يضمّ دراسات عن تربة البلاد التونسيّة في ماضيها البعيد وما اضمحلّ من مدائنها وقراها وما انطوت عليه من أسرار العمران في العصور الغابرة من تاريخ تونس العربيّة . فيضيف هذا القسم إلى القسمين الأوّل والثاني صفحات تساهم في تصوير الحضارة العربيّة بالبلاد التونسيّة في نشأتها وتطوّرها ووصف مهدها ما بلي منه واضمحلّ وما بقي فغيّرت من معالمه القرون .

فهـي إذن قصّة الحضارة العربيـّة بالبلاد التونسيـّة كما دأب المؤلـّف طيلة عمر طويل على البحث عن ملامحهـا وأطوار تكوّنها وشخصيـّة رجالها البانين لصرحها فأزاح عنها بعض ما تراكم عليها من غشاوات القرون والنسيان في أبحاث نشر الكثير منها مفرقا قبل أن يعقد العزم — رحمه الله — على جمعها في كتاب واحد أسماه « ورقات عن الحضارة العربيـّة بإفريقية التونسيـّة » ظهر منه القسمان الأوّل والثانـي وهو على قيد الحياة (1) وها هو ذا القسم الثالث منه يشرف على جمعه وإخراجه الأستاذ محمد العروسي المطوي ويشارك فيه جماعة من تلاميذ المؤلف ومحبّيه بتعريب الفصول التي كان حرّرها باللـّغة الفرنسيـّة (2) وإعـداد فهارسـه . بيد أنّ موضوعاته لا تختلف عـن موضوعـات القسميـن الآخرين ممّا يجعـل من هذه الأقسام الثلاثة من كتاب « الورقات » وحـدة متناسقة في النوع والروح والغاية .

فبعد تصدير الناشر (3) وترجمة حسن حسنـي عبد الوهاب الذاتيـّة (4) يستهلّ الكتابَ فصل بعنوان « السند العلمـي الإسلامـي بإفريقية » (5) وهو قسم مقتبس من « توطئة » كتاب « الإمـام المازري » للمرحوم حسن حسنـي عبد الوهاب (6) حيث يدرس المؤلـّف دخول علم الحديث إلى إفريقية على يد علماء كانوا لا يميزون بين المذاهب وإنما يروون عن جميع أيمـّة المشرق خاصّة عن مالك بن أنس وأصحابه . ويورد رأي المقدسـي القائل بأنّ أسد بن الفرات (المتوفى سنة 213) هو الذي أدخل مذهب أبـي حنيفة إلى إفريقية لكنّه

(1) انظر تقديمنا للجزء الأول من كتاب « الورقات » في « حوليات الجامعة التونسية » عدد 3 سنة 1966 ص ص 215—227 وللجزء الثانـي منه في « حوليات الجامعة التونسية » عدد 4 سنـة 1967 ص ص 161—170 .

(2) جاء في ص 477 ثبت للفصول المعربة مع عناوينها الفرنسية وأسماء مترجميها إلى العربيـة .

(3) ص ص 7—10 . نعني بالناشر هنا الأستاذ م. ع. المطوي المشرف على إخراج هذا القسـم .

(4) ص ص 11—29 . وبصفحة 11 تعليق فيه ذكر مواطن نشر هذه الترجمة الذاتية . من ذلك خاصة « حوليات الجامعة التونسية » عدد 6 سنة 1966 .

(5) ص ص 35—68 .

(6) ط. دار الكتب الشرقية . تونس بلا تاريخ [1955] ص ص 10 — 47 .

يرجّح أنّ ذلك كان قد تمّ من قبل على يد ابن فرّوخ (المتوفّى سنة 172) ثم يعرّف بأشهر رجال مذهب مالك بإفريقية ويقرّر أن «المؤسّس الأوّل لمدرسة الفقه المالكي في إفريقية بل في المغرب عامّة » هو سحنون بن سعيد صاحب « المدوّنة » (المتوفّى سنة 240) ثم ينبّه إلى أن كتب تدريس العقائد والفقه المالكي في القيروان ثم المهديّة فتونس هي من وضع علماء القيروان . فتحصل بذلك صورة واضحة كاملة عن تاريخ المذهب السائد بهذه البلاد بل وبالمغرب العربي الإسلامي كلّه كما يتجلّى دور القيروان وعلمائها في رسوخ مذهب مالك ونشره في القسم الغربيّ من العالم الإسلامي .

ويتلو هذا الفصل بحث دسم عن أثر زحفة بني هلال في اللّغة والشعر بإفريقية عنوانه « مذاهب الشعر في كلام الأعراب » (7) . وموقف ح. ج. عبد الوهاب من مشكلة هذا الحدث الخطير في تاريخ إفريقية هو الموقف الكلاسيكي الذي يرى مع ابن خلدون أن هذه الزحفة كانت وبالا على العمران بإفريقية إلاّ أنّها ساعدت على تعريب البلاد ونشر لغة مضر والنطق فيها بالقاف المعقودة «ڨ» عند من يسمّون في البوادي التونسية بالأعراب أهل « القالة » « كما هو جار عند جميع الأعراب في أطراف العالم العربي من الخليج الفارسي إلى المحيط الأطلنطي » (8) ويثبت أسماء « مشاهير القوّالين» أي شعراء الملحون من بني هلال وسليم في عصر الدولة الحفصيّة نقلا عن رحلة التجاني ويورد لهم شعرا منه ما اكتشفه هو ومنه ما أضاف فيه أبياتا إلى ما رواه ابن خلدون ويذكر أنواع هذا الشعر وهي حسب الأغراض : « المخمّس » و« المسدّس » و« القسيم » و« البرق » و« الموقف » و« الملزومة » و« الزندالي » و« المحسوس » و« العروبي » وهو مشتقّ من كلمة الأعراب ويقابل ما كان يعرف « بالصوت » في الغناء العربي القديم . « وبالعروبي يبتدىء القوّال والمغنّي من الأعراب

(7) ص ص 71—143 . نشر هذا البحث بمجلة « الفكر » سنة 1963 ص ص 919—936 ولم يذكر ذلك في كتاب « الورقات » هـذا .

(8) ص 100

وقد قلّدهم أهل الحواضر في تلك الطريقة » (9) . ثم يورد نماذج من هـذه الأنواع من الشعر الملحون يشفعها بقوله : « ولو لا خوف الإطالة لأوردنا من أقوال المتأخّرين بين عرب وحضر الشيء الكثير » (10) وياليته لم يخـف ! لأننا بدورنا نخاف ان يكون قد ضاع معه القليـل الذي كان أنقـذه من بين ذلك الكثير الذي تـلاشى .

وكما ربط الصلة بين هذا الشعر الملحـون والشعر الفصيح وبين غناء البدو وغناء أهل الحواضر فإنه يوسّع البحث في آخر الفصل إلى انتشار الأدب الشعبي العربي في غير إفريقية . ففي بسطة ممتعة عن أصل لغة جزيرة مالطة العربـي يدرس ما يسمّـى عند أهلها « بالتقبيل » ويورد نموذجا من هذا الغناء العربي المالطي اللّهجة ثم يتعرّض إلى « أقوال أعراب برقة » ثم إلى « النبطي » « الشائع الآن بين عرب الحجاز ونجد وبادية الشام » ثم إلى « الحميني » «المنتشر الآن بين أعراب اليمن وحضرموت » ويختـم الفصل بمدّ آفاق البحث إلى اعتبار تشابه أسس الشعر الملحون في مختلف الأقطار العربية رغم تباين اللّهجات مثلما كان لاحظ الصلة التي تربط بين هذا الشعر الملحون والشعر الفصيح .

الفصل الرابع في هذا القسم من كتاب « الورقات » تنقيب باحث محقّق عن أديب شهير بتراثه مجهول – أو يكاد – في نسبه وحياته هو عبد الله التجـانـي صاحب الرحلـة . ففـي هـذا الفصل « آل التجـانـي أدباء وكتّـاب الدولـة الحفصية » (11) يصل المؤلف بعد كدّ طويل وصبر على البحث وانتباه مستمرّ أثناء مطالعات كثيرة بين مطبوعات ومخطوطات – ومن هذه ما كان يملكه بمكتبتـه الخاصّـة (12) – إلى حصاد غيـر جزيـل كـان جلّـه ثمرة الصدفـة

(9) ص 114

(10) ص 122

(11) ص ص 147–193 . هو مقدمة المؤلف لرحلة التجاني ط. تونس 1958 . ولم يذكر ذلك في كتاب « الورقات » هـذا .

(12) أوصـى ح. ح. عبد الوهـاب رحمه الله بإهـداء مكتبته المخطوطة الخاصة إلى المكتبة الوطنية التونسية . (انظر « الفكر » عدد ديسمبر 1968) وقد نشرت « حوليات الجامعة التونسية » في عددها السابع سنة 1970 ص ص 139–272 فهرس مخطوطات هذه المكتبة .

والاكتشاف العفوي والعثور غير المنتظر على الخبر أو الإشارة الطفيفة إلا أنّ حنكته التي بها يستنطق النصوص مكّنته من جمع هذه الترجمة الهزيلة التي تسدّ رغم هزالها فراغا كان مؤسفا في الأدب التونسي وتاريخ الدولة الحفصية وسِيَر رجالها . وعندها يستطيع المؤلف القول في شيء من الارتياح — ارتياح الباحث وارتياح الوطني — : « البيت التجاني [...] مفخرة جليلة من مفاخر القطر [التونسي] » (13) وعندها أيضا يستطيع كذلك في ارتياح الباحث المظفّر أن يورد لأحد الشعراء المعاصرين لهم قوله فيهم :

لا غرو أن حاز الكمال فإنما وقف الكمال على بني تيجان (14)

« شهامة النساء القيروانيّات » (15) عنوان فصل يحتوي على بحث للمؤلّف يتبعه نصّ غير معروف اقتبسه ح. ح. عبد الوهاب من القطعة الباقية من تاريخ الرقيق القيرواني . وكان هذا الفصل عند نشره سنة 1967 بمجلّة « الفكر » أوّل ما عرف به القرّاء في تونس وجود هذه القطعة من تاريخ نديم أمراء بني زيري وكاتبهم (16) .

أما الفصل الموسوم بـ«أصل الحسبة بإفريقية . تحليل كتاب أحكام السوق ليحيى بن عمر » (17) فهو الذي نشرته له « حوليّات الجامعة التونسيّة » سنة 1967 (18) . ويعتبر كتاب « أحكام السوق » هذا أوّل تأليف عربيّ في الحسبة ويلاحظ ح. ح. عبد الوهّاب من بين مواضيع الكتاب ما لا يتّفق وعنوانه فيجرّه ذلك إلى بسطة في تاريخ السوق بالقيروان وبالمدن الإسلاميّة عامّة

---

(13) ص ص 176–177 .

(14) ص 177

(15) ص 197–210 . نقل هذا الفصل هنا عن مجلة « الفكر » عدد أكتوبر 1967 بشيء غير قليل من النقص والتغيير وبدون إشارة إلى هذا الأصل المنقول عنه .

(16) طبعت هذه القطعة بتونس سنة 1968 . وقدمناها بمجلة « الحوليات » في العدد الخامس سنة 1968 ص ص 125–131 .

(17) ص ص 213–237 هو الآن تحت الطبع بعناية الأستاذ فرحات الدشراوي .

(18) العدد الرابع سنة 1967 ص 5–21 .

ويتساءل هل أنّ صاحب السوق هو المحتسب أو غير المحتسب ويتناول بالبحث مشمـولات كـلّ من المحتسب والقاضـي – وقد كـان الإمام سحنون جمـع بينهما – فيحدوه ذلك كلّه إلى نظرات فسيحة تتناول ميادين مختلفة من تاريخ الاسلام والحضارة الإسلاميّة عامّة مع الوقوف عند بعض الجزئيّات الطريفة النفيسة كقوله : « وكما أحدث سحنون ولاية المظالم سمّى الأمناء في البوادي . وإلى الآن يطلق على صاحب السوق فيها « أمين المعاش » (19) مما يجعل البحـث ممتعا مفيدا في آن واحد بعرض مسائل حضارية أساسية وبالكشف عـن نقط خفيـّة من تاريخ إفريقية ونظمهـا .

ليس الفصل الموالي « عناصر الشعب التونسـي وامتزاجها » (20) مجرّد دراسة تاريخيّة وصفية لهذا الموضوع بل هو يعالج مشاكل هـي من قبيل علم الاجتماع وفلسفة التاريخ . مثـال ذلك دراسته مشكلة بقاء العنصر البربري محتفظا بذاتيـّته وخصائصه ولغته في بعض نواحـي البلاد التونسيـّة – التي يكوّن أغلبيـّة الأهالي بها – رغم أن البربر « كانوا دوما مستعمرين مـن الأجـانب » و« لم يتمتّعوا باستقلالهم السياسـي قطّ » (21) . ومن ذلك أيضا انه لا يقتصر على ذكر من طرأ على هذه البلاد من المهاجرين والغزاة فاستوطنوها بل يبحث كذلك عن أثر هذه الجاليات في سياسة البلاد واقتصادها وعاداتها واعتقاداتها أيضا كانتشار مذهب أبـي حنيفة بفضل الاحتلال التركـي بينما انتشر مذهب مالك مع انتشار العنصر العربيّ وكبقايا طقوس مسيحيّة وغير مسيحيـّة في المعتقدات التونسيـّة .

(19) ص 235

(20) ص ص 241–278 . ألقى المؤلف هذا البحث بمؤتمر المستشرقين الدولي بكوبنهاقن Copenhague سنـة 1908 ونشره بمجلـة La Revue tunisienne سنة 1917 بعنـوان Coup d'œil général sur les apports ethniques étrangers en Tunisie ونقلـه إلى العربية الأستاذ فرحات الدشراوي . انظر ص 245 وص 477 من كتاب « الورقات » هـذا وترجمة المؤلف الذاتية « بحوليات الجامعة التونسية » عدد 6 سنة 1969 ص 54 .

(21) ص 243–244

وعند تعرّضه إلى هجرة المسلمين من صقلـيّـة والأندلس إلى البلاد التونسيّة وإلى زحفة قبائل بنـي هلال عليها فإن بعض ما يقدّمه من عدد هؤلاء المستوطنين في البلاد التونسيّة قد لا يخلو — في رأينا — من « المبالغة في الأرقام » — كمـا يقول ابن خلدون — على أن اعتماده على ابن خلدون كثير وهو يستشهـد بـه ويحيل عليه أحيانا رغم كونه لا يذكر مصادره غالبا . مثال ذلك ما يذكره من أنّ « عدد الغزاة من بنـي هلال كان يتراوح بين الخمـس مائة والسبعمائة ألف شخـص » (22) .

يجد القارىء في فصل « ثورة الطنبذي منعرج في تاريخ الأغالبة » (23) محاولة في ما يمكن أن يسمّـى فلسفة التاريخ عندما يجرّ سرد الأحداث مؤلّـف « الورقات » إلى تأمّلات في حياة الدول وبقائها وزوالها وتقلّبات أحوالها لما يحدث فيها من الثورات وفنون الاضطرابات فيفضي البحث إلى بسطـة في منهجيّة علم التاريخ خاصّة في طريقة استثمار المؤرّخ شهادة النقود ويختم المؤلّف فصله بتوسيع آفاق البحث إلى طريقة من طرق سبر أغوار النفس البشريّة قائـلا : « وهكذا نرى مرّة أخرى ان علم المسكوكات القديمة يمكّننا من أن نؤرّخ بصفة مضبوطة بعض الأحداث التـي بقيت مجهولة في التاريخ التونسي كما أنه يضع بين أيدينا شهادة ثمينة ويعطينا درسا عميقا في علم النفس السياسي » (24) .

---

(22) ص 258

(23) ص ص 281–297 . الفصل مؤرخ في سنة 1937 وترجمه إلى العربية الأستاذ حمادي الساحلي وعنوانه بالفرنسية في كتاب « الورقات » هذا ص 477 : Un tournant de l'histoire aghlabite, l'insurrection de Mansour Tombadhi, seigneur de la Mohamadia وفي التعريف بالمؤلف بقلمه في « حوليات الجامعة التونسية » سنة 1969 عدد 6 ص 54 : un tournant de l'histoire aghlabite (Insurrection de Tombodhi)

(24) ص 297

« بلاد قمودة في القرون الوسطى » (25) دراسة جغرافيّة تاريخيّة اقتصاديّة لـمّا كانت عليه إحدى مناطق البلاد التونسية في القرون الوسطى على قلّة مـا بقي من معالمها وما ورد عنها من أخبار في كتب المتقدّمين .

وشبيه بحرص المؤلّف على تسطير ملامح هذه المنطقة بفضل ما حصل لديه بعد التنقيب الطويل من معطيات ضئيلة بحثه التالي بعنوان « مدائن اضمحلّت من البلاد التونسيّة » (26) وهـي مدينة « باشّو » و« إبيانة » و« تبصة » . وفي كلا الفصلين يواكب البحث سير التاريخ منذ عهوده القديمة قبل الفتح الإسلامي إلى اضمحلال معالم هذه المناطق والمدن بل إلى الآن أيضا في ما بـقي من آثارها .

أمّا « لمحة عن المهديّة الفاطميّة » (27) فهو بحث تاريخيّ معماريّ عمرانيّ يـظهر فيه تضلّع العالم الباحث المكتمل المنهج والدّارية (28) ويظهر فيه أيضا عطف منه ومحبّة نحو هذه المدينة وأهلها وقد ساكنهم زمنا فأحسنوا معاشرتـه فروى ما عرفه من عوائدهم وما حقّقه عن أرومتهم وأنسابهم ومشاهير أسرهم.

في الفصل الموالي : « العلاقات التونسيّة الإيطاليّة في العصور الوسطى » (29) تحقيقات تاريخية ممتعة يتجلّـى منها فضل العرب عامّة وتونس خاصّـة عـلى الحضارة العالمية . من ذلك انتقال صناعة الكاغذ من القيروان إلى مدن إيطاليـا ومنهـا إلى اروبـا كلّهـا قرنـا كامـلا قبـل دخولها إليها مـن طريـق الأندلـس

(25) ص ص 301—324 ترجم الفصل من الفرنسية إلى العربية الأستاذ فرحات الدشراوي (انظر ص 477) ولم يذكر الناشر الأصل المنقول عنه .

(26) ص ص 327—353 ترجمه من الفرنسية الأستاذ ف. الدشراوي (انظر ص 477) ولا إشارة هنا أيضا إلى أصل البحث ولا تاريخ نشره .

(27) ص ص 357—383 .

(28) جاء في تصدير الكتاب ص 18 ما نصه : « وكان القسم الأخير من بحثه [أي المؤلف] عن المهدية آخر ما كتبه من البحوث » .

(29) ص ص 387—400 محاضرة ألقاها المؤلف بمركز « الحمامات » الثقافي الدولي بمحضر جمع من العلماء الإيطاليين في 1962/11/5 بالفرنسية عنوانها Les relations entre la Tunisie et l'Italie au Moyen-Age نقلها إلى العربيـة الأستاذ البشير بن سلامة (انظر ص ص 387 و477) .

الإسلاميّة . وينبّه المؤلّف إلى أنّ اختراع ڤوتمبارق Gutenberg الطباعة لم يكن ليتمّ لولا صناعة الكاغذ كما أنّ علماء أفارقة مثل قسطنطين الإفريقي Constantin l'Africain نقلوا إلى إيطاليا علوم القيروان وكتب مؤلّفيها في الطبّ والفلك وغيرهما من العلوم فكانت تدرس في أوّل جامعة أوروبيّة وهي جامعة سالرنو Salerne ومنها انتقلت إلى نابلي Naples وبادو (أي بادوفا) Padoue وبذلك كانت الشرارة الأولى للنهضة الأوروبيّة la Renaissance

ومن تحقيقات هذا الفصل المنعش أصل الكنيسة الأرثدوكسيّة orthodoxe الكائنة الآن بتونس بنهج باب قرطاجنّة وهي أوّل كنيسة بالعاصمة التونسيّة بناها رمضان باي (المتوفّى سنة 1110هـ) على قبر أمّه وكانت من سبايا فيرنزة Florence تزوّجها مراد باي وبقيت على نصرانيّتها .

لن نطيل القول هنا عن فحوى البحث التالي : « حول النقائش العربيّة بالمنستير » (30) لأنّنا كنّا تحدّثنا عنه في غير هذا المقام (31) . وهو كغيره من أبحاث ح. ح. عبد الوهاب يلقي أضواء على نقط غامضة من ماضي البلاد التونسيّة مع تأمّلات في فلسفة التاريخ والعمران البشريّ عامّة انطلاقا من موضوعه المحدود . غير أنّ الفصل المنشور هنا بالعربيّة لا ينقل كلّ ما جاء في النصّ الذي وضعه المؤلّف باللّغة الفرنسيّة ولا تتجلّى منه خصائص البحث والتأليف عند ح. ح. عبد الوهّاب لبعد الترجمة العربيّة عن الأصل الفرنسي

(30) ص ص 403–412 نقله إلى العربية الأستاذ سليمان مصطفى زبيس . وهي مقدمة صدر بها المرحوم ح. ح. عبد الوهاب كتاب « نقائش المنستير » Inscription de Monastir الذي وضعه الأستاذ س. م. زبيس بالفرنسية سنة 1960 . وطبعت هذه المقدمة بالكتاب خلاف ما جاء في تعليق ص 403 من « الورقات » . وقد عرفنا بهذا الكتاب وتحدثنا أثناء ذلك التعريف عن مقدمته هذه في جريدة « العمل » الصادرة بتونس بتاريخ 30 أكتوبر 1960 . ودرءا لما قد يحدث من البلبلة في الاذهان ننبه إلى خطإ – ناشىء عن السهو بلا ريب – في تاريخ هذا الفصل . فقد جاء هذا التاريخ هكذا في ص 412 من « الورقات » : « دار حسين . ماي 1969 » بينما هو في الكتاب المطبوع سنة 1960 هكذا (في ص 4) : « دار حسين . ماي 1960 » وهو الصحيح . ومعروف ان المؤلف توفي سنة 1968 . و« دار حسين » هو اسم القصر الذي يأوي « المعهد القومي للآثار والفنون » بتونس وكان المرحوم رئيسه في ذلك العهد .

(31) انظر التعليق السابق .

في محتواه ومنهجه أي في المعنى والمبنى فينجرّ عن ذلك أحيانا غموض تضيع معه فائدة النصّ تارة ويحدث في نفس القارىء حيرة وعجزا عن الفهم تارة أخرى . زد إلى ذلك حذفا في الترجمة وسقطا من النصّ الأصلي الفرنسي إمّا ضئيلا طفيفا أحيانا كإهمال تسمية مدينتي بغداد والقيروان حيث توجد القبور المتحدّث عنها (32) وإمّا طويلا خطيرا أحيانا أخرى كالصفحة الخالدة التي سقطت في آخر الفصل والتي وصف فيها ح. ح. عبد الوهّاب في النصّ الفرنسي عوائد غريبة كانت لأهالي مطماطة من الجنوب التونسي في كيفيّة دفن أمواتهم وما وأحت إليه هذه العوائد من نظرات تاريخيّة فلسفيّة عميقة خلا منها النصّ العربيّ (33) . ثم إنّ هذه الأسطر الثمينة لم تسقط فحسب في النصّ العربي بل وقع تعويضها بنصّ ليس للمؤلّف — وكيف يسوغ ذلك ؟ — وهو نصّ قد يتساءل الإنسان عن مدى فائدته وعن محلّه في مثل هذا البحث العلمي بل لعلّ فيه ما يتنافى مع روح التسامح من ناحية وحب الوطن من ناحية أخرى ممّا عر به المؤلّف رحمه الله ويطفح به هذا السفر وأخواه من كتاب « الورقات » . فقد كانت روحه الطاهرة تأبى أن يعلو صيت الأجنبي على صيت العربي التونسي كما كان يتقي الخطأ في العلم والتسرّع في الحكم إلى حدّ التردّد الطويل والتريّث قبل نشر ما يحرّره عن اكتشافاته العلميّة (34) .

---

(32) ص 407 .

(33) نحيل قراء العربية على تعريفنا بهذا الفصل في جريدة العمل (المصدر المذكور أعلاه) حيث أشرنا إلى شيء مما جاء في هذه الأسطر الثمينة من بحث المرحوم ح. ح. عبد الوهاب .

(34) هذا النص الذي زيد في ك. « الورقات » هو : « إن قراءة النقائش والكتابات المعثور عليها
« في الحفريات صارت من أهم خصائص علم الآثار الحديث في نظر من يشتغل بالبحث عن
« المدنيات البشرية المنقرضة . فكم أفادتنا قراءة النصوص القديمة عن أحداث تلك الشعوب
« وعن حياتها الاجتماعية وعن أسماء النابغين من أبنائها ملوكا كانوا أو قوادا أو رجال
« دولة أو علماء مشاهير . وكم من كتابة قديمة ضيعت الأمم فهم رموزها حتى جاء علماء
« الغرب فكرسوا أوقاتهم لفك تلك الطلاسم وتوصلوا بالبصر والمثابرة والمقابلة إلى فهم
« كتابات ولغات انقرضت وطمست فتبينوا معانيها وفسروا غوامضها ونشروا نتائج
« مجهودهم للعلماء فصارت نصوصا واضحة تهدي إلى معالم مدنيات ماتت وقبرت مع أصحابها
« وواضعيها » .

وهذا النص لا وجود له — أي لما يقابله بالفرنسية — في ما كتبه المؤلف . فهل يجوز أن تنسب إليه شهادة كهذه في فضل علماء الغرب على غيرهم بدون أن يكون قد شهد بها فعلا ؟

ويتلو ذلك فصل عنوانه « من معالم إفريقية » (35) وهو مجموعة أبحاث يحاول المؤلّف فيها التعرّف على بعض أماكن من البلاد التونسية غامضة التاريخ هـي « مرسى ابن رمضان » المعروف إلى الآن « بقصر النخلة » على السواحل الغربيـة من جزيـرة « شريك » (« الوطـن القبـلي في عرفنـا الحالي ») و« باردو ومعالمه » وأصل تسميته وتاريخ بناء قصوره من القرن التاسع أو الثامن إلى الآن واعتناء البايات بها وبتحسينها والزيادة فيها وتهديم الكثير منها في عهد الحماية . ثم « باجات إفريقية » الثلاث وهـي « باجة القمح » مدينة الشمال التونسـي المعروفة و« باجة الزيت » وقد اضمحلّت وكانت تقع بين المهديّة والجـمّ و« باجة القديمة » وقد اندثرت آثارها أيضا وكانت من مدن الناحية الشماليـة من مدينة تونس وإليها ينسب الصوفي الصالح أبو سعيد الباجـي المتوفى سنة 628 دفين بلدة « جبل المنار » الشهيرة الآن باسمه « سيدي بو سعيـد » بين المرسـى وقرطاج .

ويختم الكتاب بفصل عنوانه « تاريخ صقلـيّة الإسلامية » (36) وهو بسطة شافية عن الاستيلاء الإسلامـي على هـذه الجزيرة وأسبابه وأثره العمرانـي والبشـري ونظامه الإداريّ والعلاقة بين المسلمين والمسيحيين بالجزيرة في عهد السلطان العربـي ثم بعد سقوطها بأيدي النصارى في عهد ملوك النرمان وبعض مظاهر الحياة الثقافيـة العربيـة الإسلاميـة بصقلـيّة طيلة ثلاثة قرون وأكثـر . كلّ ذلك في لوحة تاريخيّة اجتماعية ثقافيّة كاملة واضحة منعشة لم تفقد مـن جدّتها بعد مرّ سبعين سنة عليهـا .

***

(35) ص ص 415–431 . لم تقع الإشارة إلى أصل البحثين الأولين من هذا الفصل . أما « باجات إفريقية » فقد نشر بدائرة المعارف الإسلامية في طبعتها الجديدة وترجمه هنا الأستاذ س. م. زبيـس .

(36) ص ص 435–476 . بحث ألقاه المؤلف سنة 1905 في مؤتمر المستشرقين الدولي المنعقـد بالجزائر وترجمه هنا الاستاذ حمادي الساحـلي .

إن كانت صدف التبويب هي التي جعلت هذا الفصل يختم أجزاء كتاب « ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية » – ولا إخال – فإننا نبارك هذه الصدفة التي تجعل القارىء يلمس بدون عناء ولا حجة ان الصبغة العلميّة التي أساسها النضج في التفكير وغزارة المادّة عند وفرة المتاع وسداد النظر عند الاستنتاج ومتانة المنهج والاقتصاد في العبارة مع ملك انتباه القارىء وشغف المطالع هي صفة قارّة في دراسات حسن حسني عبد الوهّاب منذ أن أقدم في سنّ الشباب على طرق باب البحث العلمي بهذه الدراسة عن صقلّية العربية في فاتح هذا القرن . وبقيت هذه الصفة بعد ذلك الطابع السائد على أعماله كلّها لأنه ما فتىء يوما – طيلة حياة طويلة حافلة بالأشغال وشتى المهامّ – أليف كتاب جليس بحاثة أنيس ناد ومراسل معهد . لا يكاد يظهر كتاب أو مجلّة ولا يكاد يحدث حدث علميّ له صلة قريبة أو بعيدة بالدراسات العربيّة وبالإسلاميّات دون أن يكون منه وفي إبّانه على دراية كاملة . حدّثني رحمه الله أنه لما ظهرت طبعة عبد السلام هارون لكتاب الحيوان عكف عليه يقرأه ولم يتركه إلا بعد أن أتمّ قراءة أجزائه السبعة كلّها . لقد كان أدرى الناس في وقته بما يجدّ من العلم في الشرق وعند المستشرقين . ولذا كانت دراساته كلّها متينة الأساس في اعتمادها على التراث القديم وعلى تقدّم العلم الحديث معا وطريفة لكونها حافلة باكتشافاته الخاصّة . خذ لذلك مثلا في هذا الكتاب فصله عن « مذاهب الشعر في كلام الأعراب » فإزاء إلمامه بما جاء في تاريخ ابن خلدون ومقدّمته تجد أشعارا قديمة لأعراب البوادي التونسيّة اكتشفها هو وتجد منهجا للدّرس خاصّا به يوسّع من آفاق البحث إلى ما قد لا ينتبه إليه غيره أو ما لا يقدر عليه غيره من صلة بين الشعر العاميّ في تونس والشعر العامي في كافّة بوادي البلاد العربيّة والبلاد التي كانت يوما عربية ثم زال عنها السلطان العربي لكن بقي أدبها الشعبي يحتفظ بشيء من آثار العربيّة في بعض جوانبه .

فصفات الإلمام في الدراية والشمول في النظر هي من صفات العالم المتبحّر في شتّى الفنون . وهكذا يبدو حسن حسني عبد الوهاب من خلال هذا السفر وسابقيه أيضا من « الورقات » . فحديثه عن ابن أبي زيد القيرواني مثلا يتجاوز ترجمة الفقيه التونسي إلى دوره الحاسم في تجديد السنّة وإرساء مذهب مالك واتجاه الدراسات الفقهية بإفريقية حتى نال بذلك لقب « مالك الأصغر » . كما أنّ دراسته لعناصر الشعب التونسي وامتزاجها تتجاوز موضوعها التاريخي لتضع مشاكل من قبيل علم الاجتماع وفلسفة التاريخ . وقل مثل ذلك في نظراته حول بقاء العنصر البربري عبر التاريخ وفي ذلك ما يزيد صورة حسن حسني عبد الوهاب المؤرّخ وضوحا (37) من حيث كونه مؤرّخا كلاسيكيا ينتمي إلى مدرسة ابن خلدون وابن أبي الضياف التي شعارها البحث فالكشف فالاستنباط والتفقه لا مجرّد الرواية والتسجيل وبذلك يتجاوز نطاق المؤرّخ الضيّق إلى نطاق أوسع وأعمّ هو نطاق العالم المطلق الباحث الرائد باكتشافاته وبمثابرته وصبره على تتبّع غايته المنشودة إذا ما تراءى له منها بصيص من النور وبارق من أمل الفوز بنتيجة يستعمل للوصول إليها تضلّعه من جميع أنواع المعرفة من أدب ولغة وفقه ونقد أدبي وتحقيق النصوص .

وإزاء صفات العالم الباحث هذه فإنّ هذا الجزء من كتاب الورقات يدعمّ ما كنّا تبيّنّاه في الجزأين السابقين من صفات الكاتب والمؤلّف عند ح. ح. عبد الوهاب . فلئن كان امتزاج نصوص من تحريره العربيّ بنصوص ترجمها غيره إلى العربية يحول دون التعرّض إلى اللّغة والأسلوب ويفرض علينا الاقتصار على ما كنّا قرّرناه من ذلك في عرض ذينك الجزأين فخصال الكاتب تظهر في بسط المسائل بسطا واضحا كاملا متناسقا تناسقا منطقيا يجعل القارىء لا يشعر البتّة بغموض في النصّ ولا بغرابة في الموضوع ولا يحسّ بأيّ عناء

(37) انظر ما قررناه عن ح. ح. عبد الوهاب المؤرخ في تعريفنا بالجزأين الأول والثاني من كتاب « الورقات » في « حوليات الجامعة التونسية » العدد الثالث سنة 1966 ص ص 215–227 والعدد الرابع سنة 1967 ص ص 161–170 .

في الفهم سواء أكان من ذوي الاختصاص أم لا . وهذا هو أساس البلاغة والفصاحة أيضا . خذ لذلك مثالا دراسته عن « السند العلميّ الإسلامي بإفريقية » في متانة السبك ووضوح المنهج وتركيز التخطيط وتوزيع البحث إلى عناصر أساسيّة بيّنة يظهر تسلسلها الطبيعي وتدرّجها المنطقي لمجرّد قراءة عناوين أبواب الفصل (38) . وقل مثل ذلك في دراسته عن « تاريخ صقلّيّة الإسلاميّة » رغم قدم عهدها وصغر سنّ المؤلّف عند كتابتها . فالمقارنة البسيطة بينها وبين الكتاب المهلهل النسج الذي وضعه الدكتور إحسان عبّاس بعنوان « العرب في صقلّيّة » (39) بعد ذلك بنحو نصف قرن تبرز فضل دراسة حسن حسني عبد الوهّاب هذه .

وأخيرا فهذا الجزء الثالث من كتاب « الورقات » لا تتجلّى من خلاله شخصيّة ح. ح. عبد الوهّاب العالم المؤلّف فحسب بل وكذلك شخصيّته كإنسان في قوميّته العربيّة الإسلاميّة ووطنيّته التونسيّة مع التسامح الإنسانيّ العريض عندما يبرز فضل العرب على أروبّا لمّا ساعدت العلوم العربيّة والكتب العربيّة والعلماء العرب على نشر العلوم بأروبّا ممّا عجّل بظهور النهضة الكبرى في ربوعها إثر القرون الوسطى (40) وعندما يشيد بشهامة النساء القيروانيّات أو إذا ما ردّد مع المدّاحين مفاخر آل التجاني لأنّه يرى فيهم مفخرة القطر التونسي (41) أو عندما يبيّن فضل علماء القيروان على نشر مذهب مالك في كافّة أصقاع المغرب الإسلاميّ . كلّ ذلك في غير ما تعصّب بل مع التفتّح الذي يحفزه إلى البحث عمّا كان بين المسلمين والنصارى من التسامح

(38) هذه العناوين هي : البعثة الدينية – من التابعين الذين دخلوا إفريقية وكثرت عنهم الرواية – مشاركة الإفريقيين في العلم – تتابع الطبقات – كيف دخلت الحنفية إفريقية – المدرسة المالكية – تفرد المالكية بإفريقية – من أبرز هذه الطبقة – انفصال إفريقية عن المشرق – من أشهر تلاميذ [المازري من] الأفارقة .

(39) ط. القاهرة 1959 .

(40) انظر فصل « العلاقات التونسية الإيطالية في العصور الوسطى » ص ص 387–400 .

(41) انظر فصل « شهامة النساء القيروانيات » ص ص 197–210 وفصل « آل التجاني أدباء وكتاب الدولة الحفصية » ص ص 147–193 .

في صقلّيـة سواء في عهد السلطان الإسلامي على الجزيرة أو بعد استيلاء النرمان عليهـا .

فظهور هذا الجزء تتمّة صالحة لكتاب « الورقات » تثري مادّته وتثبت خصاله كما تساهم في رسم ملامح ح. ح. عبد الوهاب كعالم ومؤلّف وإنسان ريثما ينشر كتابه الكبير « كتاب العمر » وعندها يقـول النقد قوله الفصل في المؤلّف وإنتاجه وطريقته .

وقد حرص الأستاذ محمد العروسـي المطوي المشرف على جمع هذا الجزء وكلّ من شارك فيه إمّا بترجمة النصوص وإمّا بوضع الفهارس على إخراجه في أحسن حلّة وعلى النمط الذي توخّاه المؤلّف في الجزأين السابقين ولم يـأل واحد منهم جهدا في ذلك إخلاصا للعمل العلمـي ووفاء للمؤلّف الراحـل .

وبدورنا نودّ أن نساهم في هذا العمل ـــ بعد هذا التعريف به ـــ بملاحظات لعلّها تفيد القارىء والباحث وتساعد على مزيد نقاوة الكتاب .

فممّا نبدأ بملاحظته أنّ الإفراط في الوفاء إلى روح الفقيد قد ينسـي أحيانا بعض شروط الوفاء والعمل العلمـي المتمثّلة في ترك الأمانة على حالها . فإذا ما نبّه الناشر في مقدّمته للكتاب إلى بعض التصرّفات في النصّ بقوله : « ... كما « أنـي سلكت في بعض تلك الفصول الطريقة التي سلكها [ح. ح . عبد الوهاب] « في بعض فصول القسمين الأول والثانـي عندما كان يعمد إلى تغيير صبغـة « البحث أو الدراسة من أسلوب المحاضرة التـي تلقـى على المسامع أو من صيغة « التقديـم الذي يصدّر أو يقدّم به كتابا » (42) فمـن الناس من قـد يرى أنّ التصرّف من المؤلّف في ما نشره بالجزأين الأوّلين من محاضرات أو مقدّمات حقّ شرعـيّ لكنّه إذا ما صدر عن غيره تغيّر بذلك نصّ المؤلّف الأصلي فلم يعد يمثّل عمل المؤلّف مهما كان التغيير طفيفا ومهما تحـرّى الناشر لإبقـاء

(42) ص ص 8–9 .

البحث على صورة مـا هو معهود عادة من المؤلّف في منهجه . والنقد – كما هو معروف – يبتغي النصّ نصّ المؤلّف خالصا حتى يتسنّى له الحكم له هو أو عليه هو لا على ما ليس هـو تماما . فهلاّ كان تنبيه القرّاء على كلّ تغيير كلّما كان تغيير مع إيراد النصّ الأصليّ وتحديد مدى التغيير ! فهلاّ نبّهنا – مثلا – إلى حذف ما يقرب من ثلاث صفحات من بداية توطئة كتـاب « الإمام المازري » التي نشرت هنا بعنوان « السند العلمي بإفريقية » ! (43) .

لعلّ الذي يبرّر بعض الشيء هذا الحذف أنّ الصفحات المحذوفة جاءت في كتاب « الإمام المازري » قبل النصّ المنشور هنا فيمكن اعتبار هذا المنشور وحدة لا يغيّر منها ما حذِف ممّا قبلها . ولعلّ ضعف هذه الصفحات المحذوفة وقلّة مـا جاء فيها من الفائدة كان من دواعي إلغائها . إلا أنّ التنبيه إلى حذفها يبدو لنا أمـرا محتـومـا .

فمن بين التغييـرات التي كان يحسن معها مزيد من التوضيح أن الناشر بعد إبدال اسم « ابو العرب » صاحب « طبقات علماء إفريقية » « بالخشني » (44) أورد نصّا للخشني قال عنه «آثرنا نقل نصّ الطبقـات» (45) دون بيان ما كان عليـه نصّ ح. ح. عبد الوهـاب حتى يتبيّن القارئ طريقـة هذا المؤلـف في الرواية عند ذكره النصوص القديمـة وهو من وسائـل معرفـة أسلوب العلمـاء في بحثهم .

والتصرّف الذي قد لا يوجد له مبرّر أيضا ما يكون من قبيل ما جاء في الفصل الموسوم « بشهامة النساء القيروانيّات » . فقد اعترى نصّ هذا الفصل

(43) يوافق ما نشر في « الورقات » ص ص 35–68 بعنوان « السند العلمي الإسلامي بإفريقية » ما جاء في كتاب « الإمام المازري » لح. ح. عبد الوهاب (ط. تونس [1955]) من ص 10 إلى ص 47 ولم ينشر من هذه المقدمة ما جاء من ص 7 إلى ص 10 من كتاب «الإمام المازري» .

(44) ص 346 تعليق عدد 1 .

(45) ص 147 تعليق عدد 1 .

تغيير في العبارة بالزيادة والحذف والتبديل . فمن ذلك مثلا أنه جاء في النـصّ الأصـلي الذي نشره ح. ح. عبد الوهاب بمجلّة « الفكر » سنة 1967 قولـه :

« ومن سياسة البربر حينئـذ الاتحـاد مـع بقـايـا الـروم البيزنطييـن وإدماجهم « في صفوفهم للاستفادة من تجاربهـم ومن خبرة رؤسائهـم بأساليب المقاومة « وطريق الدفاع بينما كانوا قبل ذلك من أشدّ العداء للرّوم » (46) فصـارت العبارة في هذا الجزء من كتاب «الورقات » : « وكان من سياسة البربر حينئذ « إدماج بقايا الروم البيزنطيين في صفوفهم للاستفادة من تجاربهم ومن خبرة « رؤسائهم بأساليب المقاومة وطرائق الدفاع » (47) . كما انقلبت عبـارة المؤلّف في قولـه : « تـواثبت العصابـات المتشبّثـة بالصفرية عـلى امتلاك القيروان » (48) إلى هذه العبارة : « وتكالبت العصابات المتشبّثة بالصفرية على امتلاك القيروان » (49) والمؤلف رحمه الله كان ينزّه قلمه عـن عبـارات الاستنقاص التي تتنافى مع حياد الباحث العالم . فتغيير العبارة هنا قـد ينجرّ عنه تغيير صورة المؤلّف في عقليّته ورصانته وما نسمّيه الآن بالموضوعيّة عند العلمـاء . وهو ما يؤسف له لأنّه قد يلوّث هذه الصورة ولا يقتصر الأمر على تغييرها فقط خاصّة وقد تكرّر في هـذا الجزء ما قد يبدو من قبيل رذائل يشهد كلّ من عرف المؤلف أو قرأ له أنه منها براء ونعنـي بذلك عبارة « تكالبت » هذه وعبارة « وكم من كتابة قديمة ضيّعت الأمم فهمَ رموزها حتّى جاء علمـاء الغرب فكرّسوا أوقاتهم لفكّ تلك الطلاسم ... » التي أشرنا إليهـا آنفا (50) وهو بريء من العبارتين لم يكتبهما فلِـمَ يحمَّل وزرهما بـاطلا ؟

(46) « الفكر » عدد أكتوبر 1967 ص 4 .

(47) « الورقات » ج 3 ص 198 .

(48) « الفكر » عدد أكتوبر 1967 ص 4 .

(49) « الورقات » ج 3 ص 199 .

(50) انظر ص 411 من « الورقات » وتعليقنا عدد 34 أعلاه .

هذا بعض ما ينتج عن التصرّف في النصوص وقد اقتصرنا هنا على هـذين المثالين كما أننا في ملاحظاتنا هذه كلّها السابق منها والاتـي نقتصر على بعض الأمثلة دون الاستقصاء .

ومن التصرّفات أيضا ما اعترى التعاليق التي وضعها المؤلّف . ففـي هـذا الفصل بذاته مثلا تعاليق حذفت تماما (51) وأخرى اعتراها التغيير بنقص يؤسف له غالبا (52) ومنها ما اعتراه التصرّف بالزيادة والنقصان معا (53) ومنها ما فيه تغيير في الأرقام أو هو مجرّد اختلاف فيها (54) .

والذي يؤسف له في ذلك كلّه أنّ هذه التصرّفات في النصّ لا ينبّه إليها الناشر فلا ينتبه إليها القارىء عادة . فهو يقرأ النصّ وقد يستحسنه أو يستهجنه وللمؤلّف نصيبه من ذلك الاستحسان أو ذلك الاستهجان بينما هو منهما براء لا يستحقّ ذلك الإطراء ولا ذاك الملام .

ثم إنّ الإشارة إلى التصرّف في النصّ — إن كانت — فلا ينبغي الاقتصار عليهـا مجرّدة بـل من حقّ القـارىء ان يعلـم مـا هو النصّ الأصلي وما هـي التغييرات التـي لحقته وهو من شروط نشر النصوص . فمن ذلك تعليق جاء في صفحة 122 هذا نصّه : « في أصل هذه الأغنية هنات كثيرة أصلحنا منها ما في المستطاع » والقارىء لا يعلم ما هـي هذه الهنات وهل هـي هنات ولعلّ لأهل الاختصاص في الأدب الشعبي والشعـر الملحـون وغنـاء العوامّ رأيا قد يوافق رأي المؤلّف أو رأي الناشر أو يخالف الإثنين معا وعندها تقابل الروايات

---

(51) « الفكر » ص 4 تعليق عدد 1 وص 5 عدد 2 وص 8 عدد 1 و2 وص 9 عدد 3 و4 . ولا وجود لها في « الورقات » .

(52) « الفكر » ص 5 عدد 1/« ورقات » ص 200 عدد 1 ؛ وص 5 عدد 3/ص 201 عـدد 1 ؛ وص 7 عدد 1/ص 203 عدد 1 ؛ ص 7 عدد 3/ص 203 عدد 3 ؛ وص 10 عدد 2/ص 208 عـدد 2 .

(53) « الفكر » ص 10 عدد 4/« ورقات » ص 209 عدد 1 .

(54) كالإحالة على كتاب « تهذيب التهذيب » 8 : 399 في مجلة « الفكر » فصارت في « الورقات » 8 : 459 ولعله خلط مطبعـي .

والنظريات فيتجلّى الصواب أو بعض الصواب وكلّه من ميدان الباحثين والنقاد منـع منه هؤلاء وأولائك لعدم تطبيـق قواعد النشر من ذكر روايـة الأصل مـع الروايـة المقترحة .

والطبعـة بـدورهـا لا تخلـو مـن الأغـلاط الكثيـرة ولا ينـص ّ جـدول الأخطاء (55) على جميعها . كما أن ّ كثيرا من الأسمـاء والعناوين التـي كتبث بالفرنسيـّة اعتراها تحريف مطبعـي كبير (56) ومعروف كم كان المؤلّـف حريصا على أناقة إخراج ما يطبع له .

أمـّا الفهارس الستـّة فإننا لم نتتبـّعها كلـّها حتى نعلم مـدى صحتها على أنـّنا لاحظنا من نظرة سريعة إليها أن « سيدي علي بن عون » في النص ّ (ص 312) صار « سيدي علي بن نصر الله » في الفهرس (ص 517) وأن فهرس « البلـدان والمعالم » (ص 508 وما بعدها) يشتمل على ما جاء منها في النص ّ وما جاء فـي التعاليـق أيضا (57) .

ولهذه الأسباب ذاتها يبدو لنا من المفيد الأكيد ذكر أصل الفصول المنشورة من أين اقتبست ومتـى نشرت لأوّل مرّة وأين نشرت ففـي ذلك تأريخ أجـزاء تراث المؤلـّف وتطوّر تفكيره وتسلسل اكتشافاته العلميـّة مع أطوار تكـوّن مجموعة إنتاجه . فمن بين الدراسات الأربع عشرة التـي يضمـّها هذا الجزء لم تقع الإشارة إلا ّ إلى أصل خمـس منها فقط .

ولعلـّه لا يسع القارىء إلا ّ التأسّـف العميق على عدم الاهتداء إلى أصل جميع الفصول للمقارنة إذا ما تذكرنا الفروق الموجودة مثلا بين نص ّ « شهامة النساء القيروانيات » المنشور في هذا الجزء من « الورقات » ونصّه الأصلي المنشور

---

(55) ص 478 بعنوان « استدراك » .

(56) من ذلك مثلا ص ص 245 و247 و256 و477 في : « ثبت بالفصول المعربة » وص 535 في : « كتب أجنبية » .

(57) فنتج عن ذلك أن كلمة « باريس » مثلا وردت في هذا الفهرس 13 مرة أي أكثر من عـدد ورود « صفاقس » (5 مرات) و« بغداد » (9 مرات) لا لشيء الا لأن باريس مكان طبـع بعض الكتب فجاء ذكرها عند الإشارة إلى نشر تلك الكتب في التعاليق غالبا على أنها لم تذكر في صلب نص « الورقات » الا مرتين (ص 184 لذكر مكان نشر كتاب وص 422 لذكر مكان ضرب النقود) بينما صفاقس وبغداد جاء ذكرهما أدراج أبحاث الكتاب . كذلك لاحظنا أن فصل « حول نقائش المنستير » الذي جاء في الكتاب من ص 403 إلى ص 412 لم يذكر في فهرس الموضوعات . ونخشى أن تكون بهذه الفهارس هنات أخرى مما يفقد هذه الفهـارس فائدتها وهـي أساسية للدراسة والبحث .

بعناية المؤلّف في مجلّة « الفكر » . ومثل ذلك ما لاحظناه في الفصل المترجم بعنوان « حول النقائش العربيّة بالمنستير » من تفاوت وفروق ونقص وزيادة بين النصّ الأصلي المطبوع بالفرنسيّة والنصّ المنشور في « الورقات » بالعربيّة . وعند ما وقعت الإشارة إلى أصل هذا النصّ — وهو من الفصول القليلة التي أشير إلى أصلها — فقد جاء ذلك غالطا غلطا غريبا لأنّ هذه الإشارة تفيد أن النصّ كتبه المؤلّف توطئة بالفرنسية لكتاب الأستاذ س. م. زبيس عن نقائش المنستير العربيّة وأنّ الكتاب طبع ولم تطبع به هذه التوطئة وقد رأينا أنها طبعت مع الكتاب . والغريب في ذلك الغلط أن المترجم لذلك النصّ انما هو الاستاذ س. م. زبيس نفسه فكان تدارك الغلط من الميسور جدّا لو كان من أبواب تخطيط الناشر العناية بذكر أصول الأبحاث المنشورة في هذا الكتاب . ومن غرائب ما اعترى هذا الفصل أيضا أنّ نصّه الأصلي بالفرنسيّة مؤرّخ في ماي 1960 وقد نشر فعلا سنة 1960 بينما يحمل الفصل المنشور في هذا الجزء الثالث من « الورقات » تاريخ ماي 1969 . والمؤلّف رحمه الله توفّي سنة 1968 . لكنّ مردّ ذلك إلى السهو بلا ريب أو لعله خطأ مطبعي .

هذه الهنات وإن تعدّدت فإنها لا تنقص شيئا من فضل المشرف على إخراج هذا الجزء من كتاب « الورقات » وفضل من شاركه فيه بترجمة بعض فصوله أو بإعداد فهارسه . ففضلهم جميعا ليس في إنجاز عمل تمّ به كتاب « الورقات » فقط بل فضلهم في أن هذا الجزء لا يقلّ قيمة ولا بهاء ولا جاذبيّة عن سابقيه . ونحن إن كنا ألححنا في نقدنا على إظهار نواحي الضعف في إخراج هذا الكتاب — على حقارتها — فما ذلك إلا لرجائنا أن يكون تحقيق الكتاب الكبير المنتظر « كتاب العمر » الذي تركه حسن حسني عبد الوهّاب جاهزا للطبع تحقيقا علميّا يناسب ما نتوسّمه فيه من جليل القيمة العلميّة (58) .

الشاذلي بويحيى

(58) عهد المرحوم ح. ح. عبد الوهاب بنشر « كتاب العمر » إلى الأستاذ م. العروسي المطوي (انظر ص 10 من هذا القسم من « الورقات ») . فعسى الا يطول بنا الانتظار .

محمد الخضر حسين : حياتـه وآثـاره

(1873 ـ 1958)

تأليف : محمد مواعدة ، الدار التونسية للنشر ، تونس 1974 ، 342 ص .

تقديم : الحبيب الشاوش

يعـرّف هذا الكتـاب بأحد الأعـلام المعاصرين ، هو محمـد الخضر حسين ، وهو من رجـال الفكـر والأدب التونسيين مولدا ونشـأة ، ساهـم في إخصاب التراث العربي الاسلامي بإنتـاج ثـري متنـوّع في الحقلين الدينـي والأدبـي ، إلا أنه كان ، إلى حـد كبير ، مغمور الذكر والإنتـاج لا سيمـا وأن ما خلفه من مؤلفـات ومقالات عديـدة في المجلاّت والصحف العربيـة ـ التونسيـة منهـا والشرقيـة ـ كان شتاتا مهمـلا ، لا يكـاد يعرفه الكثيرون معرفة دقيقة شاملـة . ويتضـح من مطالعـة أثـار الرجـل أنه كان يغلب على ثقافته وتفكيره واتجاهـه الطابع التقليـدي وهو بذلك ينتمـي إلى شـق المحافظيـن من الناحيـة الدينيـة وحتـى السياسيـة كما سيأتـي .

وظهـر هذا الكتاب ، مساهمـا به صاحبه في إزاحة الغشـاوة عـن هـذا العلاّمـة في حياته ورحلاتـه وإنتاجـه ونشاطـه ، وهو بحث أنجزه السيّـد

محمد مواعـدة تحت إشراف الأستـاذ المنجـي الشمـلي في كلية الآداب والعلوم الإنسانيـة بالجامعـة التونسية ، لنيل شهـادة الكفـاءة في البحـث (1) .

ويشتمـل الكتاب على ثلاثـة أقسـام رئيسية (2) مَتْبُوعة بملحق ، وقد صُـدّر بتقديمين : الأول للأستـاذ المنجـي الشمـلي (4) والثانـي للسيد محمّد مواعـدة (5) ونجـد في نهايتـه قائمـة المراجع والمصادر وفهرسا للأعـلام .

وأول ما يسترعـي انتبـاه القارىء لهذا الكتاب عنايـة كل من صاحب البحث والأستـاذ المشرف عليه بحب الإلمـام بكل جوانب الموضوع على أساس الوضوح والشمـول مما يوفر للدارس سَعَـة الانتفاع ويسـر الاستفـادة بمـا جاء فيـه وإن الموضوع اعلى جانب من الطرافـة تستهويـك دراسته ، ذلك ان شخصيـة محمد الخضر حسين طريفـة في حـدّ ذاتهـا رغـم بعض الشـذوذ والتّصلب في التفكيـر والاتجـاه ، بقـدر ما كانت مجهولة أو تكـاد ، وقد ألمع الاستـاذ الشمـلي إلى ذلك في تقديمـه الكتاب بقوله (6) :

« نذكـر جميعـا هذا الرجل فنكـاد لا نتصوّره إلا رمزاً غامضا ، يعرف الواحد من أمـره ما لا يعرفه الاخـر ، هـذا يكبـره ولا دليل ، وذاك يستنقصه ولا حجـة ، والرجل الرشيد يقتصد في الحكم فيتوقف . أما الآن فقـد تجلّت لنا عن حياة الرجل وأفعاله ومواقفه وآثاره صورة إلا تكن واضحة وضوحـًا فهـي غير غامضة على كل حـال ، وإلا تكن مقنعة إقناعا فهـي سبيـل إلـى اليقيـن .. » .

(1) نوقش هذا البحث في الخامس عشـر من شهر ديسمبر 1972 .
(2) ص ص 18–230 .
(3) ص ص 232–342 .
(4) ص ص 7–9 .
(5) ص ص 11–13 .
(6) أنظـر بالخصوص : ص ص 7–8 .

وقد خصص السيد محمد مواعدة القسم الاول من بحثه لدراسة حياة الرجل في أطوارٍ لها ثلاثةٍ ، موزعا دراسته على أبواب وفصول .

أما الطور الأول فيتعلق بحياة محمّد الخضر حسين بالبلاد التونسية أي مرحلة السنوات التي قضاها في تونس منذ ولادته ببلدة نفطة إلى تعلّمه ثم تعليمه ، وهي « فترة التعلم والتكوين » ، وتمتد من سنة 1873 — سنة ولادته (7) — إلى سنة 1912 ، وهي السنة التي غادر فيها البلاد التونسية نهائيا إلى الشرق .

وأهم ما يجدر ذكره أن الرجل قضى سنوات طفولته بمسقط رأسه بالجنوب التونسي حتى الثالثة عشرة من عمره ثم انتقلت عائلته إلى تونس العاصمة (8) حيث واصل تعلّمه الابتدائي وقد كان شرع فيه عندما كان بنفطة ، ثم التحق بجامع الزيتونة (9) للمزيد من التعمّق في العلم والتبحر فيه .

ويمضي السيد محمد مواعدة متحدثا في هذا القسم عن جامع الزيتونة في ذلك العهد وعن شيوخ محمد الخضر حسين وتخرجه عنهم ، ثم تولّيه خطة القضاء ببنزرت والتدريس بجامع الزيتونة إلى تاريخ رحلته إلى الشرق ، وهو بداية الطور الثاني من حياة الرجل ، وتخص هذه المرحلة الثانية كامل الفترة التي قضاها من حياته في دمشق ، وانتقل أثناءها إلى الاستانة وبرلين ، وتمتد من سنة 1912 إلى سنة 1920 وهي السنة التي غادر فيها سوريا للاستقرار نهائيا بمصر ، ويمكن تسميتها بمرحلة التنقل والترحال" ، وأهم ما يحتفظ به الدارس من هذه المرحلة الثانية من حياة الرجل أنها امتازت بكثرة التنقل أثناء الحرب العالمية الأولى وقد قام فيها بمهام" خطيرة لم يرد في شأنها ما يشفي الغليل من تفاصيل واضحة ، بقدر ما نعرف من ناحية أخرى أن محمد الخضر

(7) يوم 26 رجب 21/1293 جويلية 1873 — انظر ص 21 .
(8) في أواخر سنة 1886/1306 — انظر ص 28 .
(9) سنة 1887/1307 .

حسين أمضى في دمشق أعواما طويلة ودرّس علوم الدّين والعربية في المدرسة السّلطانية (10) كما نعلم عن الرّجل من حيث اتجاهه السياسي أنه كان ينتمي منذ كان بتونس إلى الحزب الدستوري القديم الذي أسسه عبد العزيز الثعالبي سنة 1920 . أما المرحلة الثالثة والأخيرة من حياته فهي تشمل السنوات التي قضاها في مصر حيث استقر نهائيا ، وتمتد من سنة 1920 إلى وفاته سنة 1958 ، وقد سمّاها صاحب الكتاب بمرحلة « المجد الثقافي » ، لأنها الفترة التي أظهر فيها قيمته الثقافية وبرزت فيها مكانته ، وتقلد أثناءها مناصب علمية عالية أكدت غزارة علمه وعمق شخصيته ؛ ومن أهم هذه المناصب إشرافه بمصر على مشيخة جامع الأزهر (11) .

واعتمد السيد مواعدة — كما نلاحظ مما سبق — في هذا التقسيم لحياة الرجل ، الإطار التاريخي والجغرافي متبعا في ذلك طريقة كل الذين كتبوا عن حياة الخضر حسين الذي درج هو نفسه على نفس النسق عند حديثه عن أطوار حياته بمناسبة حفل التكريم الذي أقامه له أحد تلاميذه الدكتور عبد الوهاب المالكي عند زيارته دمشق سنة 1937 (12) .

وفيها يتعلّق بآثار محمد الخضر حسين فقد قدمها السيد مواعدة مع التعريف الموجز بمحتواها وقيمتها ، ساعيا إلى تحليلها باقتضاب ، مبينا غزارتها وشمولها لميادين كثيرة من المعارف ولا سيما الدين والأدب واللّغة والسياسة ، ومن الملاحظ أن هذه الآثار مرتبة في ثلاثة أبواب :

أ) الباب الأول : وهو يشمل **المحاضرات** المنشورة **والمقالات** المجموعة في كتب ومن أهم المواضيع التي تناولتها : الإصلاح في الإسلام وبلاغة

(10) بدأ التدريس سنة 1913 في هذه المدرسة وهي أشهر مدارس دمشق : انظر ص 334 .
(11) من سنة 1952 إلى سنة 1954 .
(12) انظر ص 19 والمرجع التالي : « الهداية الإسلامية » : 10 — ج 5 ص 257 : الملحق : « حديث عن رحلتي إلى دمشق » ، ص 336 .

القرآن ، والحرية في الاسلام ، ثم مواضيع لغوية وأدبية مثل حياة اللّغة العربية والخطابة عند العرب وعلماء الإسلام في الأندلس .

ب) **الباب الثاني** : وهو يشمل ما ألفه الرجل من كتب ، في اللغة والآداب ولا سيما كتابيه : «نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم (13) » . و«نقض كتاب في الشعر الجاهلي» (14) » ويشمل هذا الباب أيضا مجموعة من البحوث والرسائل .

ج) **الباب الثالث** : تعرض فيه السيّد مواعدة إلى الحديث عن محمد الخضر حسين الشاعر الذي جمع قسما من قصائده في ديوان بعنوان « خواطر الحياة » ولا يزال القسم الآخر موزّعا في المجلاّت والصحف « ينتظر الجمع والتبويب والنشر » .

وفيما يتعلّق بتبويب هذه الاثار أشار صاحب البحث إلى أنه لم يعتبر فيه العامل التاريخي وذلك « لتداخل المقالات الموجودة في هذا الميدان » بل « اعتمد إطار العمل وشكله » بقطع النظر عن محتواه حتى « يتجنّب إعادة بعض المعاني ، وذكر بعض الاثار في مناسبات عديدة (15) » .

وقد عني السيد مواعدة بإبراز عناصر الشخصية الجذّابة التي يتميّز بها محمد الخضر حسين عناية خاصة ، ولخصها في أربعة محاور وهي :

- محمد الخضر حسين العالم في شؤون الدّين .
- محمد الخضر حسين الأديب .
- محمد الخضر حسين المصلح .
- محمد الخضر حسين السياسي .

(13) وهو رد على كتاب « الإسلام وأصول الحكم » للشيخ علي عبد الرزاق ، أحد علماء الأزهر انظر ص 163 .

(14) رد على كتاب طه حسين : « في الشعر الجاهلي » الذي صدر سنة 1926 .

(15) انظر ص 134 .

وسعى إلى تحليل كل منها بإيجاز اعتماداً على مراحل حياة الرّجل وما تركه من مؤلفات ، وإلى بيان قيمة شخصيته الثقافية ومكانتها ضمن الحركة الفكرية الاسلامية (16).

ويتضح من هذه الدراسة أنها شخصيّة قوية عميقة ساهمت مساهمة ملموسة في الحركة الإصلاحية ، وقد علّق عليها الأستاذ الشملي بقوله :

« هي شخصيّة قويّة لا شك ، عنيدة صُلبةٌ آسرة ! (17) » . وفي أواخر الكتاب « ملحق » يشتمل على مجموعة المقالات الوصفية التي ألّفها محمد الخضر حسين عن رحلاته إلى البلاد الجزائرية وبلدان المشرق العربي وبلدان أورباوية مختلفة ، وقد نشرها صاحبها في المجلات والصحف إلاّ أنّها بقيت موزّعة ، لذلك عمد صاحب البحث إلى جمعها والتعليق عليها ، وغرضه من ذلك « تمكين القارىء من الاطلاع على آراء الرجل وأفكاره بالاعتماد على نصوص من تحريره بالإضافة إلى ما أوردناه في شأنه في هذه الدراسة(18) ».

ولئن كانت هذه الرحلات قد دُوّنت أو دوّن جلها في شكل مقالات محرّرة بقلم صاحبها ، ألم يكن من الأجدر والأجدى أن تُضَمّ إلى مجموعة آثاره وتُلحق بالقسم الثاني من الكتاب وهو القسم المخصّص لآثار الرجل على تنوّعها ، اللهم إلا أن يكون السيد مواعادة قد عثر عليها أو دُلّ إليها بعد أن أنجز عمله كاملا ... فيكون هكذا قد لجأ إلى إضافة هذه المقالات الوصفية الخاصة برحلات الرجل في شكل « ملحق » في آخر البحث ، وقد يكون رائده من ذلك حب الإفادة بما ظفر به في آخر المطاف من هذه الآثار.

وعلى كل فيبدو أقرب إلى المنطق أن تُعَدّ هذه المقالات من جملة آثار محمد الخضر حسين ، وتُحشَر ضمنها ، وأهمّ هذه المقالات ثلاث :

(16) انظر ص 206–207 .
(17) انظر التقديم ، ص 9 .
(18) انظر ص 232 .

– « الرحلة الجزائرية » . (19)

– « خلاصة الرحلة الشرقية » . (20)

– « حديث عن رحلتي إلى دمشق » . (21)

والملاحظ أن الكثير من الأعلام المذكورين في هذه الرحلات لم يقع التعريف بهم على أن صاحب البحث يعترف بذلك لصعوبة وجادها في القيام بهذا العمل ، وله فضل التواضع في الاعتراف بذلك إذ يقول (22) :

« وقد اعترضتنا صعوبة كبيرة في التعريف ببعض الأعلام المذكورين في هذه الرحلات خاصة في « خلاصة الرحلة الشرقية » وقد تمكنا من التعريف بالبعض منها وبقي عدد آخر لم نتمكن من التعريف به » .

وفيما يتعلّق بقائمة المراجع والمصادر – وهي عربية وفرنسية – فقد رتبها السيد مواعدة حسب تواريخ صدورها ؛ وتشتمل المراجع على :

أ) الكتب

ب) المجلات

ج) الجرائد

أما المصادر فتضمنت كلها ما نشر من مؤلفات محمّد الخضر حسين .

وأما فهرس الأعلام – وهو مرتب حسب حروف الهجاء – فلم يشمل الأعلام الموجودة بالحواشي (23) .

---

(19) نشرت في مجلة « السعادة العظمى » عدد 19 و20 و21 .

(20) نشرت في جريدة « الزهرة » (مارس–أفريل سنة 1913) .

(21) نشر بمجلة « الهداية الإسلامية » .

(22) ص 232 .

(23) انظر ص 349 : لم يراع المؤلف في ترتيب الاعلام (الـ) ولا (الكنية) ولا (ابن) .

هـذا وإنّ إخراج الكتاب وطبعه على جانب من الأناقة ما عدا غلطات مطبعية وردت هنا وهناك ، وتذكر من بينها على سبيل المثال لا الحصر :

— ص 333 ، س 13 : رقم (6) أمام « العلامة السيد محمد بن جعفـر الكتانـي » عوض رقم (2) .

— ص 335 ، س 12 : « المحتلفـون » عوض « المحتفلون » .

وختاما يعتبر هـذا البحث مفيـداً من حيث تمكينه القارىء الدارس مـن الاطلاع على جوانب من شخصيّة هـذا العلاّمة التونسـي الشهيـر في العالم الإسلامـي ، وعلى جوانب هامّة من نظرياته وآرائه واتجاهـه الإصلاحـي ، وهو من شأنـه أن يفتـح أبوابا جديدة على طريق البحث العلمـي بخصوص هـذه الشخصية لزيادة التعمّق في تحديد معالمها لـدى المهتمّين بالحركـة الفكرية في بلادنـا والعالم الاسلامـي .

الحبيب الشـاوش